المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة طيبة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

صورة الحرب بين أبي فراس الحمداني و البارودي

دراسة موازنة

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير

(الدراسات الأدبية والنقدية)

إعداد الطالب :

شاكر سالم الخشرمي

الرقم الجامعي ٣٠٧٠٤٥٥

إشـــــــــراف

الأستاذ الدكتور / إبراهيم سعد قنديل

أستاذ الأدب والنقد المشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إنَّ الهدايا لها حـــــظٌّ إذا وردت . . . . . .أحظى من الابن عند الوالد الحدب

أهدي هذا الجهد المتواضع .....

- **إلى والدي العزيز متعه الله بالصحة والعافية .**
- **وإلى روح والدتي وزوجتي اللتين أَفَلَتْ شمس حياتهما ؛ أسأل الله لهما الفردوس الأعلى من الجنة .**
- **وإلى إخواني وأخواتي .**
- **وإلى ابنتي (رند) التي ملأت جوانحي بالسعادة .**
- **وإلى كل أحبتي وأقاربي وأصدقائي .**
- **وإلى كل من يحمل همَّ اللغة العربية .**

الشكر لله شكرا ليس ينصرمُ . . . . . شكرا يوافق ما يجري به القلمُ

ثم أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور / إبراهيم قنديل ..المشرف على البحث الذي بذل كل مافي وسعة لخدمتي وخدمة هذا البحث حتى وصل إلى ماوصل إليه الآن وأقول له :

لوكنت أعرف فوق الشكر منزلة . . . . .أعلى من الشكر عند الله في الثمن

إذاً منحتكها مني مُهندةً . . . . .شكرا على صنع ما أوليت من حسن

كما أشكر جميع أساتذتي الذين كانوا سببا في ارتوائي من منهل علمهم وكريم أخلاقهم ،كما أشكر جميع المكتبات التي ساعدتني في جمع أكبر قدر من المعلومات التي خدمت هذا البحث .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١-٧
التمهيد: المبحث الأول	٨-٩
تعريف الحرب لغة	١٠-١١
الحرب اصطلاحا	١٢-٢٨
صلة شعر الحرب بشعر الفروسية	٢٩-٣٢
صلة شعر الحرب بشعر الحماسة	٣٣-٣٥
صلة شعر الحرب بشعر الملاحم	٣٦-٣٨
صلة شعر الحرب بشعر الفتوة	٣٩-٤٠
المبحث الثاني	٤١
أبو فراس حياته وشعره	٤٢-٥٤
البارودي حياته وشعره	٥٥-٦١
الفصل الأول (الدراسة الموضوعية)	٦٢-٦٣
المبحث الأول : آلات الحرب وصورتها في شعر الشاعرين والموازنة بينهما	٦٤-١٠٩
المبحث الثاني : صورة الفارس والجند في شعر الشاعرين والموازنة بينهما	١١٠-١٣٩
المبحث الثالث : تصوير أحداث المعركة في شعر الشاعرين والموازنة بينهما	١٤٠-١٥٩
الفصل الثاني (الدراسة الفنية)	١٦٠-١٦١
المبحث الأول : المعجم الشعري لشعر الحرب عند الشاعرين	١٦٢-١٧٥
المبحث الثاني : العاطفة	١٧٦-١٩٤
المبحث الثالث : الصورة الفنية في شعر الحرب عند الشاعرين	١٩٥-٢٠٧
المبحث الرابع : الموسيقى الشعرية	٢٠٨-٢٢٧
الخاتمة	٢٢٨-٢٣١
فهرس المصادر والمراجع	٢٣٢-٢٤٢
فهرس الدوريات	٢٤٣

(صورة الحرب بين أبي فراس الحمداني والبارودي)

(دراسة موازنة) (المستخلص)

إعداد/ شاكر سالم علي الخشرمي . إشراف الأستاذ الدكتور/ إبراهيم قنديل

تتضمن هذه الدراسة الموضوعية الفنية صورة الحرب بين أبي فراس الحمداني والبارودي لتبين أوجه التشابه والاختلاف بين الشاعرين في شعرهما الحربي ، وقد اعتمدت هذه الدراسة منهجا تحليليا وصفيا يقوم على وصف شعر الشاعرين وبيان أوجه الشبه والاختلاف ، وتحليل أبيات الشاعرين في شعرهما الحربي تحليلا أدبيا منوطا بالشكل والمضمون ، وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وفصلين ، اشتملت المقدمة على أهمية البحث والدراسات السابقة وبيان إشكلات البحث وأهدافه ومنهجه ، أما التمهيد فقد احتوى على مبحثين: المبحث الأول تحدثت فيه عن التعريف بشعر الحرب وصلته بشعر الفروسية وشعر الحماسة وشعر الملاحم ، والمبحث الثاني تحدثت فيه عن حياة الشاعرين وشاعريتهما ، ثم جاء الفصل الأول في ثلاثة مباحث: المبحث الأول تحدثت فيه عن آلات الحرب في شعر الشاعرين والموازنة بينهما ، والمبحث الثاني تحدثت فيه عن صورة الفارس والجند في شعر الشاعرين والموازنة بينهما ، والمبحث الثالث تحدثت فيه عن تصوير أحداث المعركة في شعر الشاعرين والموازنة بينهما ، أما الفصل الثاني فجاء في أربعة مباحث: المبحث الأول تحدثت فيه عن المعجم الشعري لشعر الحرب عند الشاعرين ،والمبحث الثاني تحدثت فيه عن العاطفة ، والمبحث الثالث تحدثت فيه عن الصورة الفنية في شعر الحرب عند الشاعرين ، والمبحث الرابع تحدث فيه الموسيقى الشعرية ، ثم أوجزت النتائج في الخاتمة حيث تبين لي أن الشاعرين قد امتزجت تجربتهما في شعرهما الحربي بين أوجه التشابه والاختلاف ، كما جاء شعر الشاعرين في وصف الحرب يحمل أعلى مراتب الإبداع والبيان ، ظهرت ثقافتهما الواسعة التي جسدت على معاني الحرب وألفاظها .

War portrayal comparison between Abu Feras Al – Hamadani & Barioudi

Prepared by: Shaker Salem Al Khashrami

Supervised By : Professor : Ibrahim Saad Qandeel

This study deals with objective artistic war portrayal comparison between Abu Firas al-Hamdani and Baroudi to clarify the similarities and differences between the poets in their war description poetry , It has been adopted a descriptive analytical methodology study based on description of poetry for both of them and explains the similarities and differences, and analyze the verses in their war poetry including literary form and content . The study contains introduction, preface and two chapters, the introduction includes research's importance , previous studies and research's problem by its aims and methodology. The preface was contained two sections: The first part demonstrate the definition of war poetry and its relevant with epic poetry and fervor poetry , the second part talked about the poets' live and their poetry .

The first chapter including three researches : The first part talked about war tools in their poetry and balance between them . the second part talked about knight and soldiers image in their poetry and the balance between them , and the third part demonstrate the clash events between them .

The second chapter contained four parts:-

First part talked about poetic Lexicon of war poetry for both of them , the second part talked about emotion, the third part explain the artistic image in the war poetry for both of them , and fourth part talked about poetic symphony , then I summarized the results as I found out that the poets' experiences were mixed in their war poetry between the similarities and differences, their descriptive poetry of war was magnificent and creative , finally their culture personify the meaning of war and its words .

متن البحث(فصول البحث)

الفصل	الصفحة
الفصل الأول :الدراسة الموضوعية	
المبحث الأول :آلات الحرب وصورتها في شعر الشاعرين والموازنة بينهما	٦٤-١٠٩
المبحث الثاني: صورة الفارس والجند في شعر الشاعرين والموازنة بينهما	١١٠-١٣٩
المبحث الثالث: تصوير أحداث المعركة في شعر الشاعرين والموازنة بينهما	١٤٠-١٥٩
الفصل الثاني: الدراسة الفنية	
المبحث الأول :المعجم الشعري لشعر الحرب عند الشاعرين	١٦٢-١٧٥
المبحث الثاني: العاطفة	١٧٦-١٩٤
المبحث الثالث: الصورة الفنية في شعر الحرب عند الشاعرين	١٩٥-٢٠٧
المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية	٢٠٨-٢٢٧

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاوة والسلام على إمام المتقين ، ورحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحابته أجمعين ، وبعد:

فإنَّ هذا البحث يندرج تحت عنوان (صورة الحرب بين أبي فراس الحمداني والبارودي – دراسة موازنة –) ، وهذه الدراسة اهتمت بجمع ما نظمه الشاعران في شعر الحرب وتحليل أبياته تحليلا أدبيا ، ومن ثم الموازنة بين شعرهما الحربي وبيان أوجه التشابه بينهما ، وذِكر العناصر التي انفرد بوصفها كل منهما في هذا الموضوع ، وقد اعتمدتُ في ذلك على ديواني الشاعرين وما تم تدوينه عنهما من قِبَل الكُتاب في مؤلفاتهم الأدبية ، وقد ضمَّ ديواناهما حديثا مصورا للحرب وأحداثها وآلاتها ورجالاتها من خلال شعر كل منهما الحربي ، كما كان لممارستهما الحرب وقيادتهما للجند الأثر البارز في شعرهما الحربي ، وقد اهتمت الدراسة بوصف الحرب وعناصرها عند الشاعرين ومقدار التأثر والتأثير بينهما ، هذا وقد جاءت خطة الدراسة في مقدمة وتمهيد وفصلين ، تناولت المقدمة أهمية الموضوع وأهدافه والدراسات السابقة وبيان إشكالاته ، كما تناول التمهيد مبحثان: المبحث الأول في التعريف بشعر الحرب وتطور عناصرها في الشعر العربي ، وصلة ذلك بشعر الفروسية وشعر الحماسة وشعر الملاحم وشعر الفتوة ، وأوضحت أنَّ شعر الحرب لايكاد ينفك عما سبق ، أما المبحث الثاني: فقد تناول الحديث عن حياة الشاعرين ونشأتهما وحبهما للحرب ولقيادة الجند ، ثم كان الفصل الأول عن مقومات الحرب وصورتها في شعر الشاعرين والموازنة بينهما وقد جاء في ثلاثة مباحث: المبحث الأول تناول آلات الحرب وصورتها في شعر الشاعرين والموازنة بينهما ، وقد أكد الشاعران على أهمية الآلات الحربية وأنَّ سبيل النصر مرتقب مع أصالتها ومتانتها ، كما تناول الشاعران الحديث عن أهمية الخيل وأنَّ النصر معقود بنواصيها ، وأكد البارودي على أنَّ السيف لابد أن يكون قرينا للخيل ، من خلال هذا التصوير يتضح مدى أهمية الآلات الحربية عند الشاعرين وكيف تكون سببا للوصول بالجيش إلى بَرِّ النصر والتمكين .أما المبحث الثاني قفد تناول الحديث عن صورة الفارس والجند في شعر الشاعرين والموازنة بينهما، ولقد أكد الشاعران بأنَّ الفارس لايرقى إلى مرتبة قيادة الجند حتى يكون علما في اتصافه بمكارم الأخلاق

ومحاسن الصفات ، وقد ظهر لي أنَّ أبا فراس في هذا المجال يفتخر بأهله وعشيرته في غالب شعره الذي يصف القائد والجند ويرجع ذلك لشدة انتمائه لهم وحاجة الشاعر في ذلك الزمن لأهله وجميع أقاربه . وفي المبحث الثالث كان الحديث عن تصوير أحداث المعركة ، وقد اتسم وصف أبي فراس بالوصف العام والبعد عن تفاصيل المعركة على خلاف ما اتسم به وصف البارودي من الدقة والشمول ، وقد تناولت هذا الاختلاف بالشرح والتفصيل . ثم جاء الفصل الثاني في أربعة مباحث: المبحث الأول تناول الحديث عن المعجم الشعري ، وفيه تحدثت عن الألفاظ المتعلقة بالحرب ووصفها ، والألفاظ المتعلقة بالكون وعلاقتها بالحرب ، والألفاظ المتعلقة بالوقت والزمن وعلاقتها بالحرب ، وربطت هذه الألفاظ بالشعر الحربي لدى الشاعرين ، وبينت مدى افادتهما من توظيف هذه الألفاظ لخدمة تصوير الحرب ووصفها . أما المبحث الثاني فقد تناول الحديث عن العاطفة ، وقد تنوعت العاطفة عند الشاعرين إلا أنَّ عاطفة الفخر كانت المهيمنة على شعر الحرب عندهما . أما المبحث الثالث فقد كان عن الصورة الفنية في شعر الحرب عند الشاعرين ، وقد تناولت فيه الحديث عن الصورة الكلية والجزئية ، وقد تميزت الصورة الفنية بعمقها وجودتها عند أبي فراس، وقد كانت –في الوقت نفسه– بعيدة عن التكلف عند البارودي . أما المبحث الرابع فقد تناولت الحديث فيه عن الموسيقى الشعرية لدى الشاعرين ، وقد استطاع كل من الشاعرين الإبحار في بحور الشعر وعدم التقيد ببحر معين ، كما أطلقا لأنفسهما العنان في اختيار القافية المناسبة لموضوعاتهما الحربية ، وقد تنوعت الموسيقى الشعرية بين الخارجية والداخلية ومدى حاجة كل منهما لشد بنيان الآخر.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين ، النبي العربي الكريم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيرا . وبعد :

فمما لا شك فيه أن النفس البشرية مرآة لكل ما يؤثر فيها من المؤثرات الداخلية والخارجية ، وبعد الشعر إحدى زوايا تلك المرآة البشرية ، التي تعكس لنا حياة الشاعر حيث تحكي وتحاكي كل صفاته وتصرفاته وأفراحه وأتراحه .

وتعد الحرب إحدى الظواهر الاجتماعية والسياسية التي تنتج عن الاختلاف بين البشر . ويعد وصفها والحديث عنها معلما واضحا لدى بعض الشعراء حين تعبر عن انفعال الشاعر بها وبأحداثها وتبرز من خلالها شخصيته . ولم تزل الفروسية مهيع الشعراء ونمير الأدباء الذين برزوا من خلاله واحتسوا عذب زلاله . حيث تكشف لنا حياة الشاعر الأبية وصبره الجميل في مواقف الشدة ، وأخلاقه الزكية وفتوته السامية ، ولا تزال الشجاعة والإقدام والبأس والتضحية أبرز ملامح الشاعر الفارس ، حيث يقذف بألفاظها شعره الذي يحكي به تجربة خاضها وذاق مرارتها . وقد وجدت الحديث المصور للحرب وأحداثها وآلاتها ورجالاتها في شعر كثير من شعراء العرب الذين وسموا بالفروسية وعرفوا بها ومارسوا الحروب واكتووا بأحداثها ونيرانها ؛ ومنهم الشاعران : أبو فراس الحمداني ؛ شاعر العصر العباسي ، والشاعر محمود سامي البارودي ؛ شاعر العصر الحديث . فكل واحد منهما جمع بين ممارسة الحرب وقيادة الجند ، وذاقا مرارة الظلم والأسر والغربة والبعد ، فأنتجا لنا من شعرهما ما يعبر عن البطولة الحربية بكل معانيها ودلالاتها .

لقد كان أبو فراس في كل مراحل حياته صديقا للسيف أنيسا بجلبة الحرب ، خاض المعارك الإسلامية ضد الروم واصطحبه سيف الدولة في كل غزواته ، وتجرع غصص الأسر واكتوى بنار البعد عن الأوطان ، فبقي في الأسر أربع سنين أضيفت إلى حياة الحرب والمعارك ، وعبر عن ذلك بشعر الفروسية في أوج صدقها .

لقد عاش أبو فراس الحمداني ما يقرب من سبع وثلاثين سنة قضى فيها أربع سنين في الأسر ، بينما عاش البارودي سبعا وستين سنة قضى منها أربعا وعشرين سنة في توليه للمناصب الحربية وسبع عشرة سنة في المنفى .

وهذه الفترة التي تمتاز بالتباين أثرت في شعر هذين الشاعرين ، فأبو فراس قضى زمنا يسيرا في المنفى لكنه خاض تجارب الحروب في الجزء الأول من حياته ، بينما نجد البارودي عاش ما يقرب من نصف قرن بين الحياة العسكرية في مفهومها الحديث وبين حياة المنفى ، وهذا التلاقي في الملامح العامة في الحياة مع التباين في المدة الزمنية عند كل منهما أتاح للشاعرين أن يمدانا بنماذج رائعة من شعر الحرب ووصف المعارك تصور حياة كل منهما ، ولم يتناول الباحثون–على حد علمي –هذه العلاقة بالبحث والدراسة ، لذلك عزمت على القيام بدراسة شعر الحرب ووصفها لدى هذين الشاعرين وعلاقة حياتهما بها وأثر ما لاقاه كل منهما في زمن الحرب والأسر في موضوع بعنوان :

((صورة الحرب بين أبي فراس الحمداني والبارودي . دراسة موازنة))

وتقوم هذه الموازنة على جمع الشعر المتعلق بوصف الحرب وعناصرها عند الشاعرين ، ومدى التشابه أوالاختلاف بين شعريهما في هذا المجال ، ومقدار التأثر والتأثير بينهما ، كما تتناول هذه الدراسة جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما في وصف الحرب و آلاتها ، كما تقف الدراسة على الخصائص والسمات الفنية لشعر الحرب ووصفها عند الشاعرين .

وقد وجدت من الدراسات السابقة ما تناولت شعر كل واحد منهما على حدة ولم تتناول جوانب الاتفاق أوالاختلاف بينهما في هذا الموضوع الذي عليه مدار بحثي ودراستي .

ومن هذه الدراسات :

*الصورة الفنية في شعر أبي فراس الحمداني . إبراهيم مصطفى سليمان الدلاهمه . ماجستير

*الاتجاه الوجداني في روميات أبي فراس الحمداني . إلهام عبدا لعزيز الغنام . ماجستير

*شعر أبي فراس الحمداني : دراسة بيانيه بلاغيه . أمينه حسين الموسوي . ماجستير

*الروميات في شعر المتنبي وأبي فراس الحمداني . تحسين كافي طه الآلوسي . ماجستير

*الفروسية في الشعر بين أبي فراس الحمداني وأسامة بن منقذ . : دراسة وموازنة . منى بنت بخيت بن عويبد اللهيبي

*التشبيه في مختارات البارودي : دراسة تحليليه . محمد رفعت زنجير . دكتوراه

*البارودي وشعره الإسلامي . محمد علي احمد الهرفي . ماجستير

معارضات البارودي : دراسه و موازنة . سليمان عبدا لله موسى أبو عزب . ماجستير

*البارودي : حياته وشعره . نفوسه زكريا سعيد . ماجستير

*الأخلاق العربية في مختارات البارودي . أحمد حسن عطوه الغندور . دكتوراه

*شعر البارودي وأثره في الشعر العربي الحديث . محمد سامي البدراوي . دكتوراه

والمأمول من هذه الدراسة بيان أوجه التشابه والاختلاف بين الشاعرين في شعر الحرب ووصفها عندهما وإبراز الخصائص الفنية التي اتسم بها هذا الغرض الشعري في ديوان كل منهما .

إشكالات البحث :

تتمثل الإشكالات التي يحاول البحث عرضها و إيجاد توضيحات علمية لها في المحاور الآتية :

١. التعريف بشعر الحرب ووصفها ، وإبراز رواده في الشعر العربي في العصور الأدبية المختلفة .
٢. الوقوف على مكانة شعر الحرب والحديث عنها بين أغراض الشعر الأخرى ، ومدى دور هذا الفن في إبراز ملامح الشجاعة وغيرها من الصفات النبيلة التي كان العربي يعتز بها في حديثه عن المواجهات الحربية التي وقعت بين المسلمين وأعدائهم .

٣. إبراز الخصائص الفنية لشعر الحرب ووصفها عند الشاعرين : أبي فراس الحمداني والبارودي والوقوف على أوجه التلاقي والاختلاف بينهما ، وبيان مدى تفوق أي منهما على الآخر في هذا النمط الشعري .

أهداف البحث :

١. التعريف بالشاعرين ؛ أبي فراس الحمداني والبارودي ، وبيان أهم معالم الالتقاء والاختلاف في حياة كل منهما .

٢. الموازنة بين الشاعرين في حديثهما عن شعر الحرب ووصفها ، وتصوير أحداثها والآلات الحربية التي كانت عدة الحرب في القرن الرابع الهجري (عصر أبي فراس) والقرن الثالث عشر الهجري (عصر البارودي).

٣. الوقوف على أبرز السمات الفنية لشعر الحرب وتصويرها عند الشاعرين ، والموازنة بينهما فيها .

٤. الوقوف على بعض النصوص الشعرية مع تحليلها ونقدها وبيان خصائصها من خلال الموازنة بين الشاعرين في الأفكار والمعاني المختلفة .

أهمية موضوع البحث

١. تجلية شعر الحرب ووصفها وملامح هذا الشعر من خلال دراسته عند شاعرين أحدهما يمثل الشعر العربي القديم والآخر يمثل رائد الشعر العربي الحديث .

٢. الوقوف على مدى التشابه والتباين في النظر إلى مقومات شعر الحرب ووصفها وعناصره في الأدب العربي قديمه وحديثه ، من خلال دراسة هذه المقومات والعناصر في شعر الشاعرين والموازنة بينهما في تناولها .

٣. محاولة سد النقص في المكتبة الأدبية في ميدان دراسة شعر الحرب المصور لها ولعناصرها .

٤. الوقوف على مكانة شعر الحرب ووصفها عند شاعرين من كبار الشعراء العرب في العصرين العباسي والحديث .

منهج البحث :

يعتمد البحث المنهج الوصفي مع التحليل والنقد ، وذلك من خلال نماذج من شعر الحرب ووصفها عند الشاعرين أبي فراس والبارودي والموازنة بين هذه النماذج ، وبيان مدى تفوق كل منهما على الآخر في تناول المعاني والأفكار واللغة والصورة ، ونحو ذلك من الخصائص الفنية وخصائصها الفنية .

هذا ويتكون البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة . على النحو الآتي :

- المقدمة : و تتناول أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، والدراسات السابقة فيه ، والإشارة إلى منهج البحث .
- التمهيد : في التعريف بشعر الحرب في الأدب العربي والتعريف بالشاعرين ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : في التعريف بشعر الحرب وتطور عناصرها في الأدب العربي وصلة ذلك بشعر الفروسية وشعر الحماسة وشعر الملاحم وشعر الفتوة ، وقد قمت بتعريف شعر الفروسية وشعر الحماسة وشعر الملاحم وشعر الفتوة لغة واصطلاحا ، ثم قمت بعد ذلك باستخلاص صلة شعر الحرب منها وذكرت ارتباطه الوثيق بشعر الفروسية وشعر الحماسة وشعر الملاحم وشعر الفتوة .

المبحث الثاني : في التعريف بكل من أبي فراس والبارودي ، وذكرت أوجه التشابه بين الشاعرين في حياتهما الشخصية والاجتماعية والسياسية والحربية.

- الفصل الأول : مقومات الحرب وصورتها في شعر الشاعرين والموازنة بينهما ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : آلات الحرب وصورتها في شعر الشاعرين والموازنة بينهما ، وقد تناولت أهم الآلات الحربية التي تناولها الشاعران وما يكون عونا للمحارب في المعركة مما يجلب له النصر والتمكين ، ثم قمت بالمقارنة بين ألفاظ الشاعرين وذِكر أوجه التشابه والاختلاف بينهما .

المبحث الثاني : صورة الفارس والجند في شعر الشاعرين والموازنة بينهما . وقد تناول الشاعران هذا الموضوع بطريقة واسعة مما جعلني أُقَسِّم شعريهما في هذا المجال تحت عناصر وموضوعات ثم أوازن بينها وأذكر أوجه التشابه والاختلاف بينهما .

المبحث الثالث : تصوير أحداث المعركة في شعر الشاعرين والموازنة بينهما ، وقد تناول الشاعران هذا الموضوع بالوصف الدقيق وخاصة لدى البارودي ، ولاحظت أنَّ فرحة النصر والتمكين قد حدت بهما للوصف الدقيق في هذا الموضوع ، ثم بعد ذلك قمت بالموازنة بين شعريهما لوصف المعارك وذكرت سبب قلته عند أبي فراس .

- الفصل الثاني :الخصائص الفنية لشعر الحرب ووصفها عند الشاعرين والموازنة بينهما فيها ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : المعجم الشعري لشعر الحرب عند الشاعرين ، وتناولت فيه الحديث عن الألفاظ المتعلقة بالحرب والألفاظ المتعلقة بالكون والألفاظ المتعلقة بالوقت والزمن وكيف استطاع كل من الشاعرين توظيفها لخدمة شعره الحربي .

المبحث الثاني : العاطفة ، وقد تناولت في هذا المبحث تعريفها في العصر القديم والحديث ، وذكرت بأن عاطفة الفخر كادت أن تستولي على شعر الحرب عند الشاعرين ، ثم تناولت العاطفة الحزينة والعاطفة المولعة بالحب والغزل وأثر ذلك في شعر الحرب لدى الشاعرين .

المبحث الثالث : الصورة الفنية في شعر الحرب عند الشاعرين ، وقد تناولت فيه الصورة الكلية والصورة الجزئية وكيف استطاع كل من الشاعرين أن يصوغهما في قالب رائع يأسر المتلقي .

المبحث الرابع : الموسيقى الشعرية ، وقد تناولت الحديث عن الأوزان والبحور الشعرية وذكرت الموضوعات التي تناولها الشاعران مرتبة تحت موضوعات متعددة ، كما تناولت في هذا المبحث دراسة القافية المطلقة والمقيدة وحاولت أنْ أبين القافية التي غلبت على شعر كل من الشاعرين وعلاقة ذلك بالانفعالات النفسية ، كما تناولت في هذا المبحث الموسيقى الداخلية وعلاقتها بالموسيقى الخارجية في إعطائهما للأبيات لونا من الفخامة والجزالة .

- الخاتمة : وفيها ذِكْرٌ لأهم النتائج ، ثم يليها فهرس المصادر والمراجع ثم فهرس الدوريات .

هذا وقد اعتمدت في هذا البحث على ديواني الشاعرين وعلى كثير من المراجع الأدبية والنقدية والتاريخية التي أسهمت في إثراء هذا الموضوع ودعمه بكل ما يتعلق بهذا البحث .

وأخيرا أشكر الله تعالى على توفيقه وإعانته لي لإتمام هذا البحث ، كما أشكر أستاذي ومعلمي الفاضل سعادة الأستاذ الدكتور : إبراهيم سعد قنديل – المشرف على هذا البحث _ فله كل الشكر والعرفان والامتنان لما بذله من جهد وعناية ، وجزاه الله خير الجزاء ، كذلك أشكر أستاذي الجليلين المناقشين لهذا البحث وهما: الأستاذ الدكتور / عدنان عبيدات ، والأستاذ الدكتور/ المختار الفجاري ، على قراءتهما لهذا البحث على الرغم من شواغلهما الكثيرة ، كما أشكر جميع أساتذتي وكل من ساعدني لإتمام هذا البحث .

وأسأل الله أنْ يجعل هذا البحث منبعا يرتوي منه أبناء العربية وكل من اهتم بهذه اللغة المباركة ،

والحمد لله رب العالمين .

التمهيد

التعريف بشعر الحرب في الأدب العربي وبالشاعرين وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول :**

في التعريف بشعر الحرب و صلته بشعر الفروسية و شعر الحماسة و شعر الملاحم و شعر الفتوة .

- **المبحث الثاني :**

في التعريف بالشاعرين أبي فراس الحمداني و البارودي .

المبحث الأول :

في التعريف بشعر الحرب و صلته بشعر الفروسية و شعر الحماسة وشعر الملاحم و شعر الفتوة .

الحرب لغة :

نقيض السلم ، وحرَّبته تحريباً أي حرَّشته على إنسان فأولع به وبعداوته (١) . ويقال : أنا حرب لمن حاربني : أي عدو ، وفلان حرب فلان : أي محاربه (٢) . ورجل حربٌ ومِحربٌ ومِحرابٌ شديد الحرب شجاع(٣) . وقوله تعالى ﴿ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ ﴾ (٤) . أي بقتل (٥) . والحرب : نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له ، في الحديث : الحارب المشلِّح أي : الغاصب الناهب الذي يُعري الناس ثيابهم(٦). والحرب أيضا : القتال بين فئتين (و الحرب) الويل والهلاك ، ويقال قامت الحرب على ساق أي:اشتدَّ الأمر وصعب الخلاص منه (٧) . وقد وردت كلمة (حرب) في القرآن الكريم بمعنى القتال ، قال تبارك وتعالى :﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(٨) أي: في القتال(٩).

---

١. الفراهيدي ،الخليل بن أحمد:العين .تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي.دار مكتبة الهلال.مصر ، ٣ / ٢١٣ .
٢. ابن سيده،أبو الحسن علي بن إسماعيل:المحكم و المحيط الأعظم في اللغة. تحقيق مصطفى القادر وحسين نصار. مطبعة مصطفى اليابي الحلبي و أولاده . مصر . ط ١ / ١٣٧٧هـ . ، / ٢٣٤ .
٣. ابن سيده،أبو الحسن علي بن إسماعيل:المخصص. تحقيق خليل إبراهيم جفال . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ط ١ / ١٤١٧ هـ ، ٢ / ٥٢ .
٤. سورة البقرة آية رقم ٢٧٩ .
٥. القرطبي،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري:الجامع لأحكام القرآن الكريم. دار الكتاب العرب. القاهرة .ط/ ١٣٨٧هـ،٦/ ٢٤٠ .
٦. الأزهري،أبو منصور محمد بن أحمد:تهذيب اللغة. تحقيق عبد السلام هارون . مراجعة محمد علي النجار . المؤسسة المصرية العامة للتأليف . القاهرة . ط/ ١٣٨٤هـ ، ٥ / ٢١ .
٧. مصطفى،إبراهيم وآخرين:المعجم الوسيط. تحقيق : مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ط ٤ / ١٤٢٥ هـ ، ١ / ١٦٣ .
٨. سورة الأنفال آية رقم ٥٧ .
٩. القرطبي،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري:الجامع لأحكام القرآن الكريم.،٨ / ٣١ .

وبهذه المعاني اللغوية لكلمة (حرب) يتبين أنها دالة على إبراز العداوة ونبذ صور السلام التي لا يمكن العيش إلا من خلالها ، وهي مع ذلك قائمة بين عداوة القول والفعل ، فلا يتم إشعال الحرب إلا بالكلام ولا تدور رحاها إلا بالقتال ، وهذان أصلان ينتج من خلالهما معاني الظلم والبغي والعدوان .

كما يقول الشاعر (١)

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها كلام (٢)

وبذلك نجدها اشتملت في معناها اللغوي على العداوة والنهب والهلاك والويل والقتل ، فالعداوة نابعة من القلب الذي يمهد الطريق للقتل والنهب ونهاية المطاف تجُرُ الويل والثبور والتفجع الناتج عن صور المآسي والنكال . وفي هذا المعني يقول زهير بن أبي سلمى : (٣)

وما الحرب إلا ما علمتمْ وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ(٤)

مـــــتى تبعثوها تبعثوها ذميمةً وتضر إذا ضريتموها فَتَضْــرَمِ(٥)

فتعرُككُمْ عرك الرحى بثفالهـــا(٦) وتلقح كِشافا ثمَّ تنتج فتُتْئِــمِ(٧)

---

١. لنصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني.ولد عام ٤٦ هـ و توفي عام ١٣١ هـ .انظر الأعلام للزركلي .ط/ ١٥ /٢٠٠٢ م، ٨ / ٢٣ .

٢. الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر:البيان والتبيين. دار صعب . بيروت . ط ١ / ١٩٦٨ م ، ١ / ٩٧ .

٣. زهير بن أبي سلمى بن رباح المزني . حكيم الشعراء في الجاهلية توفي ١٣ ق هـ . انظر الأعلم للزركلي ط/ ١٥ / ٢٠٠٢ م ،٣ / ٥٢.

٤. المرجم : القذف بالغيب والظن . انظر : لسان العرب لابن منظور ط/ ١ . دار صادر ببيروت ، ١٢ / ٢٢٦ .

٥. تضرم : تشتعل وتلتهب . انظر : لسان العرب لابن منظور ط/ ١ . دار صادر ببيروت ، ١٢ / ٣٥٤ .

٦. ثفال الرحى : الجلدة التي توضع تحت الرحى . انظر: لسان العرب لابن منظور ط/ ١. دار صادر ببيروت ، ٧ / ٢٥٠ .

٧. أبو سلمى، زهير :ديوان زهير بن أبي سلمى . دار صادر . بيروت . ط/ ١٣٨٤ هـ . ص ٨١ -٨٢ .

الحرب اصطلاحا :

تعددت التعريفات الاصطلاحية للحرب ، لكن نلحظ مع هذا التعدد أن المفهوم الاصطلاحي للحرب اختلف في لفظه واتفق في معناه ، فمن العلماء من وصفه بالنضال المسلح ، ومنهم من وصفه بأنه حسم للخلاف باستخدام السلاح ، ومنهم من وصفة بإرادة الانتقام والتنازع من أجل الحياة وما يرتبط بمقوماتها التي تضمن لها البقاء ، وهذا الخلاف في وضع تعريف جامع مانع للحرب راجع لأسباب أربعة (١) :

أولا : أن مفهوم الحرب يتأثر بما تمليه ثقافة العصر على المختصين ؛ حيث نجد أن كل مؤلف يُعرِّفُ الحرب وفقا لمفهومه الخاص الذي اكتسبه من ثقافة عصره .

ثانيا : توسيع معنى الحرب في نظر المنظرين ؛ بسبب التقدم الحضاري للإنسان في المجالات المختلفة : الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها .

ثالثا : اختلاف تفسيرات المفكرين لظاهرة الحرب ؛ حيث نجد تفسيرات جعلت الحرب ظاهرة اجتماعية ، وهذا الذي ذهب إليه ابن خلدون ، وتفسيرات ترى أن الحرب ليست ظاهرة اجتماعية بل غريزة حيوانية هدفها الاقتتال ، وتفسيرات ترى الحرب دائمة الحدوث والوجود في المجتمع البشري وأن الإنسان طورها، وهذا التنوع في تفسير ظاهرة الحرب له أثره البارز في اختلاف آراء المفكرين حول مفهوم الحرب .

رابعا : تباين زوايا الرؤيا إلى الحرب و لاسيما النواحي القانونية أو الاستراتيجية أو الأخلاقية ، فمن الزاوية القانونية يمكن النظر للحرب على أنها الوضع القانوني الذي يجيز لطرفين أو أكثر ممارسة الصراع بالقوة المسلحة ، ومن الزاوية الاستراتيجية ينظر إلى الحرب على أنها عمل من أعمال العنف ، أما من الزاوية الأخلاقية فينظر للحرب على أنها ليست آفة أو داء عضالا و إنما هي أعراض ذلك الداء أي أنها ليست مشكلة في حد ذاتها بل عرض لمشكلة ما .

---

١. العزاوي،فارس طالب:مفهوم الحرب ومرتكزاته السياسية دراسة مقارنة بين النووي وموورجانثو.دار حضرموت.ط١/٢٠١٠م. ص١٠١-١٠٤ بتصرف .

وسأذكر في ما يلي تعريفات جامعة لمفهوم الحرب اصطلاحا :

أولا: عرف ابن خلدون الحرب على أنها "إرادة انتقام بعض البشر من بعض ، ويتعصب لكلٍّ منها أهل عصبيته ، فإذا تذامروا (١) لذلك وتوافقت الطائفتان ، إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تُدافع ، كانت الحرب وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل"(٢).

وفي هذا التعريف يشير ابن خلدون إلى الانتقام الذي هو المكافأة بالعقوبة(٣)بحيث يقابلها الدفاع عن النفس ، وهذه العقوبة قد تكون بحق أو بغير حق ؛ وبهذا يتطلب من الطائفتين إعداد العدة وتجهيز الفرسان وترتيب الصفوف وحمل السلاح ، لأن مع هذه الحرب قامت العصبية التي تضيف أكثر من طرف لكل طائفة، "ومن صلتها النُعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة . فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العَداءِ عليه ، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك"(٤).

ثانيا: ويُعرف محمد فريد وجدي الحرب بأنها "تنازع الطوائف البشرية على الحياة وما يتعلق بها من الشؤون..."(٥).

ثالثا: في دائرة المعارف "الحرب عبارة عن مبادلة الأفكار مبادلة دموية بضرب السيف وإطلاق المدافع"(٦).

رابعا: يعرفها الدكتور عبد العزيز سرحان : "بأنها نضال مسلح بين الدول بقصد تحقيق غرض سياسي"(٧).

---

١. التذامر مأخوذ من تذامر القوم أي:حث بعضهم بعضا وذلك في الحرب.انظر:الصحاح في اللغة ،٢٢٨/١.

٢. ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد:مقدمة ابن خلدون.تحقيق درويش الجويدي.المكتبة العصرية.بيروت.ط/ ١٤٢٥ هـ .ص ٢٤٧ .

٣. انظر : لسان العرب لابن منظور . دار صادر . بيروت ، ١٢/ ٥٩٠.

٤. ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون. ص ١٢٢ .

٥. وجدي،محمد فريد:دائرة معارف القرن العشرين. دار المعرفة . بيروت . ط٣/١٩٧١م ،٣٨٩/٣ .

٦. البستاني،المعلم بطرس:دائرة المعارف. دار المعرفة . بيروت . بدون تاريخ ، ٧٧٩/٦ .

٧. سرحان،عبد العزيز محمد:مبادئ القانون الدولي العام.مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي . القاهرة .بدون تاريخ .ص٥٣٠ .

خامسا: يعرفها فارس العزاوي بقوله "الحرب ظاهرة اجتماعيه يتم اللجوء إليها في حالة الضرورة عند عجز الوسائل السلمية في دفع الأزمة ووضع الحلول المناسبة"(١).

سادسا: وفي القاموس السياسي تُعرَّف الحرب بأنها "صراع مسلح ينشب بين الدول (أو القبائل) يتميز بأن كلا الطرفين المتنازعين يفرض سلطانه على جزء معين من الدولة (أو من أرض القبيلة)"(٢).

سابعا: يُعرف جعفر عبد السلام الحرب بأنها "كفاح مسلح بهدف تغليب مصلحة سياسية لها مع اتباع القواعد التي يقررها القانون الدولي(أو القانون القبلي)"(٣).

ثامنا: يرى محمد طه بدوي أنَّ الحرب "عمل من أعمال العنف يُستهدف به إكراه الخصم على تنفيذ إرادة المستولي"(٤).

تاسعا: "وقد تدل كلمة (الحرب) على (القتال) بالمعنى المادي ، أو على (حالة الحرب) بين جماعتين أوأكثر ، والمعنيان قد استعملا في النظام الشرعي لجزيرة العرب أيام الجاهلية . ولم تكن في الجاهلية سلطة منظمة ، ومن ثَمَّ أصبحت الحرب أساسا للعلاقة بين القبيلة والقبلية ، وكان السلام لا يسود إلا إذا اتفقت عليه القبيلة أوقبيلتان . زد على ذلك أن الحرب كانت تؤدي أغراضا من قَبِيل الثأر ومقابلة المثل بالمثل"(٥).

---

١. العزاوي،فارس طالب:مفهوم الحرب ومرتكزاته السياسية دراسة مقارنة بين النووي وموركانثو. ص١٠١ .

٢. عطية الله،أحمد:القاموس السياسي. دار النهضة العربية . القاهرة . ط٣/١٩٦٨م . ص٤٤٤ .

٣. عبدالسلام ،جعفر:قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية.مكتبة السلام العالمية للطبع والنشر.ط/ ١٩٨١م . ص ٦٩٤ .

٤. بدوي،محمد طه:مدخل إلى علم العلاقات الدولية. دار النهضة العربية . القاهرة ، ط/ ١٩٨٦م . ص٣٧ .

٥. هوتسما، م . ت وآخرين:موجز دائرة المعارف الإسلامية. مركز الشارقة للإبداع الفكري . ط١/١٤١٨هـ ،١١/٣٥٢٦ .

ومما سبق يتضح لنا أن الحرب في مفهومها الاصطلاحي قد تناولت معاني الصراع والنزاع والانتقام المؤدي إلى سفك الدماء وإراقتها ، ويمكن تلخيص هذه المفاهيم الاصطلاحية للحرب في القول بأن الحرب هي :التخطيط والتنظيم المسلح بين طرفين ؛ الذي يسعى إلى تحقيق أهداف ورغبات شخصية أوجماعية تحت قهر السلاح وإزهاق الأرواح ، والقضاء على لغة الحوار والشورى بين الطرفين والحلول السلمية التي تضمن الحفاظ على أرواح المنكوبين وممتلكاتهم العامة والخاصة ، وينتهي بانتصار أحد الطرفين أو إخضاع الخصم المغلوب لمطالب الطرف المنتصر عنوة وقسرا . لذلك فإنَّ الحرب حقيقة فطرت النفس عليها من أجل الصراع على وسائل العيش وسبل الحياة السعيدة بغض النظر عما تخلفه من تدمير للمقدرات والممتلكات لأنها " ظاهرة من ظاهرات الحياة ، لا سبيل إلى دفعها ولا مفر من الاستعداد لها"(١) . وقد بدأ الصراع بين البشرية في الأرض منذ أن نزل فيها آدم عليه السلام بأمر من الخالق تبارك وتعالي عندما عصى أمره ، وكان سفك الدماء من الفساد في الأرض ، قال تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٢) أي :"قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل"(٣) ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٤)، فذكر الملائكة أن هذا الخليفة سيكون منها من هو أهل للخير وأهل للشر ، وغلَّبوا الشر على الخير لأنه الأكثر شيوعا و"لأن من كان من شأنه الفساد والسفك لا يصلح للتعمير لأنه إذا عمر نقص ما عمره"(٥).

---

١. فرج،السيد:شوقي والمتنبي نظرات في الجندية والحرب. مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ط١/١٩٥٩م . ص ١٩ .

٢. سورة البقرة آية رقم (٣٠) .

٣. ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر:تفسير القرآن العظيم. تحقيق سامي بن محمد سلامة . دار طيبة للنشر و التوزيع. ط٢/١٤٢٠هـ،١/٢١٦ .

٤. سورة البقرة آية رقم (٣٠) .

٥. ابن عاشور،محمد الظاهر:التحرير والتنوير. مؤسسة التاريخ العربي . بيروت . لبنان . ط١/١٤٢٠هـ ،١/٣٨٨ .

ولا شك في أن الشعر العربي هو ديوان العرب الذي حمل بين طياته حضارة العرب وتقدمها وعلو مجدها وكيف حازت قصب السبق لهذه المكانة ، كما كان الشعر العربي يساير الحروب والمعارك ، ويقف إلى جانبها مؤيدا لها وملهبا نارها ، وفي المقابل يبرز الشعراء في ساحة القتال يرسلون سهام أشعارهم حتى لهي في المعركة أشد من وقع السهام ، كما جاء في الحديث الصحيح "من حديث أنس رضي الله عنه قال :دخل النبي ﷺ مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيلــه ويذهل الخليل عن خليلــه

قال عمر : يا ابن رواحة في حرم الله و بين يدي رسول الله ﷺ تقول هذا الشعر ؟ فقال النبي ﷺ:(خل عنه فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من قع النبل)"(١) ، وقد حظي شعر الحرب بمكانة عظيمة عند الشعراء ، فهو تاريخ حافل بالتضحيات التي قدمها الأبطال السراة ، وهو دستور يقدم للأجيال حقيقة الحرب وتفاني الفرسان في ساحة القتال دفاعا عن الأعراض و ذودا عن الممتلكات ونصرة للمظلوم . فكان شعر الحرب "أقوى ما نظم الشعراء وأنقاه ، لأنه يتصل بالأمة فيضم مجد ماضيها إلى عزة حاضرها ، و هو وحده سجل فخرها و عنوان بأسها و نشيد بطولتها ، لأنه يصور بأس الأبطال في ساعات اللقاء الحاسمة ، ورصد اللحظات الدقيقة التي عاشتها النفوس وهي تمتحن في أعز ما تملك وتمثل على شفاه الفرسان في زحمات التلاحم فكان صوتا من أصوات الهمم ، ولونا من ألوان المنازلة الشديدة التي ملأت أوصافها أغلب معاني اللغة فكان الفخر بالبطولة والفروسية"(٢) .

---

١. الألباني،محمد ناصر الدين:الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب. غراس للنشر والتوزيع . الكويت . ط/ ١.بدون تاريخ ،٧٩٧/١ .

٢. القيسي،نوري حمُّودي:شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري. مكتبة النهضة العربية . القاهرة . ط١/١٤٠٦هـ . ص ٥٨ .

فالشعراء في حالة الحرب يمثلون القوة الإعلامية التي تشارك في الحرب النفسية للخصم ، فهم يحركون الهمم ويوقدون الحماس بين عناصر الجيش ويُذكِّرون المقاتلين بالحمية والثأر ويهزؤون من خذلان الخصم وانهزامهم أمام شجاعة الأبطال ، وعند انتهاء المعركة يقوم الشعراء بإعلان النصر ورثاء الأبطال وهجاء الأعداء لذلك نجد "أن الحرب أقوى المظاهر التي تثير الشعراء وأدعاها لقول الشعر"(١) . ومن هذا المنطلق فشعر الحرب هو الشعر الذي "نرى فيه تسجيلا أمينا للخطوات التي تسبق قيام المعركة الحربية ، ثم وصفا حيًّا للمعارك عند نشوبها ، حتى إذا هدأ أوارها كان للشعر وقوف متأن ، عند بيان نتائجها نصرا أوهزيمة"(٢). لذا فإن شعر الحرب عاش حياة المقاتل وأذكى جذوة شجاعته وجعل من ألسنة الفرسان أناشيد يرددونها وقت خوض المعركة ، فصار الشعر الحربي تعبيرا "عبر فيه الشعراء عن الحس الوجداني الصادق وهو يتردد على لسان المقاتلين ويعبر عن وجدانهم الحي ويعيش معهم لحظات المجابهة الصادقة "(٣) . ولم يتوقف الشاعر عند وصف المعركة التي يخوض غمارها ويصحب شجعانها ؛ بل تعداها إلى وصف أبطال الخصم وذكر محاسنهم وشجاعتهم في إطار ما يسمى بالمنصفات التي عرفت بأنها "مقطوعة أو قصيدة من الشعر يقولها الفارس مصورا خصمه ، أو خصوم قومه ، ومحاولا إنصافهم بإعطائنا صورة حقيقية لشجاعتهم ونبلهم"(٤) . كما تجولت القصيدة الحربية في ميدان المعركة فلم تُبقِ شاردة ولاحقة إلا وصفتها وبينت معانيها ورسمت صورها فجعلت من أحداثها لوحة فنية تتحرك في ذهن السامع يعيش معها أجواء المعركة ، فمن مبارزة إلى التحام للصفوف ثم اشتباك بالسيوف وتطاير للرؤوس وحمحمة الخيل وصهيل الفرس . لذا كان شعر الحرب عند العرب "هو أقوى ما نظم الشعراء العرب و ألصقه بنفسية العربي وأوشجهُ بوجدانه"(٥).

---

١. عبد ربه ،محمود حسن:الحرب في شعر المتنبي. دار الشروق . جدة . ط١/١٣٩٨هـ ،٢٩٣/١ .

٢. الجهني،زيد بن محمد:شعر الحرب بين البحتري والمتنبي.مطبعة الجامعة الإسلامية . المدينة المنورة .ط١/١٤٢٩هـ ،١٨٨/١

٣. القيسي،نوري حمُّودي:شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري. مكتبة النهضة العربية . القاهرة . ط١/١٤٠٦هـ . ص ١٨ .

٤. عبد الرحمن ،عفيف:الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي. دار الأندلس . بيروت . ط١/١٩٨٤م . ص٣٠٢ .

٥. الخطراوي،محمد العيد:شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس و الخزرج. مؤسسة علوم القرآن . دمشق . ط/١٤٠٠هـ . ص ١٨٢ .

وحسبما أعلم فليس ثمة تعريف جامع لشعر الحرب في كتب الأدب ؛ بل نجد وصفا عاما له في أغلب ما تناوله الكُتاب في الحديث عن هذه القضية ، لذا يمكن أن يُعرَّف شعر الحرب بأنه : منظومة من المعاني والأفكار والصور والأخيلة التي يستوحي الشاعر مفرداتها من ميدان المعركة وساحة القتال القائم بين طرفين أوأكثر ، حيث تُصاغ في قالب شعري متكامل يصف ويصور قوتها وضعفها وشدة ضراوتها والغاية التي تهدف إليها ، معتمدا على وصف فرسانها وعتادها وتصوير التحامها ، وما تؤول إليه من نصر مظفر أوهزيمة ساحقة . لذا فقد خَلَّدَ لنا التأريخ هذا الشعر الحربي بين تلك القصائد الجاهلية التي وصفت لنا الحرب وصفا لا نظير له ، فقد كانت القبائل تغزو من أجل تحقيق أهداف شخصية أومن أجل البحث عن الطعام والكلأ والماء ، فهم يغزون من أجل "الرغبة في السلب ونهب ما عند الآخرين من أموال وأنعام ، وسبي النساء، وأسر السراة من الرجال طمعا في الفدية ، كانوا يقومون بهذه الغارات إما للثروة وإما للمتعة ، وإما لإظهار الشجاعة والبأس والقوة وإضعاف الآخرين والنيل من شرفهم ، حتى يرهبهم الناس ، ولا يفكر أحد في غزوهم"(١) ، فالقصيدة في العصر الجاهلي التي تناولت شعر الحرب شاركت في استنفار الهمم وتحفيز الأبطال لخوض المعارك التي تظهر فيها بسالة الشجعان وجبروت الفرسان فكان الشعر الحربي "يستنفر الملوك، و يحرضهم على القتال ، فقد يستنفر ملكا على إحدى القبائل قتالا وتحريضا لعداوة موغلة في نفس شاعر ، أو يستنفر قبيلة و يحرضها على أخرى ، أو فردا يحرضه على آخر فيقتله ، ثم تبدأ سلسلة الأخذ بالثأر"(٢)، فالعربي في الجاهلية يعيش في ظل قانون القبيلة التي يتم التحاكم إليه عند نزول الملمات أمام قائد القبيلة أوفارسها ، وعادة لا يُنصَّبُ لهذا المنصب إلا المغوار الذي خاض المعارك وفتق الأمور بحكمته ومشورته ومع ذلك كانت الحروب هي العامل المهم في الحفاظ على حياة أهل القبيلة وتوفير سبل العيش بحق أو بغير حق، فكانت الحرب في العصر الجاهلي "تقوم من أجل السيطرة على موارد الكلأ أو المرعى أو الماء ، وكذلك

---

١. الدقس،كامل سلامة:وصف الخيل في الشعر الجاهلي. دار الكتب . الكويت . ط/١٣٩٥هـ . ص ٦٩ . ٧٠ .

٢. الشعيبي ،علي شواخ:ملامح اجتماعية في الشعر الجاهلي و الإسلامي. دار الرفاعي . الرياض . ط١/١٤٠٦هـ . ص ٣٠.

كانت تقوم للأخذ بالثأر كما ثار المهلهل للأخذ بثأر أخيه الذي قتله جساس ، وكذلك من أهدافها الغدر وحماية الشرف والعرض"(١) . فالبحث عن الرزق يجعل الأنفس في عمى عن معرفة الحق والبعد عن الظلم "لأن أرزاقهم في رماحهم ، ومعاشهم في أيدي غيرهم"(٢) ، ولم تقتصر أهداف الحرب في هذا العصر على البحث عن سبل العيش بل تعدتها إلى حب الرئاسة والشهرة التي تمتزج بالعصبية القبلية التي تؤجج نار الكراهية والحقد بين أفراد المجتمع الواحد نفسه أومع غيره ؛ لأنهم "كلفون بالشرف و الرئاسة ، كما حدث بين هاشم وأمية بمكة ، وبين عبس وذبيان من قيس ، وبين بكر وتغلب من ربيعة ، وبين دارم ويربوع من تميم"(٣) ، ولما في النفوس من ضغائن وحقد دفين فقد كانت الحرب توقد نارها بسبب ذلك بل لأقل منه ، لأن الظاهر يصور تفاهة السبب لكن وراء السبب تظهر خفايا النفوس ، فهذه الحروب في بعض الأحيان"تنشأ لأسباب توافه في الظاهر ولكنها وليدة ضغن وقرته الصدور ، كحرب الفجار أوحرب عبس وذبيان"(٤) ، وفي هذا المعنى يقول زفر بن الحارث الكلابي: (٥)

لعمري لقد أبقت وقيعة راهــط لمروان صدعا بينــا مــتنــائــيــا

وقد ينبت المرعى على دِمنِ الثرى وتبقى حَزَارات النفوس كما هيا (٦)

---

١. عبد ربه،محمود حسن:الحرب في شعر المتنبي. دار الشروق . جدة . ط١/١٣٩٨هـ ،١/٤٠٠ .

٢. الحوفي،أحمد محمد:الحياة العربية من الشعر الجاهلي. دار النهضة . مصر . ط٤/١٣٨٢هـ . ص ٢٣٠

٣. المرجع السابق . ص ٢٣٠ .

٤. المرجع السابق . ص ٢٣٢ .

٥. هو زفر بن الحارث الكلابي ، أبو هذيل ، أمير من التابعين ، توفي نحو٧٥هـ ، انظر : الأعلام . للزركلي . دار الملايين . ط/١٥/٢٠٠٢م ،٣/٤٥ .

٦. البحتري،أبو عبادة:الحماسة. المطبعة الرحمانية . مصر ، ط١/١٩٢٩م . ص ١٧.

وغزارة الشعر في الجاهلية راجعة لكثرة حروبها الطاحنة وغاراتها المتتالية ، ولعل من أشهرها في الجاهلية حرب داحس والغبراء التي دارت بين قبيلة عبس من جهة وقبيلتي فزارة وذبيان من جهة أخرى ، كما أنَّ قلة الشعر راجعة لقلة الحرب ، يقول ابن سلام : "كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويغار عليهم"(١) ، لأن من عادتهم البحث عن مواطن الخصب وإجارة المستجير وحماية الجار والعرض والأخذ بالثأر ، فكان لزاما أن يستولي الشعر على تدوين هذه الأمور وبيان مبرراتها .

إن العربي في الجاهلية قد رضع الحرب حتى سرت في كل أعضائه وارتوى من تجاربها ما يجعله يعيد الكرة بعد الكرة في مجال الحرب "فقد كانت الحرب تجري في حياة العرب مجرى الدم في العروق ، فهم مفطورون عليها نظرا لطبيعة بلادهم الجغرافية من جهة ، ثم تعصبا للقبيلة وحفاظا على سمعتها وشهرتها حتى ولو كان ذلك الصراع بين الأقارب أنفسهم"(٢) ، فنجد الفارس في المعركة شاعرا يترنم بالفخر في ساحة القتال ويناشد الخصم للنزال ، ويحفظ المقاتلون أبياته ويرددونها أثناء المعركة والمبارزة ، فيجمع الفارس في المعركة بين الفروسية والشعر والحكمة ورباطة الجأش ، وفي هذا المعنى يقول الشاعر طفيل الغنوي (٣):

وفينا ترى الطُّولى وكُلَّ سَميـــدع مُـــدرَّبٍ حَـرِبٍ وابن مُـــدرَّبِ

طويل نجاد السيف لم يرض خُطَّةً من الخسف ورَّادٍ إلى الموت صقعــبِ

وفينا رباط الخيل كُلُّ مطَهَّمٍ رجيلٍ كـــسرحان الغضا المتأوِّبِ (٤)

---

١. الجمحي،محمد بن سلام:طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمود محمد شاكر . دار المدني . جدة . ط /١٤٠٠هـ . ٢٥٩/١ .

٢. عبد ربه،محمود حسن:الحرب في شعر المتنبي،٢٨٨/١ .

٣. طفيل بن عوف بن كعب الغنوي شاعر جاهلي فحل من الشجعان ، و هو أوصف العرب للخيل ، توفي نحو١٣ق هـ . انظر : الأعلام للزركلي ، ط٢٠٠٢/١٥م ، دار الملايين . ٢٢٨/٣ .

٤. الغنوي،طفيل:ديوان طفيل الغنوي . تحقيق محمد عبدا لقادر أحمد . دار الكتاب الجديد . بيروت . ط١٩٦٨/١م . ص ٢٠ .

كذلك نجد أن من العوامل المهمة في رفع معنويات المقاتلين ؛ الفخر بالقبيلة وما تقدمه يوم الوغى من أبطال لا يشق لهم في الشجاعة والإقدام غبار ، كما يقول شاعرهم(١) :

إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا ولو نسام بها في الأمن أُغلينا

إني لمن معشر أفنى أوائلهـــم قيل الكماة ألا أين المحامون ؟(٢)

فنفسه رخيصة في سبيل الدفاع عن أهله وقبيلته وتحقيق غاياته ، وهي في المقابل غالية وقت الرخاء والأمن والدعة ، وهذه القبيلة فَنِيَ مقاتلوها لكثرة تلبيتهم لمنادي القتال ونجدة من يستعطفهم . ولاشك في أن صورة الحرب في الشعر العربي في العصر الجاهلي امتلأت بموضوعات مختلفة ، كوصف الفارس من الأبطال والفخر بالقبيلة والدعوة للنزال والمبارزة ووصف أحدث المعركة بداية ونهاية ورثاء الأبطال والبكاء عليهم والدعوة إلى مكارم الأخلاق والقيم النبيلة .

والمتأمل في أغلب ما نُظم في شعر الحرب في العصر الجاهلي يجد أن العرب كانت أمة تعشق سفك الدماء وإزهاق الأرواح وظلم الأقربين وإثارة النعرات الجاهلية المؤدية لقيام الحرب والإفساد في الأرض بقتل الأبرياء وسلب الحقوق ونهب الممتلكات كما صور ذلك كثير من الكتاب العرب ، يقول شوقي ضيف : "تحولت الجزيرة العربية في الجاهلية إلى ما يشبه ساحة حربية كبيرة تقتل فيها العشائر والقبائل ، وفي كل جانب يتصايح الأبطال وتشهر السيوف وتلمع الرماح وتُصوبُ النبال وتدق الأعناق وتسيل الدماء ، والضباع والنسور تتخاطف الأشلاء . وقد يرتفع صوتٌ ضئيلٌ نحيلٌ كصوت زهير بن أبي سلمى بالدعوة والسلام ، وأن تضع الحرب أوزارها ، ولا سميع ولا مجيب . فقد أصبح القتال والحرب والنزال

---

١. الشاعر هو : نهشل بن حري النهشلي ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية و عاش في الإسلام و ليس له صحبة توفي ٤٥هـ .
انظر : الأعلام للزركلي ، ط١٥/٢٠٠٢م ، دار الملايين ، ٨ /٤٩ .

٢. المبرد،محمد بن يزيد:الكامل في اللغة و الأدب.تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .دار الفكر العربي.القاهرة .ط٣/١٤١٧هـ ، ٩٥/١ .

فريضة الحياة"(١) ، وهذا القول قد جانبه الصواب في حد علمي ؛ فقد حول الكاتب الجزيرة العربية إلى مسرح مهاده القتلى والأشلاء وغطاؤه السيوف والرماح ؛ فالعرب في الجاهلية يبذلون كل الأسباب من أجل البعد عن الحرب ويقدمون العهود والمواثيق للحد منها ولهم أشهر يحرم فيها القتال لشناعة الحرب وسوء مصيرها ، وكانت العرب تسميها غولا ، وفي ذلك يقول أبو قيس بن الأسلت (٢) عندما رأته زوجه قادما من الحرب وقد تغير لونه :

استنكرت لونا له شاحبـــا والحرب (غول) ذات أوجاعِ

من يذق الحرب يجد طعمهـا مـــــرا وتتركه بجعـجـاعِ(٣)

وحقيقة الأمر أن الأمة لا تثور إلا إذا واجهتها تحديات كبيرة تحولها من الهدوء إلى الانفجار، كما أنها لا تثور لمجرد نزعة أو شهوة بل لابد لها من أمور تدفعها إلى خوض المعارك والخروج منها بأقل الخسائر ، واستعداد العربي للحرب إحساس غريزي في المحافظة على الحياة والنوع وليس منشأه الدافع العدواني(٤) .

---

١. ضيف،شوقي:البطولة في الشعر العربي. دار المعارف . القاهرة . الطبعة الثانية.بدون تاريخ . ص ١٧ .

٢. هو صيفي بن عامر الأسلت الأوسي الأنصاري . شاعر جاهلي أدرك الإسلام و لم يسلم مات نحو : ١هـ . انظر : الأعلام للزركلي طبعة دار الملايين ٢٠٠٢م ،٢١١/٣ .

٣. الأصفهاني،أبو الفرج:الأغاني. تحقيق سمير جابر. دار الفكر . بيروت . الطبعة الثانية .بدون تاريخ ، ١٢٢/١٧ .

٤. الكبيسي،طراد:شعر الحرب عند العرب قبل الإسلام رؤية منهجية وأخلاقية. دار الشؤون الثقافية . بغداد . ط / ١٩٨٣م . ص ١٧ و ص ١٤١ بتصرف .

وفي عصر الإسلام كان لا بد من التغير الجذري لمعاني شعر الحرب عما كان عليه في العصر الجاهلي ؛ وذلك لإشراق عصر النبوة الذي جاء لتحرير الناس من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد ، فكانت معاني هذا الشعر غنية بكل ما يخدم هذا الدين ويدعو إليه ويناضل عنه ، فلم يشرع القتال إلا بعد الهجرة النبوية بعد أن تم تبليغ الرسالة على أكمل وجه ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ولم تكن بداية الرسالة بالقتال وسفك الدماء كما يزعم أعداء الدين بل كانت بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ (١) ، وقال تعالى﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٢).

والحرب في هذه الفترة ذات أهداف نبيلة تسعى لإنقاذ الناس من ظلمات الكفر وسيطرة الظلم وبغي القياصرة والأكاسرة ؛ من أجل الدعوة إلى الإسلام والقضاء على أعدائه ، كما كانت من أجل صدِّ الاعتداء قال تعالى﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾(٣)، ولم تكن طمعا في غزوٍ أو حُبا في كسب الغنائم ، بل ردا للظلم ونشرا للعدل وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، فكانت موقعة بدر الكبرى وموقعة أحد وموقعة الخندق وحنين من أهم المواقع الإسلامية التي كانت من أجل خدمة هذا الدين ولم تكن لأغراض شخصية أو قبلية أو رفعا لراية العصبية الجاهلية المذمومة ؛ لأن رؤية الإسلام للحرب رؤية شريفة ، فهو يرى "أن الحرب ظاهرة غير مرغوب فيها لأن الأصل في الحياة البشرية هو التفاعل السلمي والحضاري"(٤) ، "ليس كما يراه الماديون من الشيوعية والرأسمالية والملاحدة الذين يرون أن الحرب علاج للشعوب وأنها ظاهرة صحية ، لذلك اقترن مفهوم البطولة بالحرب وبالإنجازات المادية"(٥).

---

١. سورة النحل آية رقم ١٢٥ .

٢. سورة الحجر آية رقم ٩٤ .

٣. سورة البقرة آية ١٩٤ .

٤. الشهابي،إبراهيم يحي:مفهوم الحرب والسلام في الإسلام صراعات وحرب أم تفاعل وسلام . مؤسسة مَـي للطباعة والنشر . ط١/١٣٩٩هـ . ص ٤٤.

٥. المرجع السابق ص ٤٣ .

وبظهور الإسلام تبطل العادات الجاهلية والمعتقدات الشركية والقوانين العدائية التي تُحلُّ سفك الدماء وقتل الأنفس ظلما وعدوانا ، ليحُلَّ مكانها المعتقد الرباني الواحد والدعوة إلى كل خلق كريم والحث على تقوية رابطة الأخوة في الدين والبعد عن النزاعات الدنيوية وتحقيق الهدف الأسمى والأعلى الذي يسعى من أجل نشر هذا الدين المبارك في جميع أصقاع المعمورة ، حتى لا يبقى بيت مدرٍ ولا وبرٍ وحجرٍ إلا دخله هذا الدين بإرادة الله عز وجل ، لأن مبدأ الحرب في الإسلام هو "الدعوة إلى توحيد الله وإعلاء كلمة الحق ، فهو يمثل الدعوة إلى الجهاد والفخر بالاستشهاد والإشادة بالبطولات الإسلامية والمثل العليا والمبادئ الرفيعة "(١). وقد أدرك الرسول ﷺ أهمية الشعر في مجال الدعوة والدفاع عنها لأنه الإعلام الذي يتحدث بلسان المسلمين ، فقرب الشعراء البارعين والمجيدين الذين يدافعون عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين ، وعندما عمرت أفئدة المؤمنين بهذا الدين العظيم قاموا بتبليغه ونشره لأهل الأرض ، فجهزوا الجيوش وأعدوا العدة ، فتقابلوا مع جيوش فارس والروم "وحاصروا حصونهم ، فإذا هي تنقضُّ تحت صلابة إيمانهم من قواعدها "(٢)، و مع هذه الجيوش الفاتحة سارت قوافل الشعراء مقاتلين و منافحين بالسيف و باللسان مع الفاتحين" يثبتونهم ويبثون الحماسة في قلوبهم ، ويصفون معاركهم وغزواتهم كمثل عبدالله بن رواحة وأبي محجن الثقفي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وغيرهم"(٣)، وحدثوا أنفسهم بالزهد وبدناءة الدنيا وحقارتها وذكروا في قصائدهم ما يناله الشهداء عند ربهم بل جعلوا من حديثهم–المتضمن الدفاع عن الدين وأهله– أناشيد يرددونها كما يقول عبدا لله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه(٤):

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

---

١. عبد ربه،محمود حسن:الحرب في شعر المتنبي. دار الشروق . جدة . ط١/١٣٩٨هـ ،١/٣٣٣ .

٢. القاضي،النعمان عبد المتعال:شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام. الدار القومية . القاهرة . ط/١٣٨٥هـ . ص ٣٢ .

٣. السلطان،سلطان بن سعد:الحرب العالمية الثانية في الشعر العربي. جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض .ط/ ١٤٢٣هـ . ص ٢٠ .

٤. عبد الله بن رواحة الصحابي الجليل و الأمير الشهيد ، شاعر رسول الله ﷺ شهد بدرا والعقبة و قتل يوم مؤتة عام ٨هـ أنظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ، تحقيق : الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة . ط١٤٠١هـ ،١/٢٣٠ .

أو طعنة بيدي حران مجـــهزة بحربة تقذف الأحشاء والكبـــدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشدك ربك من غاز وقد رشدا(١)

ولا يزال شعر الحرب في الإسلام حاملا معاني الدعوة إلى التوحيد والدفاع عن العقيدة ، وقد ازدادت العناية بهذا الشعر في العصر الأموي حيث يعد هذا العصر "من أخصب عصور الشعر العربي ، لكثرة غزواتهم وتعدد المذاهب والميول السياسية ، وشاع في شعرهم الصدق والحماسة ، وليس أدلَّ على كثرة الشعر من ذلك السيل الفائض من هذه الأشعار التي حملتها كتب التاريخ كتاريخ الطبري وابن الأثير"(٢)، لأن هذا العصر مليء بالأحداث التاريخية والفتن الملمة ، ومن أهمها فتنة الخوارج الذين خرجوا من جيش علي بن أبي طالب ﷺ وكفروه و حاربوه أشد الحرب من أجل الخلافة التي يرون بعدم بقائها في القرشيين ، فامتاز شعرهم بالقوة والمتانة والمسابقة في تقديم الأرواح والاستهانة بالموت ، ومن شعرائهم قطري ابن الفجاءة(٣) القائل :

أقول لها وقد طارت شعاعـا من الأبطال ويحك لن تراعـــي

فـإنك لو سألــت بقاء يــوم على الأجل الذي لك لم تطـاعي

فـــصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاعـــــي(٤)

كما عني شعراء الدولة العباسية بهذا الشعر وضربوا له أروع الأمثلة في وصف الحرب الإسلامية وذكر التوسعات والفتوحات العملاقة التي أقضت مضاجع الأعداء لأن "هدف الدولة العباسية حماية الثغور الإسلامية ، و الدفاع عن المسلمين الآمنين و نشر الإسلام في البقاع الأخرى"(٥) ، وكان من أكابر شعراء هذه الفترة الذين عنوا بشعر الحرب ؛ أبو تمام والبحتري والمتنبي وأبو فراس الحمداني والسّريُّ الرفَّاء وغيرهم من فحول الشعراء في هذا العصر الذي شهدوا حروب الصليبيين .

---

١. الجوزي،عبد الرحمن بن علي أبو الفرج:صفوة الصفوة. تحقيق محمود فاخوري . دار المعرفة . بيروت . ط٢/١٣٩٩هـ . ص ٤٨٣ .

٢. عبد ربه،محمود حسن:الحرب في شعر المتنبي. دار الشروق . جدة . ط١/١٣٩٨هـ ،١/٣٤٤

٣. قطري بن الفجاءة واسمه:جعونة من رؤساء الخوارج توفي نحو ٧٨هـ ، انظر: الأعلام . للزركلي. دار الملايين . ط٥/٢٠٠٢م ،٥/٢٠٠

٤. عباس،إحسان:شعر الخوارج. دار الثقافة ، بيروت . ط٣/١٩٧٤م . ص ١٠٨ .

٥. الحرب في شعر المتنبي ،١/٤١٩ .

وفي الأندلس كان شعر الحرب من المصادر التي تؤرخ لنا أحداث هذا العصر ، فقد اهتم الخلفاء بالشعراء وأكرموهم وقربوهم ؛ لذلك كانوا "يحرصون على اصطحاب الشعراء والفقهاء وغيرهم في غزواتهم، وكثيرا ما كانوا ينشدونهم مهنئين مادحين خلال الغزو"(١) .

وبعد سقوط الدولة العباسية ثم الدولة الإسلامية في الأندلس استمر شعراء الحرب على نهج السابقين ، لكنه في العصر الحديث اختلف عن سالفه من العصور ؛ وذلك راجع للتطور الهائل في الأسلحة والأنظمة القتالية ، فلم تعد مقابلة الجيوش مصطفة هي الميزة التي امتازت بها هذه الحرب ، بل امتازت بكثرة الأسلحة المتطورة التي تؤدي مهمتها من غير حشد للجيوش و ترتيب للصفوف ، ومن أي مكان وفي أي وقت وفي زمن وجيز تستطيع هذه الأسلحة أن تفتك بآلاف البشر وتدمر ما لا يخطر على البال من الممتلكات مع الحفاظ على أرواح الجيش الغازي ، فوجدت لذلك الطائرات والصواريخ والدبابات والمدفعيات وغيرها من الأسلحة الخفيفة والثقيلة ، ولا تزال الأمم في هذا العصر تتسابق وتتنافس في صناعة الأسلحة ومتطلبات القتال ، فكانت الحرب ولم تزل مرعبة للبشرية في هذا العصر ؛ بل أصبحت الدول الفقيرة مجالا للدول المتقدمة في تجربة أسلحتها الحديثة والمتطورة ، فما كان من شعراء الحرب في هذا العصر إلا الدعوة إلى السلام وتبصير الناس بويلات الحروب وذم الحروب التي تقضي على الأمم وتسحق الآمال وتساوي في القتل بين الظالم والمظلوم ، كما دعوا لوقف مثل هذه الحروب التي لا تجني البشرية من أثارها إلا الويلات والإبادة الجماعية ، فقد اشتدت وطأة الأعداء على المسلمين فنكلوا بهم أشد تنكيل وأفنوا منهم الكبير والصغير والشيخ والرضيع ، فأثرَّ هذا في أدب الحرب في هذا العصر وصارت المعاني في أشعارهم تعج بالعاطفة الحزينة والدمعات المتتابعة ، فما يبكي شعراء الحرب على أمة من المسلمين إلا وينزف جرح جديد في بلد جديد .

---

١. لغزوي،علي:أدب السياسة والحرب في الأندلس. مكتبة المعارف . الرباط . ط/١٤٠٨هـ . ص ٤٠٠ .

كما ظهرت في معاني الشعراء في العصر الحديث الدعوة لمجابهة الأعداء والصبر عند تقابل الجيوش وتذكيرهم بمآثر السابقين وانتصارات الأبطال الفاتحين من المسلمين ، وذكروا في قصائدهم تلك المعارك التي ظفر فيها المسلمون كالقادسية واليرموك ونهاوند وغيرها من المعارك التي كانت نبراسا يسير على نوره الفاتحون الأبطال ، ومن هؤلاء الشعراء الذين دعوا للسلام وذم الحرب "أحمد شوقي في قصيدته (صدى الحرب في وصف الوقائع العثمانية اليونانية) وحافظ إبراهيم في قصيدته (اليابانية الروسية وحرب طرابلس) ومعروف الرصافي في قصيدة (من ويلات الحرب) وخليل مطران في قصيدة (حرب غير عادلة ولا متعادلة) وإيليا أبو ماضي في قصيدة (يورث أريوث) وغيرها"(١).

مما سبق يمكن أن أقول: إن شعر الحرب مرّ بثلاث مراحل أوجزها فيما يأتي :

المرحلة الأولى : مرحلة ما قبل الإسلام وفيها كانت معاني شعر الحرب تدور حول إبراز الشجاعة وأن القبيلة التي تعرف بكثرة غاراتها هي القبيلة التي يجب أخذ الحذر منها ؛ بل يجب التحالف معها من قبل القبائل الضعيفة لتقوى شوكتها وتبرز أمام القبائل الأخرى ، كما اهتمت بالدعوة إلى التحلي بالمعاني السامية والنبيلة وكل ما يرفع من مستوى الفرد والقبلية ، وكذلك اهتم شعراء هذه المرحلة بإثارة العصبية القبيلة والدعوى بدعوى الجاهلية وأن قوة النسب من الأمور التي تبيح لأصحابها سفك الدماء والنيل من ممتلكات الآخرين وأن الحرب قد تقوم لأتفه الأسباب التي تكون سببا في إذكاء حقد دفين .

المرحلة الثانية : مرحلة عصر صدر الإسلام إلى بداية العصر الحديث ، وهذه المرحلة اهتم فيها شعراء الحرب بإظهار معالم هذا الدين الحنيف الذي حرر العباد من الظلم والجور والطغيان ، وذكروا مآثر الإسلام وأنَّ الجنة تحت راية الجهاد ، ووصفوا الأبطال الشجعان والمعارك التي سطرها التاريخ وما قدمه الأبطال من بسالة وتضحية من أجل هذا الدين الحنيف وأن الحرب في الإسلام لها أحكامها وضوابطها التي تمتاز بالعدل والبعد عن الظلم قتل الأبرياء الذين لايد لهم في مجال الحرب .

---

١. السلطان،سلطان بن سعد:الحرب العالمية الثانية في الشعر العربي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض . ط/ ١٤٢٣هـ . ص ٢٣- ٢٤ .

المرحلة الثالثة : مرحلة الحرب في العصر الحديث إلى يومنا هذا ، وامتازت هذه الفترة بتطور الأسلحة والأدوات القتالية بشكل واسع جعل الحرب تنشأ من أجل التحدي المعتمد على قوة السلاح وأن الدولة لا قيمة لها بين الدول إلا بقوة سلاحها ، كما أن تكالب الأعداء على الأمة الإسلامية صار ظاهرا للعيان ، فسطر الشعراء هذه المعاناة التي يمر بها المسلمون وما نالوه من ظلم الأعداء وأكبر قضية تناولها الشعراء هي قضية فلسطين المسلمة التي بسببها سُفكت دماء هذا الشعب ظلما وعدوانا ، كما نادى الشعراء بوقف مثل هذه الحروب الظالمة وذكروا ما تؤول إليه من مصير أليم و نتيجة محزنة ، وسطروا مآثر السابقين من المسلمين الأبطال من أجل بث الحماس في نفوس المسلمين ، نسأل الله تعالى أن يعيد للمسلمين أمجادهم .

صلة شعر الحرب بشعر الفروسية :

أولا : معنى الفروسية في اللغة :

الفَرَس : واحد الخيل والجمع أفراس ، الذكر والأنثى في ذلك سواء ، وراكبه فارس . والفارس : صاحب الفرس والجمع فرسان وفوارس . ويقال رجل فارس بين الفروسية والفَراسة في الخيل ، وهو الثبات عليها والحذق بأمرها . ورجل فارس بالأمر : أي عالم به بصير . والفراسة بالفتح : العلم بركوب الخيل وركضها ، من الفروسية (١) . و(فرس) تدل على وطء الشيء ودَقُّهُ يقولون : فَرَسَ عُنقه إذا دَقَها ، ويكون ذلك قي دق العنق من الذبيحة ثم صير كل قتل فرسا (٢) ، وراكب الفرس فارس أي صاحب فرس(٣) ، كما تطلق على من حذق أمر الخيل وأحكم ركوبها فهو فارس بالخيل ، وفلان صار ذا رأي وعلم بالأمور ، فهو فارس بالأمر ، عالم به بصير ، والفارس : الماهر في ركوب الخيل ، والفرسان في الجيش:المحاربون على ظهور الخيل.(٤)

والمعنى اللغوي يدل على أن الفارس هو المتمرس على ركوب الخيل والعالم بأحوالها والقادر على كيفية التعامل معها وهو في المقابل لابد أن يكون ذا بصيرة وذكاء تساعده على معرفة ركوب الخيل ، ولا يحسن ركوبها إلا من قطع بها الوهاد والقفار وخاض بها المعارك ؛ فإن الفارس الحق هو الذي علمته الحياة كيف يتعامل معها ويحسن التصرف في جميع أحواله .

---

١. ابن منظور،لسان العرب . مادة (ف ر س) .
٢. ابن فارس،أبو الحسين أحمد:معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار الجيل . بيروت . ط١/١٩٨٥م . مادة (ف ر س) .
٣. الفراهيدي،مجد الدين محمد بن يعقوب:القاموس المحيط. دار الفكر . بيروت . ط/١٤٢٠هـ . مادة (ف ر س) .
٤. مصطفى،إبراهيم وآخرين:المعجم الوسيط. تحقيق مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ط ٤/ ١٤٢٥ هـ . مادة (ف ر س) .

ثانيا : الفروسية اصطلاحا :

ليس ثمة مفهوم جامع لمفهوم الفروسية في الأدب ، ولكن نستطيع أن نستنتج مفهوما للفروسية الذي تناول معانيها شعراء الحرب وذلك من خلال معرفة المراد منها في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام وما بعده ، ففي العصر الجاهلي نجد الفروسية "تمثل جانبين من جوانب الحياة الجاهلية ، جانب الحرب وجانب المثل العليا ، وهي في كلتا الحالتين بناء واحد وروح واحدة"(١) ، والمثل العليا من سمات الفارس المغوار ، فتجده كريما عزيز النفس لا يرضى الضيم ولا تذل نفسه عند تغير الزمن وإحاطة المكروه ، لأن هذه الأمور تجعل الفتى الفارس مُقَدما على غيره من الفرسان من أفراد مجتمعه مما يجعله قائدا للمعركة التي تجهز لها قبيلته حيث "يتسلم اللواء عند الحرب ، لتَوَفُرِ مؤهلات الفروسية فيه كالشجاعة والبأس والمهارة في ركوب الخيل ، والقدرة على تدبير أمور الحرب واستعمال السلاح"(٢) .

وقاربت معاني الفروسية في الإسلام ما كانت عليه في العصر الجاهلي إذ جمعت بين الحذق بمعرفة ركوب الخيل والأعمال القتالية ، فقد كان الفارس "شجاعا في القتال صلبا في وفائه لنداء الثأر ، كريما إلى حد التضحية بالنفس ، سخيا مع الضيف الغريب ولو كان هذا الغريب عدوا له"(٣) ، لأن النفس عندما ترتقي عن الأمور الحقيرة ترتقي معانيها وتسمو أخلاقها وتشرف تصرفاتها .

إذن نستطيع القول بإن الفروسية في مفهومها الاصطلاحي هي"البطولة في الحرب والبلاء في المعركة والعفة عند توزيع الغنائم وإطعام الضيف وحماية الجار والذود عن المرأة وتلبية دعوة المستغيث واستجابةً لصرخة المنادي"(٤) إلى غير ذلك من القيم الأخلاق السامية .

---

١. القيسي،نوري حمودي:الفروسية في الشعر الجاهلي. دار النهضة العربية . بيروت . ط/ ١٤٠١هـ . ص ١٣ .

٢. المرجع السابق . ص ٨٨ .

٣. هونكة،زيجريد:الإبل على بلاط قيصر. ترجمة حسام الشيمي . مكتبة العبيكان . ط ١/١٤٢١هـ . ص ٤٤ .

٤. القيسي،نوري حمودي:الفروسية في الشعر الجاهلي. ص ٣١ .

ومما لاشك فيه أن الفارس الذي ركب الخيل وتفنن في ركوبها وانتقل بها بين فجاج المعمورة وشارك في المعارك المختلفة وقدم نفسه من أجل قبيلته ونسبه ؛ هو ذاك المحارب الذي ناضل وتمرس على القتال ، فهو يحمل السلاح ويقتل الأعداء ويغيث المستغيث ويلبي دعوة مجتمعة ويصون أعراضه ويسابق في نجدة المظلوم "فإذا اشتدت الخطوب وتعاظمت الأمور وعلا غبار المعركة وتنادت الخيل وأسرعت إلى بعضها البعض ، تجد فرساننا كراما لا تمل الحروب ولا تعدل عنها"(١) ، وهؤلاء الفرسان في الغالب هم من الشعراء لأن "أصحاب النصوص الحربية كانوا من الفرسان المحاربين ، فلم يكونوا يصفون الحرب من بعيد ، وإنما هم أناس اصطلوا نارها وشربوا من كأسها"(٢) . والشعراء الذين أبلوا بلاء حسنا في المعارك وصوروا أحداثها في المجتمع الجاهلي والإسلامي وما بعده صاروا بين مجتمعهم يلقبون بالفرسان والأبطال ، فهذه المعارك والغزوات جعلتهم "فرسانا لا يهابون الموت ، فهم شجعان أبدا ، يقذفون أنفسهم في المخاطر ويخوضون غمرات المنية ويأبون الذل ويأنفون من الصغار والجبت والهزيمة"(٣) ، وهم لكثرة حروبهم ونجاتهم من الموت يمتلكون سجلا حافلا من التجارب التي تؤهلهم للقيادة وتحري سبل السلامة للغزاة وتدريبهم على ما اكتسبوا من قدرات ومعلومات أنتجتها تلك المعارك التي خاضوا غمارها لأن "أعرف الناس بالحرب هم القادة الشجعان الذين كتبت لهم السلامة من معركة إلى معركة ، وقد اختطفت المنايا جنودهم وأعوانهم" . (٤)

وفي هذا المعنى يقول عنترة بن شداد مخاطبا محبوبة عبلة: (٥)

يخبرك من شهد الوقائع أنـــني أغشى الوغى وأعف عند المغنمِ
ومدججٍ كره الكماة نزالـــــه لا ممعنٍ هربا ولا مستسلـــــمِ
جادت يداي له بعاجل طعنة بِمُثَقَّفٍ صَدقِ الكُعوب مُـــقَوَّمِ (٦)

---

١. المرجع السابق. ص ٢٨.

٢. الخطراوي،محمد العيد:شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس و الخزرج. ص ١٨٤ .

٣. الجبُّوري،يحي.الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه. مؤسسة الرسالة . بيروت ط٨/١٤١٨هـ . ص ٢٩٦ .

٤. أبو غدة،محمد زاهد عبد الفتاح:الشاعر والحرب دراسة للشعر الإنكليزي في حرب القرن العشرين. دار البشائر الإسلامية . بيروت . ط١/١٤١٧هـ . ص ١١ .

٥. هو عنترة بن شداد العبسي ، أشهر فرسان العرب في الجاهلية و من شعراء الطبقة الأولى توفي نحو ٢٢ ق هـ ، انظر : الأعلام للزركلي،٥/٩١ .

٦. العبسي،عنترةبن شداد:ديوان عنترة . شرح الخطيب التبريزي . دار الكتاب العربي . بيروت . ط٢/١٤١٥هـ . ص ١٧٢ .

وعندما كان قادة الحرب هم الفرسان فقد سطر لنا التاريخ قصصا رائعة من قصص الفرسان الذين شهدت لهم الحرب بالقدرة والقوة والشجاعة ، فعُرف الواحد منهم بالفارس وصار ذلك لقبا ملازما له بين أفراد مجتمعة لجمعهم بين الفروسية والمثل العليا ، فالحرب من صفات محاربها أنْ يكون فارسا قادرا على الأمور القتالية مدركا لها ؛ لذلك نجد أن الفروسية مرتبطة بالحرب ارتباطا وثيقا لا يمكن أن نفرق بينهما ، فالحرب مفهوم عام يدخل فيه كل العناصر البشرية والأسلحة وما تتطلبه الحرب من أمور تساعدها على مواصلة مسيرها ، وقد يكون في صفوف المتحاربين من ليس أهلا للحرب بينما الفروسية تميز لنا الأبطال الذين تفخر بهم الحرب وتعتز بوجودهم ، فتجدهم قادة ومبارزين وشعراء وحكماء ، فلا تثمر الفروسية في الحرب "إلا إذا اجتمعت شمائلها في نفس أبية وأقيمت على التنفيذ الآتي من الطبع السليم والرأي الثاقب"(٣) ، فشعر الحرب مرتبط بشعر الفروسية ارتباطا وثيقا لا يمكن الفصل بينهما .

---

١. عبد ربه،محمود حسن:الحرب في شعر المتنبي. ص ٩٤ .

صلة شعر الحرب بشعر الحماسة :

أولا : الحماسة في اللغة :

يقال : (حمس) رجل أحمس أي شجاع ، ونجدة حمساء يريد بها الشجاعة ، وأحماس العرب أي شجعان العرب (١) ، والحمس التشدد في الأمور ورجل أحمس وحمسٌ إذا كان شجاعا(٢) ، والأحمس الشديد الصُّلب والقتال والحماسة الشجاعة (٣) ، وكذالك تطلق على المنع والمحاربة(٤) ، والحماسة أيضا الشدة في كل الأمور(٥) ، كما أنها في المعنى اللغوي أيضا "تدور حول معاني الشجاعة و شدة البأس والمنعة والغضب والهياج والاحتمال والصبر والجرأة وما إلى ذلك من المعاني المتصلة بالحرب والقتال"(٦) ، ويكاد ينحصر مدلول الحماسة لغويا "في الشجاعة الحربية ، وفي القتال من أجل فكرة سامية كالعقيدة والحرمة أو الشرف"(٧) . ومما سبق نستطيع القول بأن الحماسة في المعنى اللغوي هي الشجاعة وكل ما يقترن بها من المعاني السامية لأن المعاجم اللغوية تكاد تتفق "على معنى محدد لكلمة (الحماسة) فتشرحها على أنها مرادفة لكلمة الشجاعة والشدة وهي تدور بها في فلك مفهوم الحرب والاقتتال وما يترتب عليها من معان جزئية أخرى ، ولا تخرج بها عن هذا المفهوم الواضح المحدد"(٨) .

---

١. الفراهيدي،الخليل بن أحمد:العين،١٥٤/٣ .
٢. ابن دريد،أبو بكر محمد بن الحسن:جمهرة اللغة. تحقيق رمزي منير بعلبكي . دار العلم للملايين . بيروت . ط١/١٩٨٧م ، ٥٣٤/١ .
٣. الجوهري،أبو نصر إسماعيل بن حماد:تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . دار العلم للملايين . بيروت . ط٤/١٤٠٧هـ ، ٩١٩/٣ .
٤. ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري:لسان العرب،٥٨/٦ .
٥. ابن سيده،أبو الحسن علي بن إسماعيل:المحكم و المحيط الأعظم في اللغة، ١٥٧/٣ .
٦. عسيلان،عبد الله عبد الرحيم:حماسة أبي تمام و شروحها دراسة وتحليل. دار اللواء . الرياض . ط/١٤٠٣هـ . ص ٢٧ .
٧. اليعلاوي،محمد:مجلة الفكر. (شعر الحماسة) .عدد السنة الأولى عام ١٩٧٠م . ص ٩١ .
٨. شلش،محمد جميل:الحماسة في شعر الشريف الرضي. وزارة الإعلام العراقية . ط/١٩٧٤م . ص ١١٥ .

ثانيا : التعريف الاصطلاحي للحماسة :

لاشك في أن شعر الحماسة مرتبط بالشجاعة والقوة التي هي من صفات المحارب والمناضل ، كما أنها تقترن بتوافر الأخلاق والمثل العليا ، وليس ثمة تعريف أدبي بالحماسة وشعرها في حد علمي ، إلا ما ذكره بعض الكتاب في حديثهم عن الحماسة وشعرها ، ومن هذه التعريفات ما عرفها به الدكتور يحي الجبُّوري بأنها "فن الحرب والقتال والشجاعة والتغني بصفات البطولة والرجولة وركوب المخاطر وخوض غمرات القتال ، ووصف ما في الحرب من كَرٍ وفَرٍ وعُددٍ وسلاح ، ودماء وجرحى وقتلى ، ودعوة للحرب وأخذ بالثأر وما إلى ذلك"(١) ، كما يرى الدكتور نوري القيسي أنها ناتجة من غريزة في النفس تدفع صاحبها للقيام بالمهام المنوطة بالحماسة والشجاعة ؛ لذلك فالحماسة تُعرف بأنها "تحفيز للبذل والدفاع والوثوب والفداء ، كلما شعر المرء بحاجة إلى واحد من هذه الحركات الأربعة على أن يكون تحركا عفويا"(٢) لاعلاقة له بالتصنُّع والتكلف بل هو فِطريٌّ يجري في صاحبه جريان الدم في العروق ، كما يعرف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي شعر الحماسة بأنه"ما أثر عن العرب في الجاهلية من شعر قالوه في وصف شجاعتهم ونضالهم وحروبهم ومواقعهم، وفي الدعوة إلى الأخذ بالثأر والانتقام من العدو ، وفي التحريض على القتال ، وبعث عزائم الأبطال في الحروب ، وفي ما سوى ذلك من شتى أغراض شعر الحماسة ومناحيه"(٣) ، كما يرى صاحب كتاب الحماسة في شعر الشريف الرضي بأن شعر الحماسة لا بد أن يتوافر فيه "العنصر الذاتي الذي نلمح الشاعر من خلاله منفصلا يهدر بقوة بأسه ، ومضاء عزيمته ، وصبره ، وأنفته ، وما إلى ذلك من المعاني العاطفية التي هي ألصق بالمشاعر المتأثرة "(٤) .

---

١. الجبُّوري،يحي:الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه. ص ٢٩٣ .

٢. القيسي،نوري حمُّودي:شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري. ص ٤٧ .

٣. خفاجي،محمد عبد المنعم:الحياة الأدبية في العصر الجاهلي. دار الجيل . بيروت . ط١/١٤١٢هـ . ص ٣٢٣ .

٤. شلش،محمد جميل:الحماسة في شعر الشريف الرضي. ص ١٢١ .

إذن فمفهوم الحماسة مرتبط بالشجاعة والقوة والبسالة وكريم الأخلاق مع ارتباطه الوثيق بالفخر الذي تنبع منه صفات القوة والشجاعة لأنه "لون فاقع من ألوان الفخر ، فلو عرَّينا أية قصيدة حماسية من الفخر لم يبق في أيدينا غير قعقعة السلاح وحمحمات الخيل"(١)، وبهذا يكون شعر الحماسة جامعا بين البطولة الحربية والصفات الخُلقية من صبر وحلم وكرم وغيرها مع وضوح عنصر الفخر الذي يجعل القصيدة تحكي بطولة واقعية حقيقية ؛ لأنه لا يقف "عند حد الشعر الذي يعبر عن معاني الشجاعة والأنفة والشدة والإقدام في ساحات الحرب والقتال ، بل اشتمل إلى جانب ذلك على الشعر المعبر عن العواطف الملتهبة والأحاسيس المتوقدة والشعور الجياش ، سواء أكان ذلك في التعبير عن نشوة انتصارٍ في الحرب ، أم في التعبير عنه زهوا بالنفس وافتخار بها ، أم في التعبير عن خلجات الهوى و الحب بالغزل، وعن آهات الأسى والحزن بالرثاء ، وما إلى ذلك من ألوان الشعر وفنونه"(٢) ، لذلك نجد أنَّ بين شعر الحماسة وشعر الحرب ارتباطٌ وثيق ، فالشاعر في حماسته يتناول أحداث المعركة ويصف الأبطال ويُذكِّر بشجاعتهم وشدة بأسهم وصبرهم على البلاء ، وفي الوقت نفسه يُمجِّدُ الأبطال ويبكي القتلى ويحث على شحذ الهمم ويرفع راية النصر بأناشيده وكلماته ، لأن شعره يُعدُّ "من أصدق الأشعار وأقواها وأشدها أثرا في النفوس ، وذلك لأن الشعراء كانوا أنفسهم فرسانا يخوضون غمرات القتال فيعبرون عن واقع مشهود وتجارب نقية صادقة ، وإن لم يكن بعضها يخلو من المبالغة ومجاوزة الواقع"(٣)، فهو يستمد معانيه من الحرب والمعركة ولا تَبرز شجاعة الأبطال إلا في مجال الحرب والقتال والتحام الصفوف لأن شعراء الحرب "عندما يفتخرون يُضمِّنون معانيهم عبارات الحماسة، فيصبح الفخر مع الحماسة شيئا واحدا يتعذر فصله"(٤) ،"ولذلك كانت الحماسة العربية طاغية على شعر الحرب الوصفي"(٥) .

---

١. المحاسني،زكي:شعر الحرب في أدب العرب.دار المعارف . مصر . ط١٩٦١م . ص ٣٢٩ .

٢. عسيلان،عبد الله عبد الرحيم:حماسة أبي تمام و شروحها دراسة و تحليل. ص ٢٧ .

٣. الجبُّوري،يحيى:الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه. ص ٣٩٤ .

٤. البياتي،عادل جاسم:الشعر في حرب داحس و الغبراء.مطبعة الآداب.بغداد. بدون تأريخ. ص ٢٥٨ .

٥. شلش،محمد جميل:الحماسة في شعر الشريف الرضي. ص ١٢٨ .

صلة شعر الحرب بشعر الملاحم:

أولا : الملحمة في التعريف اللغوي : هي الوقعة العظيمة القتل ، وقيل موضع القتال ، وألحمت القوم إذا قتلتهم حتى صاروا لحماً ، والجمع ملاحم مأخوذة من اشتباك الناس واختلاطهم فيها ، قال ابن الأعرابي: الملحمة حيث يُقاطِعون لحومهم بالسيف ، والملحمة : الحرب ذات القتل الشديد (١) ، وتطلق على الحرب الشديدة وموضعها (٢) ، ومكان القتل الشديد (٣) . وتكاد تجمع المعاجم اللغوية على أن الملحمة هي الوقعة العظيمة التي يخوض غمارها الأبطال والتي يكون لها الأثر البارز من حيث احتدام الأمر وكثرة القتلى والقوة المستمدة من عدة المحاربين وأسلحتهم والتي تفوق الوصف والحصر .

ثانيا: الملحمة اصطلاحا :

تُعرف الملحمة اصطلاحا بأنها "قصة شعرية طويلة ذات أسلوب عالٍ تدور حول أعمال خرافية لبطل خرافي ، أوبطل تاريخي ترفع القصة الشعرية أعماله إلى مستوى المعجزات والوهم"(٤)، فهي تجعل البطولة منطلقا لها لتضفي على بطلها كل معاني القوة والشجاعة والفتوة ، كما تُعرَّف بأنها "تعبير فني جمعي ـ شعبي ـ قصصي على وجه الدقة ، بالغ الطول ، يحكي بطريقة روائية من خلال التأريخ الفني لحياة البطل وأعماله البطولية وسماته الموضوعية والفنية التاريخ القومي الذي يصدر من عاطفة جماعة معينة"(٥) ، فهي تبين حياة البطل من حيث القوة وأثره في المعركة وانتصاراته وما يحوزه من غنائم بعد انتهاء المعركة ؛ فهي سجل يحكي حياة الأبطال ويُمجد سيرهم .

---

١. ابن منظور ،جمال الدين محمد:لسان العرب،٥٣٧/١٢ .
٢. مصطفى،إبراهيم وآخرين : المعجم الوسيط ،٨١٩/٢ .
٣. الدمشقي،أحمد بن مصطفى:اللطائف في اللغة .دار الفضيلة . القاهرة . بدون تاريخ . ص ٢٧٩ .
٤. النحوي،عدنان على رضا:ملحمة البوسنة والهرسك الجريمة الكبرى. دار النحوي . الرياض . ط/١٤١٣هـ . ص ١٦ .
٥. المهنا،عبد الله أحمد:دراسات في الأدب واللغة. جامعة الكويت . ط/ ١٩٧٦م . ص ٨٢ .

كما نجد الملحمة تتسم بكونها "قصة شعرية لأعمال بطولة خارقة"(١) ، لذلك نجد أن الملحمة تناولت بين طياتها القصة الشعرية التي توصف بالمبالغة وخرقها للعادة وهي في حد ذاتها تتناول أشخاصا معينين امتازوا بكل معاني القوة والشجاعة وصاروا دروعا لأجيالهم أمام بأس المعتدي ، فهم يضربون أروع الأمثلة في ردهم لكيد الأعداء والنيل منهم ، والغلبة والتمكين لهم ، كما أن الملحمة تعد سجلا حافلا يحفظ تاريخ الأمة التي نشأ من بينها هؤلاء الأبطال ، فتتناول في معانيها كل ما يتصل بالحرب منذ أن توقد نارها إلى أن تعود ظافرة بنصرة أبطالها ، لأن كل " قصيدة تقص قصة يكون الغرض منها حكاية هذه القصة تسمى شعرا قصصيا ، فإذا كانت القصيدة أو القصائد تتناول الرجال المشهورين ، والأعمال المشهورة في التاريخ فتلك ملحمة"(٢) ، فالملحمة تجمع بين البطولة التي قدمت المعجزات في ساحة المعركة وأتى الأبطال بما لم يخطر على بال من الفنون والمهارات القتالية التي تجعل الخصم في حيرة من أمره لأنه يواجه بطلا لا نظير له في معرفته بأمور القتال والتفنن في قتل الأعداء بطرق إبداعية فريدة ، وفي الوقت نفسه تتناول الملحمة وصف عناصر الحرب وعتادها وكل ما يساعدها في أداء مهمتها ، فالذي يميز الملحمة من الناحية الفنية "السرد والوصف والإيقاع ، فالسرد الملحمي أساسه الأفعال الخارقة المنسوبة إلى البطل ، والوصف الملحمي يتعلق بأدوات الحرب ، وأما الإيقاع الملحمي فهو عبارة عن نشيد يتوفر فيه سُلَّمٌ موسيقي يعبر عن ميل الشاعر إلى التأثير في السامع تأثيرا يحمله ليتعشق معاني القوة"(٣) .والملحمة قد جمعت في جعبتها الفروسية والحماسة والفتوة كما تغنت بالتقاليد العريقة و النظم الاجتماعية والسياسية وغيرها من النظم والقوانين لأنها" فروسية وأدب في سجل واحد ، الأدب أسلوبها ونسيجها ، والحرب موضوعها ومعانيها"(٤) ، وكل ملحمة مبنية على الفروسية والحرب .

---

١. المحاسني،زكي:شعر الحرب في أدب العرب في العصر الأموي و العباسي إلى عهد سيف الدولة.ص ٢٦ .

٢. أمين،أحمد:النقد الأدبي.دار الكتاب العربي.بيروت.ط٤/١٩٦٧م.ص ٩٧ .

٣. الساسي،عماد الحاج:الحماسة في القرنين الثالث والرابع للهجرة (أبو تمام ، أبو الطيب المتنبي ، ابن هاني الأندلسي) دراسة نقدية. مؤسسة دنيا للنشر والتوزيع . تونس . ص ١١ .

٤. المحاسني:شعر الحرب في أدب العرب في العصر الأموي و العباسي إلى عهد سيف الدولة . ص ٦١ .

وعندما نتأمل في الملاحم القديمة نجدها مزجت بين الحماسة والفروسية والفتوة في قالب شعري قصصي كالإلياذة والأوديسا والإنياذة وغيرها من الملاحم اليونانية ، بل نجد أن "شعرنا العربي القديم لا يخلو من الروح الملحمية أو الطابع الملحمي رغم أنه لم يَرْقَ إلى بنيتها الكلية الجامعة كما وكيفا"(١) ، وفي بحثنا هذا نجد رائية أبي فراس الحمداني التي نظم فيها سيرة أبطال حمدانيين وذكر فيها قصص بطولاتهم وخلَّد سيرهم وأمجادهم ،"فالشعر الحماسي في بنيته العميقة قول ملحمي أو لِنقُل إنَّ الشعر الملحمي ثاوٍ في نسيج الخطاب الحماسي بالضرورة"(٢) .

ومما سبق يظهر لي أن شعر الملاحم ذو علاقة متينة بشعر الحرب ، فهو يتناول الأبطال ويذكر مآثرهم ويعزز من سيرهم ويحفظ لهم تلك الأمجاد التي تناولها وما اتصفوا به من كريم الأخلاق وحسن الصفات التي تجعل بطل الملحمة وفارسها علما من أعلام القادة الذين يُديرون رحى الحرب في أي وقت ويُوقفونها متى ما شاءوا ، كما تناولت وصف المعركة وكل ما يتعلق بها من أدوات وأسلحة وغيرها من العناصر الأساسية في المعركة ، وبهذا يرتبط شعر الملاحم بشعر الحرب ويمتزج بكل المعاني والصفات التي يناقشها.

---

١. الساسي،عماد الحاج:الحماسة في القرنين الثالث والرابع للهجرة . ص ١٢ .

٢. المرجع السابق . ص ١٢ .

صلة شعر الحرب بشعر الفتوة :

قبل البدء في بيان هذه الصلة لا بد من مناقشة معنى الفتوة في اللغة ، فهي مشتقة من الفتاء : أي الشباب، والفتى والفتية : الشاب والشابة ، وقيل : ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث ، وإنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال(١) ، والفتى : السخي الكريم يقال : هو فتى بَيِن الفتوة (٢) ، والفتوة السخاء والكرم(٣)، وتطلق على الحرية والكرم والحرية تعني الشجاعة والكرم ، وإباء الضيم وهكذا استعملت الفتوة في القوة المعنوية قياسا على القوة الجسمية ، فالحرية والكرم والسعي في أمور الناس ، وقضاء حوائجهم وإظهار النعمة وإسرار المحنة ، وأن ينصف المرء غيره ، كل هذه صفات الرجولة الكاملة(٤) . ومن خلال المعنى اللغوي نجد أن الفتوة مرتبطة بالشباب الذي يرمز للقوة والعزيمة وما يتصف به هذا الشاب من خلالٍ نبيلة كالشجاعة والكرم والسخاء والوفاء بالعهد وحماية الضعيف ورد الظالم المعتدي وإغاثة الملهوف وغيرها من الأخلاق النبيلة والشمائل الكريمة ، والفتوة أعم وأشمل من لفظ الشباب لأنها تضيف للشباب المروءة والكرم والسخاء وغيرها من الصفات الحميدة ، فهي تجمع بين الشجاعة والسخاء ، لذلك نجد "أن العرب تعني بالفتوة الشجاعة والإيثار والسخاء والوفاء وكثيرا من الصفات الحميدة ، والفتى عندهم هو السيد الذي نال السؤدد والشرف بأخلاقه الكريمة وأفعاله العظيمة"(٥) ، وقد كانت الفتوة في العصر الجاهلي تنحصر في الصفات والأخلاق التي ترفع من شأن أفراد القبيلة وترتقي بهم في جميع المجالات ، فمن توافرت فيه الصفات الحميدة والبسالة والشجاعة كان من فتيانها الذين لهم الحق في سيادته لأمر القبيلة وحمايتها من الأعداء ، كما كان لِصَعاليك العصر الجاهلي رأي آخر في معنى الفتوة حيث يرون أنها تتميز بقطع الطريق وأكل مال

---

١. ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم:لسان العرب،١٤٥/١٥ .
٢. الجوهري،أبو نصر إسماعيل بن حماد:تاج اللغة وصحاح العربية،٣٣/٢ .
٣. الفيروز آبادي،محمد بن يعقوب:القاموس المحيط. مؤسسة الحلبي . القاهرة .ط/١٩٩٥م.ص ١٧٠٢ .
٤. الزمخشري ،محمود بن عمر جار الله:أساس البلاغة. دار الفكر . بيروت . ط/١٩٩٤م ،٤٦٣/١ .
٥. الدسوقي،عمر:الفتوة عند العرب وأحاديث الفروسية والمثل العليا. مكتبة نهضة مصر . الطبعة الثالثة.بدون تاريخ . ص ١٣.

الضعيف والبحث عن سبل بقاء الحياة بأية وسيلة كانت ، لكن ما إن أشرق نور الإسلام حتى هذب هذه الأخلاق ورباها التربية السليمة وحذرها من الوقوع في المحرمات حتى نشأ جيل يحب الله والدار الآخرة ويتحلى بكريم الأخلاق ويناضل عن هذا الدين بشتى الوسائل . ومما لا شك فيه أن الشعراء قد تغنوا بمعاني الفتوة وما تضمنته من أخلاق وشجاعة ، فالشجاعة تقاس بكثرة المعارك التي خاض غمارها هذا الفتى وأبلى فيها بلاء حسنا، والأخلاق الفاضلة تقاس بشدة تحلِّي الفتى بها وتمسكه بأفضل خلالها كتحلي حاتم الطائي بالكرم وتحلي عنترة العبسي بالبطولة الحربية النابعة من شدة بأسه ، فالفتوة أعم من المروءة لشمولها الآخرين والعمل على إراحتهم والذب عنهم بينما المروءة خاصة بالشخص نفسه لا تتعداه إلى غيره كما يقول الشاعر: (١)

وليس فتى الفتيان من راح واغتدى لشرب صبوح* أولشرب غبوقِ*

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضَرِّ عــدو أو لنفع صــديقِ (٢)

وما تناوله الشعراء في مجال شعر الفتوة أن الفتى يحمل كل خطب يلم بالقبيلة ويلاقي المنايا ، وقد رثت الخنساء صخرا بمعاني الفتوة المتأصلة فيه من كرم وإغاثة لملهوف وحلم وأناة ، كما تناول شعراء الفتوة معاني الصدق والشجاعة لأنهم من حماة القبيلة التي قلدتهم قيادة فيلقها لما يرون فيهم من البنية الجسمية التي تساعدهم في مجال الحرب .

إذن فشعر الفتوة قد تناول وصف الصفات الخَلقية والخُلقية وأن القوة الجسمية قد تؤهل صاحبها لأن يكون سيدا في قومه مطاعا بين أفراد قبيلته وفي الوقت نفسه لا بد أن يتحلى بكريم الصفات وجميلها ، وهذا الشعر فرع من فروع شعر الحرب ؛ لأن الفتى لا تبرز قدرته ومكانته إلا إذا أبلى بلاء حسنا في خوضه للمعارك و أعظم الجود الجود بالنفس ، فمن جاد بنفسه كان من السهل عليه أن يجود بغيرها في سبيل المجد والتضحية (والجود بالنفس أسمى غاية الجود) كما يقول شاعر العربية أبو الطيب المتنبي.

---

١. للشاعر الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي.شاعر مخضرم بين الدولتين الأموية والعباسية توفي نحو١٦٩هـ.انظر الأعلام للزركلي.٢/٢٦٠ .

٢. الأصفهاني،أبو الفرج محمد بن محمد صفي الدين:ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس). تحقيق علي مهنا و سمير جابر . دار الفكر . بيروت . بدون تاريخ،١/٢٠٦ . و معنى : الصَّبُوح أي : شرب الغداة ، و الغَبُوق : شرب العشيِّ .

المبحث الثاني :

في التعريف بالشاعرين أبي فراس الحمداني و البارودي .

أولا : أبـو فراس حياته و شعره .

هو "الحارث بن أبي العلاء سعيد بن أحمد بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تميم بن تغلب التغلبي"(١) ، وكنيته (أبو فراس) وهي كنية الأسد لما اتصف به من شجاعة وبسالة ، وكان أبوه أميرا من أمراء بني حمدان وكانت له مآثر خلدها التاريخ في غزوه للروم وانتصاره عليهم ، وقد افتخر بهذه المآثر ابنه أبو فراس في أغلب قصائده حيث يقول (٢) :

غزا الروم لم يقصد جوانب غرة ولا سبقته بالمراد النذائـــــرُ

قلم تر إلا فالقا هام فيـــــلق وبحرا له تحت العجاجة ماخرُ

ولد أبو فراس في الموصل سنة ٣٢٠هـ وقيل سنة ٣٢١هـ (٣) ، وقيل بل ولد في منبج قرب حلب بسوريا عام ٣٢١هـ (٤) ، وفي هذه الفترة التي ولد فيها أبو فراس "دبت إلى الخلافة قي بغداد عناصر الفوضى ؛ و استحكمت أسباب الفساد فمالت مع القرن إلى الانحدار ، وأصبح للأتراك الصولة والدولة"(٥) ، التي كانت سببا قي مقتل أبيه على يد ابن عم أبي فراس (ناصر الدولة) عام ٣٢٣هـ ، وقد كان لشخصية والده الأثر البارز في انعكاسها على ابنه الشجاع لأن ما اتصف به والده "من فروسية وشجاعة وحظي به من مكانة وما عرف عنه من قول الشعر كان لا بد أن يؤثر على أبي فراس في حياته

---

١. الأتابكي،جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تحقيق : جمال الدين الشيال و فهيم محمد شلتوت . دار الكتب المصرية . ط/١٣٥٨هـ . ج١٦/٤ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني.تحقيق سامي الدهان . المطبعة الكاثوليكية . بيروت . ط/١٣٦٣هـ . ص ١١٤ .
٣. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني .شرح : عباس عبد الستار . دار الكتب العلمية . بيروت .بدون تاريخ. ص ٤ .
٤. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني .شرح د: خليل الدويهي . دار الكتاب العربي . بيروت .بدون تاريخ. ط١ / ٨ .
٥. أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني.تحقيق الدهان . ص ٩ .

وشعره"(١) ، لكن والده لم يعش طويلا حتى وافاه الأجل المحتوم فأصبح ابنه الشجاع يخوض غمار الحياة ويتحدى صروف الزمن وتقلباته بشجاعة فذة وإقدام لا يعتريه خوف ولا ذلة ، لكنه بفقده لوالده لم يفقد نضاله باحثا عن القمة التي لا تليق إلا بمثله والهرم الذي لا يتربع على قمته إلا من جردتهم الحياة من ملذاتها وغصت بهم الصعاب في كل لحظة من لحظاتها . وبعد فقده لوالد في سن الثالثة من عمره احتضنته أمه وتنقلت به في ضواحي بغداد واعتنت به عناية فائقة "بل عاشت حياتها كلها من أجله ولا غرو في ذلك ؛ فهو طفلها الوحيد الذي وهبت حياتها له ؛ فنشأت علاقة وطيدة بين الأم وابنها كما يظهر من شعره"(٢) ، وبقي في بغداد إلى أن بلغ أشده وانتقل مع ابن عمه (علي) سيف الدولة إلى حلب بعدما أصبح سيف الدولة أميرا عليها حيث استقل عن أخيه (ناصر الدولة) عام ٣٣٣هـ ، فأصبح هذا الفتى ينهل العلم ويتعلم الفروسية ويستقي من نبع الحكماء ويقرض الشعر ؛ لأن حلب في ذلك الوقت كانت موطن الفكر والثقافة "يقصد إليها الكتاب والشعراء والفلاسفة والموسيقيون ، فهي سوق ينفق فيها الفن الرفيع ، والترف الناعم ، والحياة اللينة ، وتغمرها الملاحظة والنقد"(٣). وفي هذه الفترة بدأت بوادر الشجاعة والفتوة تظهر على هذا الفتى مما جعل سيف الدولة يعجب به حتى قلده ولاية منبج مسقط رأس الشاعر ، التي تعد ثغرا مهما وحصنا للمسلمين أمام أعدائهم من الروم ، "فكان سيف الدولة يعجب بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه في غزواته ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدُرَّ الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدب السيف والقلم في خدمته"(٤) ، فقد جمع بين الأدب والفروسية والشجاعة وصار قائدا يخوض المعارك وأديبا يقرض الشعر ، وإلى جانب حياته الحربية كان يجالس الشعراء والأدباء الذين حملوا راية الفصاحة والبيان أمثال المتنبي وابن نباته وغيرهم من الشعراء الأعلام الذين تجمعوا على باب ابن عمه سيف الدولة ، ينشدونه أروع الكلم وأطيب المقال ومعهم أبو فراس

---

١. عبد المهدي،عبد الجليل حسن:أبو فراس الحمداني حياته وشعره. مكتبة الأقصى . عمان . ط١٤٠١هـ . ص٧٤ .

٢. السابق. ص ٨٥ .

٣. أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني . تحقيق الدهان . ص ١١ .

٤. الثعالبي،أبو منصور:يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق مفيد قميحة . دار الكتب العلمية . بيروت . ط١٩٨٣/٢م . ٥٧/١ .

فيحكم سف الدولة بينهم ويكافئهم على ما يقدمونه من روائع القصيد وجميل البيان ، ومع قيادته الحربية ونزعته الأصيلة ونفسه الأبية كانت له مجالس لشرب الخمر واللهو المحرم وخاصة عندما يعود من حروبه وفي ذلك يقول(١) :

أَدِر الكؤوس و سقِّنـــــا فالدهر بالأعمـــار دائرْ

واشرب على زهر الربيـــع وحُسْن نغمات المـــزاهرْ

وينتمي أبو فراس لقبيلة تغلب بن وائل التي تعد من أشهر قبائل العرب التي امتازت بالقوة والبطش الشديد الذي عرفت به في أيام الجاهلية وخاصة في حرب البسوس التي نشبت بينها وبين بكر ، وإلى جانب ما عرفت به من شجعانها عرفت كذلك بشعرائها كعمرو بن كلثوم ومهلهل بن ربيعة والأخطل وغيرهم ، وقد "كان بنو تغلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار ولهم محل في الكثرة والعدد ، وكانت مواطنهم بالجزيرة في ديار ربيعة ، وكانوا على دين النصرانية في الجاهلية ، حاربوا المسلمين مع هرقل أيام الفتوحات ...ثم ارتحلوا مع هرقل إلى بلاد الروم ثم رجعوا إلى بلادهم . وفرض عليه عمر بن الخطاب ﷺ الجزية ، فقالوا يا أمير المؤمنين لا تذلنا بين العرب باسم الجزية ، واجعلها صدقة مضاعفة ففعل . وكان قائدهم يومئذ حنظلة بن قيس بن هرير من بني مالك ..."(٢) . ولقد شهد الثعالبي لشاعرنا بمكارم الأخلاق التي اتصف بها وناضل من أجلها "فقد كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدبا وفضلا ، وكرما ومجدا ، وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة"(٣) يجمع بين كريم الخلال وعظيم المناقب ، ربُّ القلم والسنان ، لا يرض بالظلم ولا بالذل بل يناضل عن أهله وعرضه وشرفه ، فمن يستغيث به يلبي دعوته ويعود منتصرا ، ومثال ذلك عندما "أسرت بنو

---

١. السابق . ص٢٢٣ .

٢. ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون ، ٤/٤٨٨-٤٨٩ .

٣. الثعالبي،يتيمة الدهر ،١/٥٧ .

كلاب (عيسى بن عباد) سيد بني (قطن) فخرج إليهم أبوفراس حتى انتزعه منهم قسرا "فقال(١) :

رددت على بني قطنٍ بسيفي أسيرا غير مـرجُـوِّ الإيـابِ

وما أبغى سوى شكري ثوابا وإنَّ الشكر من خير الثوابِ

فقوة بأسه في المعركة لا تغير أخلاقه وتؤثر فيها لأنه "مع شدته وقسوته في الحرب فإنه يحمل قلبا رحيما ، عطوفا على من يحاربه ، فلا يلبث بعد انتصاره عليه أن تتحرك فيه عوامل الشفقة ، فيؤوب إلى حلمه ويغلب عليه العفو"(٢) . وبهذا نجد أن أبا فراس عاش في ولاية منبج مناضلا ومدافعا عنها ، ينطلق حيث يريد سيف الدولة فما يلبث إلا أن يعود منتصرا يحمل راية الظفر و الغلبة ؛ لأن صحبته لسيف الدولة جعلته "فارسا مغوارا بصيرا بمواقع الطعن و الضرب ، فحارب الروم ، ونازل الدماسق ، وسطا على القبائل الثائرة بابن عمه ، فأذل كعبا وكلابا ونميرا وقشيرا ، وأصبح لا يطيب له غير مقارعة الكتائب ، وملاقاة الأبطال ، والذود عن حياض الملك"(٣) .استمر أبو فراس في صحبة سيف الدولة حتى وقع أسيرا في أيدي الروم ففي "ذات يوم من أيام شوال سنة ٣٥١هـ ، أقبلت مفرزة من الجيش البيزنطي ، تحت قيادة (تيمور) فكمنت تحت حصون (منبج)البعيدة ، فإذا (أبو فراس) عائد من الصيد مع غلمانه ، فباغته الروم في ألف رجل ، فدافع حتى أُثخن بالجراح ، وأصابه سهم بقي نصله في فخذه ، فوقع أسيرا ، وكان أصحابه قلة لا يتجاوزون السبعين"(٤) ، فكانت هذه الحادثة من أشد المصائب التي نزلت بهذا الشاعر حيث انتقل من القوة والقيادة إلى الذلة والغربة ، فتلك المواطن التي عَبَرَ بفرسانه أطرافها وانتصر على أصحابها ؛ ها هي ذي اليوم وقد أضحت له سجنا يتقلب في ظلماته ويتجرع ألم الفراق والنوى ، فما يملك إلا أن تستجيب له عواطفه وتلين قريحته حتى يرسل رسائله الشعرية إلى سيف الدولة وجنده ليخلصوه من وطأة الروم وظلمهم ، وهو مع ذلك

---

١. أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني. تحقيق الدهان . ص ١٦- ١٧ .

٢. بدوي،أحمد:شاعر بني حمدان. ص ٣٤ .

٣. البستاني،بطرس:أدباء العرب في الأعصر العباسية. دار كلمات عربية . مصر . بدون تاريخ . ص ٢٩٨ .

٤. أبو فراس:ديوان أبي فراس.مقدمة الديوان . تحقيق الدهان . ص ١٢ .

يقبع في السجن أسيرا قد أثر القيد في يديه ورجليه بعدما كان مغوارا لا تباريه الريح ولا يجاريه الأبطال ، يطول ليله ويتسع نهاره ، ويعزي نفسه بهذه الرسائل التي يرسلها إلى أمه حيث يقول(١) :

مصابي جليل والعزاء جميـــــــل وظني بأن الله سوف يزيلُ
جراح تحاماها الأساة مخوفـــــةٌ وسُقمانِ دامي الجراحَ عليلُ
وأسرٌ أقاسيه وليلٌ نُجُـــــــــومُهُ أرى كلَّ شيءٍ غيرهنَّ يزُولُ
تطول بي الساعات وهي قصـيرة وفي كـل دهر لايسرك طولُ

وبقي أبو فراس الشاعر الشجاع في أسره متنقلا من خرشنة الفرات إلى القسطنطينية ما يقارب أربع سنين ، ينتظر الفداء من سيف الدولة الذي أبطأ عليه ، لكنه لم يلن ولم يذل بل دَوَّنَ قصائده المختلطة بمشاعر الحنين لأهله وبلده ، المعبرة عن بطولته وفروسيته "فهو فارس مقدام ، ولا يقلل من أمر فروسيته أنه وقع أسيرا في يد عدوه ، بل إن رضاه بالأسر يدل على تلك الصفة و يؤكدها ، فقد فضل الأسر على أن يلوذ بأذيال الفرار"(٢) ، فالأسر عنده حياة تزيد في قوته وتجعله لا يهاب الموت ولا يصغر عن النوازل ؛ لأنه يرى أن شجاعته ملكت حياته وترعرعت في جَنَانه ، فهو مؤمن بالموت الذي ينتظر قدومه في ساح الوغى تحت صليل السيوف ، وعندما يغيب عن المعركة فلاشك في أن فقده من أسباب الهزيمة ، وفي هذا المعنى يقول : (٣)

سيذكرني قومي إذا جدَّ جِـدُّهُمْ وفي الليلة الظلماء يُفتقد البـــــدرُ
فإن عشت فالطعن الذي يعرفونه وتلك القنا والبيض والضُّمْرُ الشُّقْـرُ
وإن مِتُّ فالإنسان لا بـد ميِّتٌ وإن طـالـت الأيـام وانـفسح العـمرُ

---

١. أبو فراس:ديوان أبي فراس الجمداني.تحقيق الدهان . ص٣١٣-٣١٤ .
٢. بدوي،أحمد:شاعر بني حمدان . ص ٣٣ .
٣. أبو فراس:ديوان أبي فراس الجمداني .تحقيق الدهان . ص ٢١٣-٢١٤ .

لم يترك أبو فراس وسيلة من أجل فدائه إلا بذل ما في وسعه من أجلها ، فنجده يصف حاله لسيف الدولة وما يقاسيه من ألم الغربة بقوله (١) :

دعوتك للجفن القريح المسهد لديَّ ولـــلنوم القـليل المشـرَّدِ
وما ذاك بخلا بالحياة وإنهـــا لأول مـــبـذول لأول مجتـــدِ

ومرة يطالب سيف الدولة بالإسراع في فكاكه (٢) :

ولا تقعُدَنْ عني وقد سِيمَ فديتي فلستَ عن الفعل الكريم بمقعــدِ
فكم لك عندي من أيادٍ وأنعمٍ رفعت بها قدري وأكثرت حُسَّدِي

وتارة يُغدق على سيف الدولة المدح ليُعجِّل في فدائه بقوله (٣) :

وإنك للمولى الذي بك أقتدي وإنك للنجم الذي بك أهتدي
وأنت الذي عرفتني طرق العلا وأنت الذي أهديتني كل مقصدِ
وأنت الذي بلغتني كل رتبـــة مشيتُ إليها فوق أعناق حُسَّدي

ويستمر في مناشدته وشكواه حتى أشرق ذلك اليوم بالفرج حيث يتبادل فيه الطرفان الأسرى بين الروم وسيف الدولة وذلك "في اليوم الأول من شهر رجب سنة٣٥٥هـ ، خرج (أبو فراس) بثلاثة آلاف أسير إلى خرشنة ، ووصل إليها سيف الدولة بأسراه فدفع ستمائة ألف دينار رومية ، وتم الفداء بعد أربع سنوات"(٤).

---

١. السابق . ص ٧٨ .
٢. السابق . ص ٧٩ .
٣. السابق . ص ٨٠ .
٤. السابق.مقدمة الديوان.تحقيق الدهان . ص ١٤ .

وفي هذه الفترة يعود أبو فراس إلى حلب "ليلقى إخوانا وأهلا ، وتصافح عيناه بلده ، فإذا الأسى قد أصابها ، وحلَّت بساحتها الكروب ، وشلتها الانكسارات ، وأقعد المرض سيف الدولة فتحول نعيمها إلى بؤس ، ولكن سيف الدولة يوليه (حمص) وفيها تبلغه وفاة ابن عمه ملك حلب ، في العاشر من صفر سنة ٣٥٦هـ"(١) ، وبعد وفاة سيف الدولة تصير الأمور في حلب إلى ابنه أبي المعالي كان يقوم بالوصاية عليه حاجبه قرغويه فأوغر صدر أبي المعالي على خاله أبي فراس ، مدعيا أنه يريد استلاب الحكم منه ، حيث وجه إليه جيشا لتقوم المعركة بينهما وتنتهي بقتل أبي فراس سنة ٣٥٧هـ على يد أبي المعالي (٢) .

شعره :

لم يكن أبو فراس من الشعراء الذين أذهبوا أعمارهم في التكسب بالشعر والتملق أمام الممدوحين والجلوس على عتبات الخلفاء والأمراء طلبا لحفنة مال أو زاد أو راحلة ، بل كرَّس شعره في تدوين مجده ومجد آبائه وفخره بهما حيث يقول(٣) :

الشعر ديوان العرب أبــدا وعنوان الأدبْ
لم أعْدُ فيه مفاخري ومديح آبائي النُّجبْ
ومُقطَّعاتٍ ربمـــــا حلَّيتُ منهنَّ الكتبْ

وقد وصف الثعالبي شعر أبي فراس بقوله :"وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبدالله بن المعتز ، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ، وكان الصاحب بن عباد يقول : (بدئ الشعر بملك و ختم بملك) يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتبريز ، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ، ولا يجترئ على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان

---

١. السابق . ص١٤ .
٢. السابق ص ١٤-١٥ . بتصرف .
٣. السابق . ص ٨ .

تهيبا له وإجلالا ، لا إغفالا وإخلالا "(١) . وقد تناول الشاعر أغراض الشعر في مجمل قصائده كالفخر والغزل والرثاء والشكوى والعتاب والإخوانيات أما الحرب فهو مجال بحثنا .

- الفخر :

"كان الفخر من أهم أغراض شعر أبي فراس ، فقد رأيناه يرى الشعر ديوانا يسجل فيه مفاخره ، ومفاخر أسرته ، و لقد كان نضجه في هذا الفن مبكرا ، مما يدل على أن شعوره بمكانة أسرته ومكانته كان مالئا عليه جوانب نفسه ، فقد نظم وهو صبي أبياتا تسجل ما جرى في الموصل بين ابن رائق الذي دَبَّر مكيدة لناصر الدولة يريد قتله ، فكان ناصر الدولة أسبق إلى الفتك به ، وكان ابن رائق قد قتل عمارة العقيلي وجماعة من نمير "(٢) ، فقال أبو فراس(٣) :

لقد علمت "قيس بن غيلان" أننا بنا يدرك الثأر الذي قَلَّ طالبُهْ
وأنا نزعنا الملك من عقر داره وننتهك القَرْمَ المِمَنَّع جانبُهْ
وأنا فتكنا بالأغر "ابن رائق" عشية دبَّتْ بالفساد عقاربُهْ
أخذنا لكم بالثأر "ثأر عمارة" وقد نام لم ينهد إلى الثأر صاحبه

ويعد الفخر من أهم أغراضه الشعرية الذي أطنب في مجاله لما له من مكانة في مجتمعه وصولة في معاركة ، فقد جمع بين الإمارة و الفروسية فهو " أمير من بيت ملك ، يحكم شمال الشام والجزيرة ، ومن أسرة بنت ملكها على أسنة رماحها ، وهو بطل من أبطال الحروب و قائد من خيرة قوادها ، وحاكم له مزايا باهرة ، وخلال ناضجة بارعة ، وتلك كانت أهم ينابيع فخاره "(٤) .

---

١. الثعالبي:يتيمة الدهر . ٥٧/١ .
٢. البدوي،أحمد:شاعر بني حمدان . ص ٩٢ .
٣. أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني . تحقيق الدهان . ص ٤٣ .ومعنى القِرم أي: الرَّجُل السيد المعظم .
٤. البدوي،أحمد:شاعر بني حمدان . ص ١٠٤ .

وفي هذا المعنى يقول(١) :

لمن الجدود الأكرمو ن مـن الورى إلا لِيـهْ
من ذا يقـــوم لغيره بين الصفوف مقاميهْ

ومجمل القول في فخر أبي فراس أنه "يفتخر حيث حلَّ وأنى وُجد ، فهو يفخر حرا في بلاده ، ويفخر أسيرا في بلاد الروم ، يخوض المعركة فيكتب له النصر فيطلق لشاعريته العنان فيسجل انتصاراته ويفخر بجيشه وقومه ، فإذا ما وقع أسيرا كان ذلك أدعى إلى أن يكثر من ذكر مفاخره حتى يمسح ما بنفسه من إحساس بالذلة أو شعور بالهوان"(٢) .

- الغزل :

لا شك في أن أبا فراس تناول هذا الغرض في ثنايا قصائده ، حيث ظهر حبه و عواطفه الجياشة في قالب الشوق والهيام في مقطوعات صغيرة لا تتعدى أربعة أبيات ، كما افتتح بعض قصائده الطويلة بالغزل سواء أكان منها ما قيل في الفخر أم في العتاب وغيره ، وكانت هذه الافتتاحيات بعضها طويل قد يصل إلى الأربعين بيتا، مقلدا بذلك القدماء من ذكر لأماكنهم وبكاء على ديارهم وكأنه شاعر جاهلي ، كما نجد شاعرنا نظم قلة من القصائد الغزلية المنفردة كقصيدته في وداع ابنة ناصر الدولة حين ذهبت للحج التي تعد أصدق ما قال في الغزل (٣) و التي يقول في مطلعها (٤)

أيحلو لمن لا صبر يُنجدهُ صبرُ إذا ما انقضى فكرٌ ألم به فكرُ

---

١. أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني . تحقيق الدهان . ص ٤٣٢ .
٢. الشكعة،مصطفى:فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين.مكتبة الأنجلو . مصر . بدون تاريخ . ص ١٧٠-١٧١ .
٣. بسيسو،ماجد ولين وجيه:شعر أبي فراس الحمداني دراسة فنية. مطابع الشريف . الرياض . ط١/١٤٠٩هـ . ص ١٧٥ بتصرف .
٤. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس.ص ١٨٥ .

وامتاز شعره بالعفة وتعدد أسماء المحبوبة وذكر محاسنها ، فمرة يشبهها بالبدر في الجمال والغزال في المظهر ، كما يذكر في غزله ما يعتريه من هجران وإخلاف للوعد وهمٍ يكاد يقضي عليه كما يقول (١) :

صدود ما يبيد ولا يحول ووصلُ مثل ما يهبُ البخيـلُ
وظبيُ ذو لحاظ فـــاترات بهـــا يزهو عليَّ ويستطيل
كأن سقام جفنيه سقامي ورِقةَ خصره جسمي النحيـلُ

فغزله يُعد من الغزل التقليدي الذي قلد فيه القدماء ، كما أنه ذو عاطفة قوية بجانب بأسه وجبروته فقد "مزج بين فن الحرب وشعر الغزل ، لأن المعروف عن أبي فراس أنه كان فارسا لا يشق له غبار ، ومحاربا طالما صال وجال في ساحة الوغى وميادين الجهاد فغلبت عليه نزعته هذه في كثير من شعره حتى الغزل"،(٢) وفي هذا المعنى يقول(٣) :

أغرن على قلبي بِخَيلٍ من الهوى فطارد عنهُنَّ الغزالُ المـــــغـــازلُ
بأسهم لفظ لم تُرَكَّبْ نِصـــاله و أسيافِ لحظٍ ما جلتها الصياقلُ

- الرثاء :

عندما نطالع ديوان أبي فراس نلحظ قلة قصائد الرثاء وانحصارها في مقطوعات يسيرة تخص البيت الحمداني ، فقد رثى أمه وأخته وابن سيف الدولة وأبا المرجى بن ناصر الدولة وأبا وائل وأبا العشائر ، وتعد مرثيته لأمه من القصائد التي ظهر فيها صدق العاطفة وحرارة الفراق وألم الفاجعة وفيها يقول(٤) :

أيـــا أم الأسير سقاك غيث تحـــيَّر لا يُقيم ولا يسيـرُ

---

١. السابق . ص ٣٣٧ .
٢. الشكعة،مصطفى:فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين. ص ٢٢٣ .
٣. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . تحقيق الدهان . ص ٢٩٠ .
٤. السابق . ص ٢١٧ .

أيا أم الأسير سقاك غيث إلى مـن بالفدا يأتي البشـــــيرُ
إذا ابنك سار في بَرٍ و بحرٍ فمـن يدعــو لـــه أو يستجيرُ(١)

ولعل هذه القصيدة التي عَبَّرَتْ عن مشاعر الشاعر الصادقة أما ما عداها من الرثاء فقلد فيه الأقدمين حيث اتصفت بالمبالغة و ضعف العاطفة وخلوها من حرارة الفراق ، كما تناول فيها تِعداد مناقب الموتى والدعاء عند قبورهم بالسقيا وتمني افتدائهم بأغلى ما يملك و إظهار الجزع والحزن والتباكي ، ومما يد ل على هذا قوله في رثاء أبي المرجى ابن ناصر الدولة : (٢)

أبا المرجى غيرُ حـــــزني دارسٌ أبدا عليك وغير قلبي سالِ
ولئن هلكت فما الوفاء بهالك ولئن بَليتَ فما الوداد ببــالِ

- الشكوى و العتاب :

لا شك في أن هذا الغرض تناوله الشاعر بكثرة في أغلب قصائده و ذلك راجع لما لاقاه في أسره من ألم الفرقة وقلة المعين والناصر وتخلي الأحبة عنه ، وهو مع شكواه سرعان ما يفتخر بنفسه ليقلل من ألمها النفسي حتى يستعيد قواه الداخلية ويقوي عزيمته التي تساعده على امتلاك الصبر وتجرع غصص الأسر والغربة ، فجاء شعره هذا مزيجا بين الحزن و الاستعطاف والشكوى والعتاب ، لذلك وصفه الدكتور مصطفى الشكعة بأنه " إمام الشعراء في الشكوى والعتاب "(٣) . وقد أكثر الشاعر من إرسال رسائل الشكوى والعتاب إلى سيف الدولة عندما كان أسيرا في بلاد الروم وكان يعتب على سيف الدولة تأخر إجابته وافتدائه لسماعه لكلام الوشاة و الحاقدين عليه و في هذا يقول(٤) :

تنكر سيف الدين لما عتبتـــه وعرَّض بي، تحت الكلام وقرعا

---

١. السابق . ص ٢١٧ .
٢. السابق . ص ٣٠١ .
٣. الشكعة،مصطفى:فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين . ص ٢٨٧ .
٤. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .تحقيق الدهان . ص ٢٤٨-٢٤٩ .

فقولا له مِنْ أصدق الود أنني جـعلتك مما رابني الدهر مفزعـا
ولو أنني أكننته في جـــوانحي لأورق ما بين الضلوع وفرَّعـــــا(١)

كما نجده في شكواه يصل إلى حد الاستعطاف و التذلل لسيف الدولة حيث يقول عن نفسه عندما طال انتظاره للفداء(٢):

باتت تقلبه الأكـــــ ف سحابة الليل الطويلِ
يرعى النجوم السائرا ت من الطلوع إلى الأفولِ
فقد الضيوفُ مكانهُ وبـكـاه أبنـاء السبيـلِ

وبهذا نجد أن الشكوى والعتاب تعددت موضوعاتها ، فتجده يشكو من ألم الأسر ومن الوشاة ومن الأقارب الذين تنكروا له ويعتب عليهم أشد العتب ويمزج هذا الغرض بالفخر كما ذكرت سابقا ، ولعل أهم حدثٍ جعل هذا الغرض يفيض بغزارة وقوعه في أيدي الروم أسيرا .

- الإخوانيات :

ومن الأغراض التي أجاد في نظمها أبو فراس الإخوانيات وهي رسائل يرسلها إلى أصدقائه وخلانه وكل من تربطه علاقة حميمة ، وكانت تحمل في طياتها شكوى أوعتابا أو مديحا أو إطراءا أوتهنئة أوتعزية أوغيرها من الرسائل الإخوانية ، وهذا دال على متانة علاقته بأصحابه وأقربائه ، فهو"ممن يحسنون معاملة أصحابهم ، ويخلصون لهم ، ويضمرون لهم في قلوبهم فيضا من عواطف الصداقة الخالصة ، والود الثابت المتين "(٣) ، لأن مثل هذه الرسائل تعزز روابط الأخوة وتزيد من قوة أواصر المحبة وتجعل الفرد ينعم بالرخاء والألفة بين أهله وخلانه ؛ لأنه بهذه العلاقة يقضي على دواعي الفرقة والاختلاف ، فبها يُظهر الود والشوق لإخوانه ويعاتب أصحابه الذين يتغيرون بتغير الأحوال في العسر واليسر ، وهذه مقطوعة

---

١. السابق.ص ٢٤٨-٢٤٩.
٢. السابق . ص ٣٢١ .
٣. بدوي،أحمد:شاعر بني حمدان . ص ١٢٣ .

يوجهها الشاعر لأصحابه الذين تناسوه عندما طحنه الدهر بكلكله وأصبح أسيرا لدى الروم وفيها من المعاني والحكم التي توقظ الضمير وتحركه حيث يقول (١) :

تناساني الأصحاب إلا عُصيـــــبةً ستلحق بالأخرى غدا وتحولُ

ومن ذا الذي يبقى على العهد إنهم وإن كثرت دعواهمُ لـقليـــلُ

أُقلِّبُ طرفي لا أرى غير صاحـــب يميل مع النعماء حيثُ تميــلُ

وصــرنا نرى أن المتارك محســـــنٌ وأن صديقا لا يَضُرُّ خـلـيــلُ

وليس زمـــاني غـــادر بي وحـده ولا صاحبي دون الرجال ملولُ

تصفحت أقوال الرجال فلـم يكن إلى غير شاكٍ في الزمان وُصُـولُ

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . تحقيق الدهان . ٣١٤-٣١٥ .

ثانيا : البارودي حياته و شعره .

ولد محمود سامي البارودي بمصر في السابع و العشرين من رجب سنة ١٣٥٥هـ الموافق للسادس من أكتوبر عام ١٨٣٩م ، وكان أبوه حسن حسني بك البارودي من أمراء المدفعية ثم عُيِّنَ مديرا لبربر ودنقلة بالسودان في عهد محمد علي باشا ، ولم يمض على والده أربعون يوما في عمله الجديد حتى داهمه المرض وقضى نحبه في دنقلة و دفن بها بعيدا عن أهله ووطنه ، وينحدر البارودي من أسرة جركسية تنتمي إلى حكام مصر الممالك (١) ، وكان البارودي يفتخر بهذا النسب في شعره حيث يقول(٢) :

أنا من معشر كرام على الدهـ ـر أفادوه عزة و صلاحـــا
عمروا الأرض مدة ثم زالـــوا مثلما زالت القرون اجتياحا

ويقول أيضا(٣) :

نـمَّاني إلى العلياء فرع تأثلـــــت أرومته في المجد وافترَّ سعدُهُ
وحسب الفتى مجدا إذا طلب العلا بما كان أوصاه أبوه وجـدُّهُ

ولقد حُرم البارودي العطف الأبوي حيث مات والده وهو في السابعة من عمره فاعتنت به والدته وبعض أقربائه حتى أكمل الثانية عشرة من عمره فالتحق بالمدرسة الحربية سنة ١٨٥٠م مع أمثاله من الجراكسة والترك وأبناء الطبقة الحاكمة ، وفي سنة ١٨٥٧م التحق بوزارة الخارجية فسافر إلى الأستانة*وأقام بها ستة أعوام ثم عاد إلى وطنه سنة ١٨٦٣م ، وفي هذه الفترة اطلع على الآداب التركية والفارسية وصحب

---

١. الجراكسة : طبقة من المولدين الذين وفدوا إلى مصر بعد غزو التتار لبلادهم حيث ساقوا أهلها إلى أسواق الرقيق في آسيا وباعوهم بأثمان بخسة ، واستكثر سلاطين مصر وأصحاب النفوذ من شرائهم .
٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي . تحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف . دار المعارف . مصر . ط/ ١٩٧٥م . ١٣٠/١ .
٣. السابق . ١٤٦/١ .

*الأستانة :هي مدينة استطنبول وكانت قديما تُعرف بالقسطنطينية .

الأدباء والمثقفين مما كان لها الأثر البارز على ثقافته وسعة اطلاعه(١) . وفي شبابه عاش في قصر إسماعيل الذي مُلئ بالملاهي والمغريات التي أثرت في الشاعر ، فصار يَنْظُم القصائد في وصف الخمر الذي كان يحتسيه مع رفاقه وفي ذلك يقول : (٢)

فيا سامح الله الشباب وإن جـــنى عليَّ وحيا عهدهُ سُبل القـــــــطرِ
ملكت به أمري ، وجاريت صبوتي وأصبحت مرهوب الحمية والكـــــبرِ
إذا أبصروني في الندى تحـــاجـــزوا عن القول واستغنوا عن العرف بالنكرِ
وقالوا فتى مالت به نشوة الـــــصِّبا وليس على الفتيان في اللهو من حجْرِ

ويستثيره هذا اللون من الحياة التي عاشها ويهيم بحب فتاة رمز لها بليلى مرة و بلمياء أخرى وثالثة بظبية المقياس وفيها يقول(٣) :

يا ظبية المقياس هذا مدمعي فَرِدِي وهذا روض قلبي فارتعي
إن كان لايرضيك إلاشقوتي فلقد بلغتِ مُناكِ منها فاقنـعي

وهنا نجد أن هذا الشاب بدأ في تقليده لشعر القدماء ويبدو في هذه القصيد متأثرا بالشريف الرضي في قصيدته (يا ظبية البان ترعى في خمائله ...) ، وعندما بلغ أشده تقلب في مناصب الدولة وكان كاتم سِرَّ إسماعيل ، وفي سنة ١٨٧٨م شارك في حرب تركيا ضد روسيا وعاد من حرب البلقان وهو في الأربعين من عمره فعين مديرا للشرقية ثم محافظا للعاصمة ثم تولى وزارة الأوقاف ثم وزيرا للحربية .

وفي هذه الفترة كان إسماعيل مذعنا للإنجليز والفرنسيين الذين تدخلوا في شؤون البلاد ، ففي سنة ١٨٧٨م أصبحت وزارة المالية بيد وزير إنجليزي و وزارة الأشغال بيد وزير فرنسي ، فأخذ الشعب يثور على إسماعيل ويندد بفعله ، وفي هذه الأثناء أخذ البارودي يُعلي صوته ضد ظلم إسماعيل وذلك في قصيدته

---

١. السابق.مقدمة الديوان لمحمد هيكل. ٨-٩ .
٢. السابق . ١٠/٢
٣. السابق . ٢١٦/٢ .

اللامية التي ذمَّ فيها سيرة الحكام وحض الناس على طلب العدل في الأحكام(١)حيث يقول في مطلعها(٢):

قلدت جِيد المعالي حِلية الغزل وقلتُ في الجِدِّ ما أغنى عن الهـزَلِ
يأبى بي الغيَّ قلبٌ لا يميل به عن شِرعة المجد سحرُ الأعينِ النُّجُلِ

وبعدما استقال إسماعيل عن ولاية مصر عيَّن ابنه توفيق خلفا له لكنه سرعان ما نكث عهده مع شعبه ولم يحقق لهم مطالبهم ، فثار الجيش عليه بقيادة عُرابي سنة ١٨٨٢م واستعان توفيق بالإنجليز ضد الشعب ، حينئذ انضم البارودي لهذه الثورة لكنَّ هذه الثورة لم تُوفق و لم يُكتبُ لها النجاح فكانت سببا في القبض على البارودي و رفاقه و تقديمهم للمحاكمة حيث قضت المحكمة بنفيه إلى سرنديب بسيلان فأقام بها سبعة عشر عاما منها سبعة أعوام في (كولومبو) و العشرة الباقية في (كندى) و في هذه المرحلة تعلم الإنجليزية واطلع على الأدب الغربي و كتب قصائده في المنفى التي كانت تحمل الوصف و العاطفة الحزينة المبكية ، فقد وجد في الشعر جانبا يسد فراغه المليء بالألم و الغربة و الحنين لأهله و وطنه (٣) ، و هو مع ألم المنفى يقاسي ألم فقده لوالديه و زوجه و ابنه و أصحابه و أقرانه فما يبكي على قريب حتى يأتِيه نعي صديق آخر و في هذا المعنى يقول : (١)

كيف لاأندب الشباب وقد أصـ ـبحتُ كهلا في محنة واغترابِ
لم تدع صولة الحوادث منـــي غير أشلاءِ هِمَّةٍ في ثيابِ
فَجَعَتْني بوالديَّ وأهلي ثُم أنْحَتْ تَكُرُّ في أترابي
كل يوم يزول عني حبيب يا لقلبي من فرقة الأحبابِ

---

١. ضيف،شوقي:البارودي رائد الشعر الحديث. دار المعارف . مصر . ط١٩٦٤م . ص ٨٣ .بتصرف.
٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي . ٦/٣ .
٣. في الأدب الحديث . عمر الدسوقي . دار الفكر العربي . بيروت . بدون تاريخ . ١٦٨/١ .بتصرف.
٤. السابق . ٥٦/١ .

وقد جمع في هذه الفترة مختاراته من الشعر القديم حيث جمع لثلاثين شاعرا عيون قصائدهم في كتاب أسماه مختارات البارودي(١) ، وبعدما عاد البارودي إلى وطنه أصبحت داره منتدى للأدباء والشعراء ومن هؤلاء : إسماعيل صبري وأحمد شوقي وخليل مطران وحافظ إبراهيم ومحمد هلال ومصطفى صادق الرافعي والشيخ محمد عبده ورشيد رضا وغيرهم من أهل العلم والفكر والثقافة ، يقول خليل مطران "أدركته بعد عودته من المنفى عام ١٩٠٠م ، وزرته مع صديقه الكاتب الشاعر محمد إبراهيم هلال ، ودخلنا عليه وهو في صدر مجلسه فحيانا بذلك اللطف الذي كان لا يفارقه ، ولا تنبت معه الكلفة ،وكان لي معه بعد ذلك ودٌّ وعهد "(٢).كما اهتم بتنقيح ديوانه والتعليق على مختاراته إلى أن داهمه المرض وتوفي من أثره يوم الاثنين من شهر ديسمبر عام ١٩٠٤م الموافق للسادس من شهر شوال سنة ١٣٢٢هـ(٣).

شعره :

يعد البارودي باعث الحركة الأدبية في العصر الحديث حيث ظهر في وقت كان الشعر العربي فيه مثقلاً بقيود الصنعة اللفظية وركاكة الأسلوب ؛ نتيجةً لضعف الأمة العربية ، وخضوعها مئات السنين لحكم المماليك والأتراك ، ولكن الله هيأ له أن يتلقى تعليمه في بيئة صحيحة ، بعيدًا عن أحوال الضعف الشاملة ، فأكب على قراءة الشعر الجاهلي والأموي والعباسي ؛ فتأثر بهذا الشعر الجيد ، وتفاعل معه ، فاكتسب القدرة على محاكاته ، والسير على منهجه ؛ فنقل الشعر العربي من الضعف إلى القوة ، وأحيا الشعر وبعثه من مرقده ، وأثبت أن اللغة العربية قادرة على البقاء والحياة ، وأن أسباب ضعفها غريبة طارئة عليها ، وساعده في ذلك موهبته الفطرية ، واطلاعه على الأدب الجيد ، وحفظه لكثير من الشعر العباسي الأصيل ، وخبرته بالحياة السياسية ، واشتراكه في المعارك الحربية ، واعتزازه باللغة الأصيلة .

---

١. ضيف،شوقي:الأدب العربي المعاصر في مصر. دار المعارف . مصر . ط٢/١٩٩٩م . ٧٦ .بتصرف.

٢. الموسى،علي أحمد:المجلة المصرية . (البارودي).عدد ١٤ . عام ١٩٨٠م .

٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي .المقدمة لمحمد هيكل.ص٣٦.

ويمكن أن نقسم مرحلته الشعرية إلى ثلاثة أقسام:

المرحلة الأولى : مرحلة التقليد الذي يقوم على المران والتدرب على قول الشعر، وامتلاك معجم شعري ومخزون من الصور والتراكيب والأساليب والمعاني الشعرية والصيغ الموسيقية التي تسربت إلى ذاكرته من قراءاته في دواوين الشعر العربي القديم، فقد رأى في هذا التراث نمطاً يحتذيه، ويستوعب هيئات تراكيبه، ويتعرف نحوه وصرفه وعروضه من النص وليس من المعارف والمهارات النظرية. وليس أدل على ذلك مما جمعه من مختارات لثلاثين شاعراً عباسياً على مدى ستة قرون في مجلدين ضخمين سماهما «مختارات البارودي» .ولعل المعارضات التي أثبتَ بعضها أستاذه الشيخ حسين المرصفي في كتابه «الوسيلة الأدبية» تشير إلى غزارة ثقافته الشعرية في مختلف العصور، إذ بدأ كتاب الشعر مفتوحاً أمام ناظريه، يقرؤه ويتمثل صوره وتراكيبه وهيئاته الإيقاعية والصرفية والنحوية مثلما يتمثل لغته وأبنيته ومعانيه .

المرحلة الثانية : مرحلة نضجه، وهي المرحلة التي تمكن فيها من تجاوز التقليد والانتقال إلى التعبير عن تجربته الخاصة، والانفعال بالمواقف الحياتية والشعورية، مستخدماً الأساليب التراثية والمعاني الشعرية القديمة، فهو حين يعبر عن تجربته الشخصية يستعير، في الأغلب، لغة أسلافه وصورهم وتراكيبهم، ولا يحول ذلك دون التعبير عن شخصيته، وإذا كان الشعراء المجددون لا ينفصلون عن لغة الأسلاف انفصالاً حاسماً، فإن البارودي كان يرى في مجاراة الأسلاف ميزة وامتيازاً . وراح يعارض كبار الشعراء من مثل عنترة و الحطيئة وجرير وأبي نواس .

المرحلة الثالثة : مرحلة التجديد التي استغرق فيها في تجربته الذاتية، وغاب الوعي بالصنعة الشعرية إلى التعبير عن المشكلات الملحة والإحساس بالتحولات، وانقلاب الأمور على رأسها وتنكر الزمان والإخوان، فلم يعد الشعر قالباً يحذو فيه حذو نمط سابق، بقدر ما هو تعبير عن تجربة غائرة في أعماق الفكر والشعور، مما يسمح بأن تقود التجربة الشعرية خطأ اللغة والصورة والإيقاع، فلا تتحكم الصيغ اللغوية أو المعنوية الجاهزة في التجربة الشعرية فتحد من تلقائيتها أو التحول دون انفتاح آفاقها . ومما ينبغي الإشارة إليه أن هذه المراحل الثلاث مراحل متداخلة، لا يفصلها زمان أو مراحل تجعل التقسيم مرتبطاً بمسوغات زمنية أو موضوعية حاسمة (١) .

---

١. خير الله،رغد:المجلة العربية.(البارودي شاعر النهضة) . عدد ١١٦ . عام ١٤٠٧هـ. ص ٦ . بتصرف .

ومما سبق يتضح أنَّ البارودي في مجمل أغراضه سار على نهج الشعراء القدماء ففخر ووصف وشكا وحن إلى الوطن وتغزل ومدح وهجا و عالج بعضا من القضايا الاجتماعية ، وقد برز في الفخر والتمدح بمجده وصفاته فأجاد فيهما لأنه نابعٌ من عواطفه ومشاعره التي تعبر عن علو همته وطموحه البعيدة وفي هذا المعنى يقول(١) :

أنا مصدر الكلم النوادي بين الحواضر والبـــوادي
أنا فارسٌ أنـا شـــاعـرٌ في كل ملحمة ونـــــادي
فـإذا ركبـت فـإنـنـــــي زيـد الـفـوارس والجـــلاد
وإذا نـطـقت فـإنـنـي قيس بن ساعدة الإيادي

كما برز في وصف المواقع الحربية وما يحيط بها من عناصر و قواعد تقوم عليها ، وهذا مجال حديثنا في الفصل القادم ، كذلك برز بروزا واضحا عند شكواه وحنينه لوطنه ، فقد حملت تلك القصائد كل ما تعنيه كلمة الشكوى والحنين ، وقد أثرت في شعره تلك السنون التي قضاها في منفاه ومن ذلك قوله(٢) :

لافي (سرنديب) لي خِلٌ ألوذ بـه ولا أنيس سوى همي وإطـــــراقي
أبيت أرعـى نجـوم الليل مـرتفقا في قُنـةٍ عَـزَّ مـرقـاهـا على الراقي

ومما سبق يتضح لنا أن البارودي قد برز في نظمه في الأغراض الثلاثة السابقة بروزا لا نظير له ، أما مدحه للشخصيات الأخرى فلا يقارن بمدحه لنفسه حيث نجد التكلف يحيط بهذا الغرض إحاطة السوار بالمعصم ، ومن أمثلة ذلك قوله : (٣)

هو ذلك الملك الذي ورث العلا عن نفسه شرفا و عن آبائه
العدل من أخلاقه و العلـــم من أوصافه و الحلم من أسمـائه

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ،٢٤٢/١-٢٤٣ .
٢. السابق . ٣٢٢/٢-٣٢٣ .
٣. السابق . ١٦/١ .

وكذلك الهجاء عنده فإننا نجد أنه لا يُعد هجاء لاذعا مؤلما لأن البارودي ذو نفس كريمة وأخلاق رفيعة فلا يصدر الهجاء الموجع إلا إذا فقدت النفوس أخلاقها ومزقت قيمها ومن أمثلة ذلك قوله(١) :

وَغْدٌ تكوَّن من لؤمٍ ومن دنسٍ فما يغار على عرض ولاحسبِ
يلتذ بالطعن فيه والهجاء كما يلتذ بالحكِّ والتظفير ذو الجربِ

كما كان للحكمة نصيبٌ من شعره لما مرَّ به من تجارب وأحداث كونت لديه كماً عظيما من الدروس والعِبر وفي هذا المعنى يقول(٢):

من صاحبَ العجز لم يظفر بما طلبا فاركب من العزم طِرفا يسبق الشُهبا
لا يدرك المجد إلا من إذا هتفـــــت بــه الحمـــيـة هـزَّ الرمح و انتصبا

وعلي كل حال فالبارودي "لم يتجه بالشعر العربي غير وجهة الأقدمين الذين عارضهم وراض القول على أمثالهم ، وإن كان من الحق كذلك أنه لم يفنَ فيهم ولم يَقصر همه على النقل عنهم ، بل بدت شخصيته بارزة في شعره ، وبدا شعره مرآة بيئته وزمانه ، فلو أنه عاصر الأقدمين و عاش بينهم لكان له ما للأخطل وللفرزدق و لأبي نواس و لبشار من ذاتية يمتاز بها عن غيره ، ويقف بها في الصف الأول من هؤلاء الأقران المبرزين "(٣) .

---

١. السابق . ٨٢/١ .
٢. السابق . ٦٧/١ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي.مقدمة الديوان لمحمد هيكل. ص ٣٠ .

الفصل الأول (الدراسة الموضوعية)

المبحث الأول :

آلات الحرب و صورتها في شعر الشاعرين و الموازنة بينهما .

١. **المبحث الثاني :**

صورة الفارس و الجند في شعر الشاعرين و الموازنة بينهما.

٢. **المبحث الثالث :**

تصوير أحداث المعركة في شعر الشاعرين و الموازنة بينهما .

٣.المبحث الأول :

آلات الحرب و صورتها في شعر الشاعرين و الموازنة بينهما .

أولا : آلات الحرب و صورتها في شعر الشاعرين و الموازنة بينهما .

لا شك في أن المعركة تقوم أركانها على عناصر أساسية تضمن لها النصر و الظفر المبين ، وآلات الحرب تُعدُّ ركنا أساسيا من أركان الحرب التي تدور رحى المعركة عليها ، فجودتها و كثرتها و تنوع أصنافها من الأمور التي تضمن للمقاتلين الغلبة و التمكين ، و قد حثَّ ديننا الحنيف على أهمية الاستعداد المادي والمعنوي للمعركة حيث يقول ﷻ ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(١) أي : أعدوا لأعدائكم الكفار كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية والأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم ولهذا قال ﷺ (ألا إنَّ القوة الرمي)(٢) ، فالنصر والتمكين منوط بالاستعداد الكامل و التجهيز المسلح للمعركة ، ومن أدوات الحرب التي تناولها الشاعران ما يأتي :

أولا : الخيل .

لقد اعتنى العرب في العصر الجاهلي بالخيل عناية كبيرة ، فهي عماد حياتهم يتنقلون عليها ويشنون غارتهم بها ، فاهتموا بتربيتها و إعدادها ، ووصفوها في أشعارهم وصوروا أجسادها تصويرا دقيقا ، حتى إنا لنجد من الشعراء من تناولها في معظم أشعاره كأبي دؤاد الإيادي وطفيل الغنوي وامرئ القيس الكندي وغيرهم(٣) ، كما جعلوا وقت نتاج الخيل من المناسبات المهمة التي يحتفلون بها حيث كانوا "لا يهنئون إلا بغلام يولد ، أوشاعر ينبغ فيهم، أوفرس تُنتَج"(٤) ، والقرآن الكريم يبين لنا قصة سليمان عليه السلام مع الخيل في

---

١. سورة الأنفال ، آية ٦٠ .

٢. السعدي،عبد الرحمن بن ناصر:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق عبد الرحمن اللويحق . مؤسسة الرسالة . ط/ ١٤٢٠هـ . ص ٣٢٤ .

٣. ابن قتيبة،أبو محمد عبالله بن مسلم:الشعر و الشعراء. تحقيق أحمد محمد شاكر . دار المعارف . مصر .ط٢/١٣٨٦هـ .١٦٢/١ . بتصرف.

٤. ابن رشيق،أبو علي الحسن :العمدة في محاسن الشعر ونقد وآدابه. دار الجبل . بيروت . ط/ ١٩٧٢ . ٦٥/١ .

قول الله ﷻ ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾(١) ، كما جاءت سورة في القرآن الكريم تحمل اسمها وذلك في سورة العاديات التي بين فيها الربُّ ﷻ حالة خوضها للمعركة في صورة بليغة تنقل القارئ إلى مشاهدة أعمالها وتنقلاتها في المعركة بأسلوب بديع ، وفي الحديث(الخيل معقود في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة)(٢) وهذه المزية التي امتازت بها الخيل جعلت العرب يهتمون بها لما فيها "من خصال الشرف والمنافع ، والغناء في السفر والحضر ، وفي الحرب والسلم ، وفي الزينة والبهاء ، وفي العدة والعتاد ، ما ليس في غيرها من الحيوان"(٣) ، ولأنها من العُدد التي ينهض بها الجيش ، فهي"من أولى معدات الجيش ، وأشدها حاجة وقت الشدة ، وعلى مدى قوتها وخبرتها بالحرب تكون درجة القتال ، وعلى ثباتها في المعركة تتوقف نتائج المعركة"(٤) . وقد تناول كل من أبي فراس والبارودي الخيل في شعرهما الحربي ،وصور كل واحد منهما الخيل بصور شتى تدل على أصالتها وشجاعة فرسانها وما أدت به إلى تحقيق النصر ونجاة فرسانها من بطش الأعداء ، إلا أن وصف الخيل في المجال الحربي لدى البارودي كان قليلا في ديوانه إذا قارناه بوصفها عند أبي فراس ، ويرجع ذلك كما أرى إلى تطور الآلات الحربية في عصره عن سابقها من العصور ، فالعصر الحديث الذي عاش فيه البارودي كان بداية تطور الآلات الحربية المعتمدة على الطائرات والسفن والمدافع والدبابات والأسلحة الخفيفة وغيرها من الأسلحة التي تعتمد على التقنية الحديثة ، كما أنني لم أجد للبارودي وصفا لهذه الأسلحة الحديثة إلا النزر اليسير ، وقد اضطر البارودي لوصف الخيل مع عدم استخدامها في عصره بالصورة التي كانت في عهد أبي فراس وذلك من باب تقليده للقدماء في ذكر حروبهم وتدوين انتصاراتهم ، ولا يدل هذا على قلة اهتمام البارودي بالخيل ؛ بل كان من هواة ركوبها وتربيتها، ولا يمنع من عدم ذكره للآلات الحربية الحديثة أن تكون الخيل رمزا استخدمه الشاعر لهذه الآلات الحربية الحديثة ، وعندما أتحدث عن وصفه للخيل سأتطرق لهذا بمشيئة الله تعالى .

---

١. سورة ص .آية ٣٠-٣٢ .

٢. البخاري،محمد بن إسماعيل:الجامع الصحيح . دار الشعب . القاهرة . ط١/١٤٠٧هـ . ٣٤/٤ .

٣. الجاحظ،عثمان أبو عمرو بن بحر:الحيوان.تحقيق عبد السلام محمد هارون.مكتبة مصطفى الحلبي.دمشق.ط١/١٣٧٥هـ.١٢٠/٧.

٤. القيسي،نوري حمُّودي:الفروسية في الشعر الجاهلي . ص ١٥٥ .

الخيل في شعر الحرب عند أبي فراس :

لا شك في أنَّ أبا فراس يؤمن بأن كثرة الخيل وأصالتها وشجاعة فرسانها من الأمور الداعية للفخر بنفسه والإشادة بفروسية قومه حيث يقول (١) :

أ لم تخبركَ خَيلي عن مقامي بـ(بالسَ) يوم ضاق بها المقَامُ
وولتْ تَلتقي بعضا ببعـضٍ لهم والأرضُ واسعةٌ زحـــامُ
سَروا والليل يجمعنا ولكـــن يبوح بهم ويكتُمنا الظـــلامُ
إلى أن صبَّحتْهُم بالمنايـــا كرائمُ فوق أظهرها كِـــــرامُ (٢)

فأبو فراس يبدأ قوله بالإستفهام الذي يؤكد الإجابة لدى المخاطب ، حيث يقول : إنْ كنت لا تعلم عن فروسيتي وشجاعتي فدونك الخيل تُنبئك عن حالي وما وصلتُ إليه من أعلى رتب الشجاعة والسيادة ، تلك الخيل التي تملأ أرض المعركة وتحيط بالأعداء من كل جانب ، يمتطيها فتية بلغوا من المجد ذروته ، في تلك الليلة الظلماء التي اجتمع فيها شملنا وتفرقت فيها كلمتهم ، إلى أن أسفر الصبح فبادروا الأعداء قتلا وأسرا ، وعندما يستفهم الشاعر ويجعل الخيل تقوم مقام الفرسان لتروي للناس أحداث المعركة فكأنه يقول: إنَّ هذه الخيل لو نطقت لشهدت لي بالشجاعة والإقدام لكثرة خوضها معي غمار المعارك . ولا شك في أنَّ مثل هذا الاستفهام وذلك المعنى قد طرقه الشعراء قديما قبل أبي فراس فهاهو ذا عنترة يقول مخاطبا عبلة محبوبته (٣) :

هلا سألت الخيل يابنة مالك إنْ كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي

ثم يذكر أبو فراس أوصاف تلك الخيل التي تدربت على خوض المعارك واعتادت القتال ، فلا بد أن تتصف

---

١. انظر ديوان أبي فراس .تحقيق الدهان . ص ٣٦١ .
٢. السابق . ص ٣٦١ .
٣. الأصفهاني:الأغاني ، ٢٥٤/٩.

بصفات تؤهلها ليوم الكريهة والبأس ، ومن تلك الأوصاف ما ذكره الشاعر (١) :

وجُرشُعٍ عالي التَّلِيل آفِقُـــهْ خَاطي مجالِ الدَّفَّتين ناهِقُهْ
عبْلُ الشَّوى تقاربت مرافقه أنجبهُ وجيههُ ولاحـقـــــــهْ
ضافي القَرا عَنَاقه عنائِقُـــه تحسبُهُ إذا علاك فائقُـــــهْ
يمشي بجِزعٍ مُشْرفٍ غرانقُـهْ نعم الفتى يوم الوغى مُرافِقُهْ

فهذا الفرس"ضخم طويل العنق سمين عظيم الوجه ، مكتنز الأطراف ، مرافقه متقاربة ، طويل الظهر ، ظهره يشبه طائر الغرنق الضخم"(٢) ، فمثل هذه الخيل التي حازت هذه الصفات نِعْمَ من رافقته في مسيرة رحلة للمعركة ، فالنصر معقود بنواصيها ، والشاعر يستخدم في وصفه لها ألفاظا جزلة توحي بقوة مدلولاتها على أن هذه الخيل منزلتها عالية في نفس الشاعر ، فهو يتخير أجزل العبارات والألفاظ التي تتناسب وأصالتها ، كما يتخير أشجع الفرسان لركوبها واقتحام المعركة بها .

ومن صفات الخيل عند أبي فراس أنها جُردٌ أي قصيرة الشَّعَرِ أوشَعَرُها رقيق (٣) ، وهذه من سمات الخيل الأصيلة كما يقول أبو فراس (٤) :

عتادي لدفع الهمِّ نفسٌ أبيـــةٌ وقلب على ما شئتُ منه مُصاحِبُ
وجُردٌ كأمثال السَّعالي سلاهبٌ وَخُوصٌ كأمثال القِسيِّ نجائـــــبُ

فقد جمع الشاعر عناصر الفروسية في هذين البيتين فالنفس الأبية التي لا ترضى الذل يدفع بها الهمَّ والحزن ، والقلب الشجاع خير صاحب في وقت الأزمات ، والخيل الأصيلة – ذات الشعر القصير والقوائم الطويلة

---

١. السابق ، ص ٢٦٤ .
٢. الحمداني،أبو فراس: ديوان أبي فراس . شرح عبد الرحمن المصاوي . دار المعرفة . بيروت . ط٢/١٤٢٥هـ . ص ١٧٦ .
٣. الزبيدي،محمد بن محمد:تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية . بدون تاريخ . ٤٨٧/٧ .
٤. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .تحقيق الدهان . ص ٣١ .

وكأنها الغول في هيئتها – تُرهب الأعداء في طلعتها وقوة بأسها . ومن صفات هذه الخيل عند أبي فراس أن تكون ضامرة البطون لتتمكن من السير في خِفة وسرعة تمكنها من اللحاق بالأعداء (١) :

وفي طيءٍ لما أثارت سُيُوفُـــهُ كُـماتَهُمُ ، مرأى لمن كان مبصرا
وكلبٌ غداة استعصموا بجبالهمْ رَمــاهمْ بها شُعثا شوازبَ ضُمَّرا
فأشبع من أبطالهم كُلَّ طائرٍ وذئبٍ غدا يطوي البسيطة أعفرا

يقول إنَّ أعظم ما رأته العيون وأبصرته القلوب هو ذلك اليوم الذي أفنت فيه سيوفنا كماة بني طيء وجعلتهم أحاديث لغيرهم ، وكذلك من الأيام التي خلدها التاريخ تلك الأيام التي غزونا فيها قبيلة كلب بخيلٍ مضَمَّرة قليلة اللحم قد انكمشت بطونها لا هزالا ولا مرضا ولكن لكثرة ركضها واستمرارها عليه ، حتى غدت أرض المعركة مفروشة بجثث الأعداء التي كانت طعاما لوحش الأرض والسماء. كذلك قوله في هذا المعنى عند حديثه عن الجيش الذي يقوده (٢) :

بجيش لا يحِلُّ بهم معـــــــيرٌ ورأيٍ لا يَغِبُّهُمُ مُغَـــــارِ
تحفُ به الأسنة والعـــــــوالي ومُضْمَرَةُ المهارَى والمهارِي
يَعُدْنَ بُعيدَ طولِ الصَّونِ شُعثا لما كُلِّفنَ من بُعدِ المِغـــارِ

فهذا الجيش الذي يقوده هذا الفارس لا تصل إليه أيدي الأعداء مهما بلغوا مبلغهم في الشدة والقوة ؛ لأنه جيش فريد محاط بفتيات شجعان يحملون السيوف والرماح ويمتطون تلك الخيول المضمّرة التي تمرست على خوض المعارك واقتحام الصِّعاب ، فلا يعودون إلا وهم يحملون ألوية النصر الخفاقة ، فوجود هذه الصفات في رأي أبي فراس تؤهل الجيش للنصر والتمكين . كما وصف أبو فراس هذه الخيل بالسرعة في

---

١. الحمداني،أبو فراس: ديوان أبي فراس. شرح المصطاوي . ص ١٣٤ .
٢. السابق . ص ١٥٢ .

انطلاقها وإغارتها حيث يقول (١) :

لما برزنا للدمستق مرَّةً ورأى بوادر خيلنا كالأسهم

فهي تشبه رمية السهم في انطلاقها وهذا يدلنا على خفة جسمها وضمور خصرها وارتفاع قوائمها ، كما يشبهها في السرعة بالريح حيث يقول (٢) :

وتَنُوفَةٍ قَذِفٍ يحار بها القطا جاوزتها بجُلالةٍ مِذعـــانِ
تطوى الفلاة بأربع مجـدولةٍ وتبذُّ شأو الريح بالذَّملانِ

فعندما يقطع بهذه الخيل تلك الفلاة الشاسعة التي يهلك فيها كل شيء ويحار فيها الخرِّيت ، إلا أنَّه يقطعها بخيل تسابق الريح العاتية ومع ذلك فهي مطيعة لفارسها لا تتذمر ولا يصيبها الملل ؛ بل كلما زاد اتساع الفلاة زاد انطلاقها وخفة حركتها . وهذا يدل على أنَّ الفرس توصف "بالسرعة في جميع حالاتها ، إذا حُرِّكت وإنْ لم تُحرَّك ، فتشبه بالكواكب، والبرق ، والحريق ، والريح ، والغيث ، والسيل"(٣) وغير ذلك .

ومن صفات هذه الخيل أيضا لدى أبي فراس أنها خيل أصيلة خفيفة الجانب من خيار الخيول (٤) :

فهذا العز أورثنا العوالي وهذا الملك مكَّنه الضِّرابُ
وأمثال القسي من المطايا يجُبُّ غِراسَها الخيل العِرابُ

و يقول أيضا (٥) :

وقومُ مثل من صحبوا كرامٌ وخيلٌ مثل من حملت خِيارُ
وكم بلدٍ شتَتْناهُـــنَّ فيـه ضحى وعلا منابره الغبـــارُ
وخيل خَفَّ جانبها فلمـا ذُكِرنا بينها نُسي الـفـــــرِارُ

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . تحقيق الدهان . ص ٣٧٧ .
٢. السابق . ص ٤١٥ .
٣. العسكري:كتاب الصناعتين . ص ٨٠ .
٤. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح المصطاوي . ص ٥٢ .
٥. السابق . ص ١١٨ .

يقول: لقد تمكنا من الوصول إلى المجد وضرب أعناق الأعداء بعزنا وبمُلكِنا الذي ورثناه عن آبائنا وتأصل في أبنائنا ، واستطعنا أنْ نقطع دابر الأعادي بإغارة تلك الخيول الأصيلة في نسبها وبنيتها وعلى أظهرها فرسان قد ملكوا الدنيا ونالوا العزَّة والشرف ؛ لأنهم سُراة قومهم فلا تحمل هذه الخيول إلا خِيرة القوم وسادتها ، ومع أصالة هذه الخيل وعلو شأنها فإنَّ سرعتها وخِفة ركضها يُنسينا ما أهمنا بل يشحذ هممنا و يقوي عزائمنا حتى نظفر بالنصر على الأعداء . وقد يقصد بالخيل العِراب الخيل العربية لأنَّ قولنا"أعرب الفرس خلصت عربيته...فإذا سَمع صوته من له خيل عرابٌ تَبيَّنَ أنه عربي"(١) و"العِراب: الخيل العربية"(٢).كذلك من صفات الخيل عند أبي فراس أنها سريعة لاتكاد تمس الأرض من سرعتها ، تعرف فرسانها وتعلم أنهم فرسان حرب وأصحاب تضحيات ، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس(٣) :

ومهري لا يمس الأرض زهوا كأنَّ ترابها قطب النِبـــــالِ
كأن الخيل تعرف من عليها ففي بعض على بعضٍ تُعالي

فهو يمتطى مُهرا من خيل أصيلة لا تكاد تمس الأرض تعاليا بمن على ظهرها من الفرسان الأبطال الذين أكسبوها العزَّة والتعالي في ساحة المعركة ، وفيه كناية عن سرعة إغاثة هؤلاء الأبطال لمن يستجير بهم ، فهم لايعرفون التباطؤ ولا الكسل ، كما أنها تصاب بالغرور عندما يمتطيها هؤلاء الفرسان لعلمها بفروسيتهم وشدة بأسهم وحُسن ركوبهم إياها ، فهذه الخيل تشهد بأفعالها وحركاتها على أنَّ هؤلاء هم الفرسان حقا ولو نطقت لتحدثت بذلك ، لكن عدم قدرتها على الحديث والكلام لايمنعها أن تُعبِّر بأفعالها وتصرفاتها، وهو بذلك يرسم"لها صورة المتكبر المتعالي،فعلوها من علو فارسها،ومن سرعتها لاتمس الأرض تكبرا وزهوا "(٤) .

---

١. ابن سيده:المخصص. ١٠٥/٢ .
٢. البغدادي،عبد القادر:خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.تحقيق محمد نبيل و إميل اليعقوب.دار الكتب العلمية .بيروت. ط/ ١٩٩٨م . ٢١٣/٩ .
٣. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح المصطاوي . ص ١٨٧ .
٤. بسيسو،ماجد وليت وجيه:شعر أبي فراس الحمداني دراسة فنية . ص ٣١٢ .

كما أنها مطيعة لفرسانها (١) :

وقد ثقَّفتُ للهيجاء رُمحـــي وأضمرتُ المهَارِي والمهارا
وكان إذا دعانا الأمر حفَّتْ بنا الفِتيانُ تبتدرُ ابتـدارا
بخيل لا تُعانِدُ من عليهـــــا وقومٍ لا يرون الموت عارا

فتجهيز العُدة و العتاد للمعركة من صفات الفرسان الأبطال لأنَّ العُدة والعتاد من مقومات المعركة وأسباب نصرها ، فهذا الفارس يجهز رمحه ويقومه و يُضمِّرُ الإبل والخيل لتتهيأ للقتال ، فما إن يدعو الداعي وينادي المنادي إلا ويحفه الأبطال الذين أرهفوا أسماعهم لمثل هذه النداءات وهم على تلك الخيول المضمرة المتهيئة للقتال المطيعة لفرسانها لعلمها بشجاعتهم .

وهو يؤكد على أن هذا الداعي هو الأمر الخطير وأنَّ الملبِّي لهذا الداعي هو ذلك الفارس المحارب الصنديد المطاع في أهله وعشيرته ، ويؤكد إحاطة الفرسان به دليل على قدومهم من كل مكان ومن كل قبيلة ومن كل جهة ، يتسابقون في تلبية النداء ونيل الشرف للقتال طلبا للنصر وتحقيق الغلبة على الأعداء .

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح المصطاوي . ص ١٢٦ .

الخيل في شعر الحرب عند البارودي :

لاشك في أن للخيل مكانة عظيمة لدى البارودي لما يمتاز به من فروسية وقيادة حربية ، فقد وصفها بأوصاف مختلفة ، فمن تلك الصفات وصفه لها بالأصالة التي ترفع من شأنه وتنافس غيرها في أهم صفاتها المعروفة"بسرعتها وقصر شَعَرِها"(١) ، حيث يقول (٢) :

وحسب الفتى مجدا إذ طلب العلا بما كان أوصاه أبوه وجـــــــدُّهُ
إذا وُلِد المولود منا فـــــــــدَرُّهُ دم الصِّيدِ والجُردُ العناجيجُ مهدُهُ
فإن عاش فالبيد الدَّياميـــــم دارهُ وإنْ مات فالطيرُ الأضامِيمُ لحدهُ
ولا بد من يومٍ تَلاعَبُ بالقنـــــا أُسودُ الوغى فيه وتَمرحُ جُـــرْدُهُ

فهذه الأبيات ألبس فيها البارودي ذلك الفارس المغوار لباس الشجاعة حيث أحياه حياة الحرب وأماته ميتة الحرب، فلابد أن يقتفي أثر آبائه و أجداده في طلب المعالي والوصول إلى قمة المجد الذي لا يُنال إلا بالتضحيات وإراقة الدماء ، فقد نشأ نشأة حربية يرضع من دماء الأعداء الذين يُرديهم قتلى ، ويفترش ظهور الخيل الجُرد في سَبْقِها و قِصر شَعَرِها ، فيتخذ ظهرها مهادا تأنس به نفسه ، فلا راحة له إلا على ظهورها ولا غذاء له إلا دم الأعداء ، فقد جمع بين رغبته الداخلية وإحساسه بالجوع وبين رغبته الخارجية واحتياجه لما يلبي راحته الجسمية ، فنفسه لا يسُدُّ حاجتها إلا دم الأعداء الذين يُتوصل إليهم بتلك الخيل الأصيلة ، فالخيل من الوسائل الأساسية التي تحقق للفارس النصر والغلبة ، فحياته تكون في طلب الأعداء ، ومنزلهُ الواسع من البيداء وقبره جوف الطيور الجارحة ، وفرحه ومرحه في طلب العدو على ظهور تلك الخيل الجُرد الأصيلة .

---

١. عباس،إحسان:شعر الخوارج . ص ٥٤ .

٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١/١٤٦-١٤٧ .

كذلك من أسباب النصر ركوب تلك الخيل الجُرد التي تُمكِّن الفارس المحارب من الظفر حيث يقول البارودي (١) :

ونقعٍ كلُجِّ البحر خُضتُ غِمارهُ ولا معقِلٌ إلا المَناصِلُ والجُردُ

فقد شبه البارودي اللجوء إلى السيف والخيل الجُرد كاللجوء إلى الحُصن المنيع الذي لا يستطيع أحد أنْ يقتحمه حين تدور رحى المعركة وإثارة الخيل نقع الغبار الذي يغطي أرض المعركة ويحجب سماءها ، فحصن المعركة الذي يلجأ إليه الأبطال في تلك اللحظة هو السيف الذي يفني الأعداء والإغارة بتلك الخيل الأصيلة التي يقودها فرسان أشاوس .

كذلك هذه الخيل تمتاز بإثارتها للغبار عندما تلتهب نار المعركة ، وهذه الإثارة كناية عن قوة الخيل ورسوخ قوائمها في أرض المعركة ، ولا يصدر هذا النقع ولا تعلو طبقته في السماء إلا عن طريق خيل أصيلة تشق الأرض بحوافرها كما يقول البارودي عند وصفه لميدان المعركة الذي تملؤه الخيل حيث يقول (٢) :

توسَّطتُهُ والخيلُ بالخيل تلتقـــي وبيض الظُبا في الهام تبدو وتغـــربُ
فما زلت حتى بيَّن الكرُّ موقفي لدى ساعة فيها العقولُ تغيـــــبُ
لدُن غُدوةٍ حتى أتى الليلُ والتقى على غيهبٍ من ساطع النقعِ غيهبِ

فالتقاء الخيل ببعضها والمبارزة بين الأبطال من الطرفين والتحام الصفوف ؛ كُلُّ ذلك يُثيُر الغبار الذي يتكاثف ويُكوِّن طبقات في الجو مظلمة ، هذه الطبقة الكثيفة من الغبار الناتجة عن الكرِّ والفرِّ التحمت مع ظلمة الليل الدامس فزادت الظلام ظُلمة ، وكأن هذه الحرب استمرت يوما كاملا ، لأن المعركة بدأت من لدن غُدوة أي: أول النهار ، وهذا يدل على شدة هذه المعركة وقوة تحَمُّلِ أبطالها وصبر خيولها هذا الوقت الطويل الذي أدى إلى كثرة القتلى والجرحى في صفوف الأعداء ، لكنَّ مثل هذه الخيل الأصيلة الصابرة يكون ثباتها في هذه الظروف أقوى من غيرها .

---

١. السابق ، ١٦٩/١ .

٢. السابق ، ٤٠/١-٤١ .

يقول البارودي في هذا المعنى أيضا (١) :

ومعترك للخيل في جنبـــــاته صهيل يَهُدُّ الراسيات وئِيـــدُهُ
بعيدِ سماءِ النَّقعِ يَنْقضُّ نسرُهُ على جُثث القتلى ويَنْغَلُّ سِيدُهُ

فهذا النقع يزداد ارتفاعه بزيادة التحام الخيل بعضها بعضا ، وزيادة ارتفاع الغبار دليل على أنَّ اندفاعه من الأرض اندفاع شديد ، فما إن تقترب سحابة الغبار من الأرض حتى ترتفع سحابة أخرى تعلو بها أكثر مما كانت عليه ، وكأنَّ ميدان المعركة قد تبدلت سماؤه الصافية بسماء الغبار الكالحة ، وكونها سماء دليل على أنَّ المعركة تزداد سعيرها وتضرم نارها حتى لكأنَّ الغبار أصبح سماء حقيقة لأرض المعركة ، ومرجع ذلك إلى الخيل العتيقة الأصيلة التي تغير في أرض المعركة وتنجو بفرسانها عندما يشرئب إليهم الأعداء .

ويقول أيضا (٢) :

وخيلُ يعُمُّ الخافقين صهيلها نَزَائِعُ معقود بأعرافها النَّصرُ

فصهيل هذه الخيل يهدُّ الجبال الراسية ويقضي على كل قوي شامخ ، فإذا كان هذا فعل صوتها فكيف بفعلها وهي تتوسط أرض المعركة ؟! و تأثيرها في الجامد دليل على أن من سمعها لا ينج من صخب صوتها وجمحمتها ، فالسلاح الذي يُضمُّ إلى السيف هو صوتها المرعب ، كما أنَّ هذا الصهيل لا يتوقف عند إزاحة الرواسي من الأشياء بل يتعداه ليعُمَّ أطراف المعمورة ، فيبلغ المشرق والمغرب كناية عن بلوغ صوتها إلى أقصى حدٍّ من أرض المعركة .ولقد جمع البارودي أوصافا عديدة لفرسه عندما ذهب به للمرعى ورأى أنه خير صاحب ليوم الكريهة والوغى (٣) :

ولقد هبطت الغيث يلمع نَوْرُهُ عن مثل حاشية الرداء المجْسَدِ

---

١. السابق ، ١٨١/١ .
٢. السابق ،٤٥/٢ .
٣. السابق ، ١٥٢/١-١٥٥ .

بمُضمَّرٍ أرنٍ كأنَّ سَراَتَـــــــهُ بعد الحميم سبيكةٌ من عســـجدِ
خَلَصَتْ له اليُمنى وعـمَّ ثلاثةً منه البياضُ إلى وظيفٍ أجـــــردِ
فكأنما انتزع الأصـــيلَ رداءهُ سَلَبا وخاض من الضحى في مـورِدِ
زجلٌ يُرِدِّدُ في اللهاةِ صهيـــلَهُ رفعا كزمزمة الحـــــبِيِّ المِـــرْعِـــدِ
متلفتا عن جـــــانبيه يـــهُزُّهُ مَرَحُ الصِّبا كالشَّارِبِ المـــتـــغرِّدِ
وإذا أطعت له العِنان رايتـــهُ يطـــوى المهامِهَ فـــدفـدا في فدفدِ
يكفيك منه إذا أحسَّ بِنبـــأةٍ شَـــدٌّ كـــمعمعة الأَبـــاءِ المُوقَدِ
صُلبُ السنابك لا يمرُ بجلـمدٍ في الشَّدِّ إلا رَضَّ فيه بِجـــلـــمـــدِ
نِعم العَتَاد إذا الشِّفاهُ تقلَّصت يـــوم الكريهةِ في العجـــاجِ الأربـدِ(١)

فقد نزل الفارس إلى أرض أصابها الغيث فأنبتت الكلأ والمرعى النضر بفرس ضامر كأنَّ ظهره بعد إزالة العَرَقِ عنه سبيكة من ذهب ، قد خَلصت له قائمته اليمنى فهي ذهبية اللون مثل جسمه ، أما الثلاث القوائم الأخرى فقد عمَّها البياض إلى الساق ، وهذه القوائم جُرد قليلة الشعر ، كما جمع لون الأصيل في جسمه ، وبياض الضحى في قوائمه ، فصوته له قعقعة ودوي يشبه صوت الرعد في السحابة الماطرة ، متعاليا بنفسه ، إذا أطلقت لجامه قطع المفازة الواسعة المترامية الأطراف بقوة ونشاط ، فكأنَّ صوت حوافره صوت حطيم الحطب عندما تضرم النار فيه ، وأطراف حوافره الصلبة تدُقُّ الصخر وتهشمه ، فمثل هذا الفرس الأصيل نِعمَ اصطحابه يوم الشدة في الحرب وحين ارتفاع غبار المعركة (٢) .

---

١. السابق ،١/١٥٢-١٥٥ .

٢. معنى هبطت الغيث أي: نزلت بأرضه ،والنَّوْرُ :الزهر،والأسِرَّة :خطوط الكف والجبهة،ووالآرآم :الظبي الخالص البياض،والمضمَّرُ :خفيف اللحم، والأَرِن :النشيط السريع،والعسجد :الذهب،والوظِيف من الحيوان:مستدق الذراع والساق،والأجرد:قصير الشَّعر،والزَّجِلُ:ماله جلبة وصوت عال،والزمزمة:الصوت المتتابع كالرعد،والحبِيُّ:السحاب،والسِّيد بكسر السين:الذئب والأسد،والرَّدهة:شِبه أكمة خشنة،والمتورِّدُ:الجريء،والمهامه:المفازة البعيدة،والفدفد:الفلاة،وللمزيد من الشرح انظر:شرح الأبيات في الهامش لعلي الجارم ومحمد شفيق.

ومن الأوصاف التي وصف بها البارودي خيل الفارس تلك التي يقول فيها(١) :

فَقَدْ أسيرُ أمام القوم ضاحيةً والجوُّ بالباترات البيض مُشتعلُ
بكلِّ أشقر قد زانت قوائمـــهُ حُجُولُهُ غيرَ يُمنى زانها العـــطلُ
كأنه خاض نهر الصبح فانتبذتْ يمناه وانبثَّ في أعطافه الطَّفَـلُ
زرق حوافره ســـودٌ نـــواظـــرهُ خضرٌ جحافله في خلقه مَيَلُ
كأنَّ في حلقه ناقوس راهـــــبةٍ باتت تحركه أو راعـــدٌ زَجِلُ

فهو يقتحم المعركة بجواده الأشقر الذي ازدانت قوائمه الثلاث بالبياض وخلت منه الرابعة التي كانت علامة فارقة تدل على حُسن مظهره ، فبياض تحجيله كبياض ضوء الصبح ، وشُقرة أعطافه وجسمه كحُمرة الشفق ، فجمع علامات الخيل الأصيلة من زُرقة حوافره وسواد عينيه وخضرة جحفلته وهي لدى الفرس كالشفة من الإنسان ، بالإضافة إلى مشيته المتبخترة والمتمايلة وصهيله الذي يشبه أجراس الأديرة والكنائس ، أو يشبه صوت الرعد في السحابة الممطرة(٢) ، ويتميز بحمرة عُرفه وذنبه (٣) . كما يتصف هذا الفرس بأنه طِرفٌ أعوجي (٤) :

ويصحبني في كلِّ روعٍ ثلاثةٌ: حُسامٌ وطِرفٌ أعوجيٌّ ولهذمُ

فأصحاب هذا الفارس في يوم الحرب والخوف والفزع ثلاثة لا يتخلى عنها بل هي عُدة كلِّ فارس؛فالحسام به تُقطف الأنفس ، واللَّهذم من الرماح بها تمزق الأجساد ، والطِرف الأعوجي من أجود أنواع الخيل التي يتفاخر الفرسان بها في أرض المعركة ، فخيل هذا الفارس من الخيل الأصيلة الأعوجية التي تنسب

---

١. السابق ، ١٥٨/٣ .
٢. السابق . تعليق الشارح على هذه الأبيات بتصرف .
٣. الزبيدي:تاج العروس من جواهر القاموس . ٦٧/٥ .
٤. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٥٥١/٣ .

إلى خيل أصيلة كانت في الجاهلية(١) .كما يُبين البارودي بأنَّ جواد هذا الفارس حِصان وهو ذكر الخيل(٢):

فمن لي والأماني كاذباتٌ بيوم في الكريهة أرونـــانِ
ألاعبُ فيه أطراف العوالي وأطلق بين هبوته حِصاني

فهذا الفارس يتمنى أنْ يخوض الحرب ويتضجر من الأماني الكاذبة التي لا تحقق له سوى اليأس والإحباط ، فهو لا يرضى الذل ولا الهوان ، بل يتمنى أن يبقى كل يوم في حياته محاربا ومناضلا ، فيوم الحرب العصيبة يوم للنزهة يدرب فيه حصانه ويلاعب أطراف الرماح ويباري الشجعان . ومن صفات جواد هذا الفارس أنه من الخيل المِذاكِي (٣) :

أنا ابن الليل والخيل المِذَاكِي وبيض الهند والسُّمرِ اللِّدانِ

فقد زاد على الثلاثة الذين يصطحبهم في الحرب بالسير في الليل على خيل أصيلة قد اكملت سنة من عمرها فقويت وأصبحت جاهزة لخوض المعارك واقتحام الصِّعاب ، وقد استعار هذا من الشعراء الأقدمين .

ومما سبق يتضح لنا أن الخيل من مقومات الحرب الأساسية و وسيلة النقل الحربية في العهد السابق، وقد اهتم فرسان الحرب من الشعراء في القديم بها اهتماما بالغا ، فتناولوا أوصافها الخِلقية والخُلقية ، مما جعل أصالتها ونجابتها من الأمور الهامة التي تحقق للجيش الظفر والانتصار ، وأبو فراس من أولئك الفرسان الذين تناولوا وصف الخيل في حروبهم و وصْفِ فرسانها ، أما البارودي فقد كان مقلدا للقدماء في هذا المجال ، وقد اتفق الشاعران في بعض الأوصاف واختلفا في البعض الآخر في الأمثلة السابقة ، ومما تقاربا في وصفه ؛ وصف الخيل بأنَّها من أهم العُدد الحربية التي تقاس على وجودها قوة الجيش وضعفه ، فأبو فراس يرى أنَّ عُدته الحربية تكمن في أربعة أشياء : الهمة العالية والقلب الشجاع والجواد الأجرد الطويل الذي يملأ قلوب الأعداء خوفا ورهبة وكذلك الإبل التي امتازت بأعينٍ صغيرة غائرة تشبه في سرعتها رمية السهم ، وقد جعل

---

١. ابن فارس:معجم مقاييس اللغة . ١٨٠/٤ .
٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٦٦/٤ .
٣. السابق ، ٤/ ٦٧ .

أبو فراس الهمة العالية والقلب الشجاع من أهم عدته للجيش، فقد يمتطى الخيل من قَلْبُهُ مليئ بالخوف والجُبن ، فالشجاعة والإقدام نصف النصر إنْ لم يكونا النصر كله . كما ذكر أبو فراس بأنَّ هذه العُدد الأربعة من عُدة الحرب وعُدة الشيء ما هُيئ له من قبل ، فالخيل والإبل تحتاج للتهيئة مدة طويلة حتى تكون جاهزة لخوض المعركة ، والنفس الأبية والقلب الشجاع عند أبي فراس يحتاج لإعدادهما وتدريبهما وتهيئتهما ليوم الكريهة كما يقول (١) :

عتادي لدفع الهمِّ نفسٌ أبيـــةٌ وقلب على ما شئتُ منه مُصاحِبُ
وجُردٌ كأمثال السَّعالي سلاهبٌ وَخُوصٌ كأمثال القِسيِّ نجـــائبُ

وفي الموضع الآخر يزيد على الخيل والإبل بتجهيزه للرماح ، فأصبحت عدته مكونة من الهمة العالية والقلب الشجاع والخيل والإبل المضمرة والرماح الثاقبة كما يقول (٢) :

وقد ثقَّفتُ للهيجاء رُمحي وأضمرتُ المهَارِي والمهارا

ولم يذكر السيف لأنَّه صاحبه الذي لا يفارقه في أي وقت وحين . وبهذا نجد أنَّ أبا فراس قد جمع بين الأمور المعنوية والمادية التي تجعل النَّصر حليف المقاتلين وتضمن لهم العِزَّة والتمكين . أما البارودي فيرى أنّه في الحرب ابن لأربعة أمور : الليل والخيل والسيف والرمح كما في قوله(٣) :

أنا ابن الليل و الخيل المذَاكِي و بيض الهند و السُّمرِ اللِّدانِ

فالليل مسير الشجعان والخيل مركبُ الفرسان والسيف والرمح عُدة المقاتلين ، فإذا كان هذا الفارس ابنا لتلك الأمور التي تدل على القوة والفروسية فقد بلغ غاية البطولة وأعلاها ، ثم يؤكد على أنه تعلم الفروسية

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . ت: الدهان . ص ٣١ .
٢. السابق . شرح: المصطاوي . ص ١٢٦ .
٣. الباروي،محمزد سامي:ديوان البارودي ، ٦٧/٤ .

مذ نعومة أظفاره وأنَّ هذه الأدوات الحربية مع تمرسه لها انقادت له وذلت وصارت من أصحابه الذين أصبحوا قريبين منه كما يقول(١) :

ويصحبني في كلِّ روعٍ ثلاثةٌ: حُسامٌ وطِرفٌ أعوجيٌّ ولهذمُ

لأن استصحابه لهذه الثلاثة دليل على كون كل واحد منها " ذلَّ وانقاد بعد صعوبة "(٢) ، فهو شجاع ثابت القلب والجنان ، قد انقادت له هذه الأمور الثلاثة وأصبحت بمنزلة الأصحاب الذين لا يتم اختيارهم ولا اصطحابهم إلا بعد خوض التجارب معهم ، وفي نظري أنَّ البارودي قد تفوق في وصفه هذا من حيث جمعه لمقومات الحرب في صورتين متسلسلتين ، الأولى: صورته وهو ابن لها ، والثانية: صورتها وهي مصاحبة له . أما أبو فراس فقد تميز بتقديم قوته النفسية وشجاعته القلبية على أدوات الحرب لأنه يرى أنها من أساسيات الحرب وأنَّ الفارس لا يستغني عن قوة العزيمة والوسيلة الموصلة إلى تحقيق نجاحها بالخيل وغيرها .

كذلك من صفات الخيل المتقاربة لدى الشاعرين وصف ظَهرِ الخيل وسرعته ، فأبوا فراس يصف ظهر فرسه بأنَّه طويل وسمين كما في قوله : (ضافي القَرا) وهذا الطول يساعده على السرعة الفائقة التي تختلف في وصفها عند أبي فراس ؛ فمرة يصف هذه السرعة بسرعة السهم (وأرى بوادر خيلنا كالأسهم) ، ومرة كالريح (وتبذ شأو الريح بالذَّملان) ، وثالثة لا تكاد تمس الأرض من سرعتها (ومهري لا يمس الأرض زهوا) . أما البارودي فيشبه ظهر فرسه في جماله ولمعانه ومتانته بسبيكة الذهب الخالص (سبيكة من عسجد) ، أما من حيث السرعة فهو يطوى الفلاة و يقطعها مهما كان اتساعها (يطوي المهامه فدفدا في فدفدا) لا يضره كثرة التنقل وبُعد المسافة لما يمتلكه جسمه من متانة وصلابة ، وقد أجاد أبو فراس من هذه الناحية بحيث جعل طول ظهر الفرس سببا في سرعتها المشبهة بالسهم الذي يمتاز بالدقة والخفة ، فهذه الفرس عندما تنطلق تخترق الجموع حتى تصل إلى مبتغاها ، وكذلك هي كالريح تحمل الخير والشر فتحمل الانتصارات

---

١. السابق ، ٥٥١/٣ .

٢. ابن سيده:المحكم و المحيط الأعظم في اللغة ، ١٦٧/٣ .

وتسحق الأعداء .أما البارودي فالخيل عند سرعتها لا شبيه لها إلا أنها تطوي كل فلاة ، وطيها دليل على السرعة العظيمة ، فوصفه بأنها تطوي يدخل فيه تشبيهها بكل ما هو سريع و نافذ .

كذلك تطرق أبو فرس إلى وصف هذه الخيل بقدرتها على التأثير فيمن حولها ، فهي تتحدث من شدة مِراسِها للحرب وبلائها البلاء الحسن (ألم تخبرك خيلي عن مقامي ؟!) وهذا الاستفهام والتعجب أعطيا الخيل قوة في الرفع من مكانتها وأنها تُجيب عن فارسها لمعرفتها بقدراته الحربية التي لا مثيل لها ، أما البارودي فيرى أنَّ إجابة خيله لا تكون إلا بالصهيل الذي يهُدُّ الجبال الرواسي (صهيل يهُدُّ الراسيات وئيدهُ) عند ذلك يعرف الأعداء أنَّ النصر سيتحقق، وأرى أن البارودي رسم لنا صورة حية رائعة متحركة تؤثر في السامع و تجعله يعيش تلك اللحظة بفعل بذلك الوصف الذي مَزج صهيل الخيل بصوت الرعد القاصف فيه حتى أخرج لنا ذلك الصوت الرهيب ، بل عمَّ هذا الصوت الخافقين (وخيل يعُمُّ الخافقين صهيلها) .

كذلك من الصفات المتقاربة بين الشاعرين ؛ وصف الخيل بأنَّها جُرد وضُّمر ، فأبو فراس يرى أن من صفات الخيل الجيدة في الحرب أن تكون مضمرة (ويَحسُنُ في الخيل المسَوَّمةِ الضُمرُ) ، كما يهتم بتضمير الخيل و الإبل(وأضمرت المهاري والمهارا) بحيث تكون نحيلة من غير هُزال (شعثا شوازب ضُمرا) ، فالنحافة من غير هُزال من الأمور التي تدل على حُسنها وقوتها .

أما البارودي فإن الخيل الضُّمر لا بد أن تكون نشيطة (بضمرٍ أرنٍ ...) ، وبهذا نجد أنَّ أبا فراس يرى أنْ تكون الخيل ضامرة نحيفة من غير هزال ، والبارودي يرى أنْ تكون ضامرة نشيطة حتى وإنْ لم تكن نحيفة البدن . أما وصف الخيل بأنها جردٌ ، فأبو فراس يرى أنَّ هذه الصفة لا تكون إلا في تلك الخيل التي تشبه الجِنَّ في سرعتها ونفاذها (جُرْدٌ كأمثال السعالي سلاهبٌ) ، والبارودي يرى أن الخيل الجُرد هي جياد الخيل التي تصلح لاقتحام الحروب ، وأنَّ أبناء القبيلة يتدربون عليها منذ صغرهم (الجُردُ العناجيج مهدهُ) ، ووصف أبي فراس قد جمع للخيل كلَّ الصفات التي تتحلى بها الأصيلة من الخيل .

كذلك نجد أنَّ هذه الخيل تملأ سماء المعركة غبارا بفعل إغارتها وقوة حوافرها ، وأبو فراس يرى أنَّ خيله في المعركة تغطي الجوَّ بالغبار (وجوٌّ كنتُ أُرهجُهُ غُبارا) ، فالجوُّ يطلق على الهواء(١) وما انخفض من الأرض (٢) وما بين السماء و الأرض (٣) ، فكأن المعركة قد تحول هواؤها إلى غبار واكتست المعركة به وبمن فيها . أما البارودي فيصف الغبار الذي أثارته هذه الخيل بالظلام الذي زاد على ظلمة الليل ظلمة وسوادا (غيهب من ساطع النقع غيهب) وهي صورة مستمدة من القديم فهاهو ذا بشار بن برد يقول (٤):

كأنَّ مَثَار النَّقْعِ فَوقَ رُؤوسنا وأسْيَافُنا لَيلٌ تَهاوى كَواكِبُهْ

فوَصْفُ أبو فراس أدقُّ حيث جعله يملأ الجوَّ سواء في الليل أو النهار بل يشمل كل ناحية من نواحي أرض في المعركة ، وأرى لو وصف البارودي نهار المعركة بتحوله إلى ليل حالك بفعل ما أثارته الخيل من غبار لكان أولى . ومما انفرد بوصفه أبو فراس أنْ جعل خيله تتحدث وتذكر أمجاده وقَرَنَ وصف الخيل بالإبل وأكَّد على أصالتها وشجاعة أبطالها ، أما البارودي فقد انفرد في وصفه للخيل بتحديد نوع الخيل التي يمتطيها فالحصان مطيته في الحرب ، كما حدد لونه وذكر بأنه أشقر وشبه صوته بناقوس الراهب أو رعدٍ زاجل ، والشاعران لما يستغنيا عن وصف الخيل لأنها مطيتهما للحرب ومنقذتهما من المهالك ، وبكمالها تكمل فروسية أبطالها .

---

١. نكري،القاضي عبد رب النبي:دستور العلماء. تحقيق حسن هاني فحص . دار الكتب العلمية . لبنان .
٢. ط١/١٣٢١هـ .١/٢٨٧ .
٣. الفيروز آبادي:القاموس المحيط ، ١/١٦٤١ .
٤. مصطفى،إبراهيم وآخرين:المعجم الوسيط ، ١/١٤٩ .
٥. الأصفهاني:الأغاني ، ٢/١٣٤.

ثانيا / وصف السلاح :

لا شك في أن الأسلحة المُعَدَّةِ للقتال من أهم عُدد الفرسان في المعركة ، وأهميتها كأهمية الخيل ؛ لأن بعض المحاربين يشاركون في المعركة راجلين لا خيل لهم ، والسلاح زينة وعُدة ، وجنة الأبدان ، ووقاية الأنفس ، فقد يجبن الشجاع من غير سلاح ، ويشجُع الجبان بالسلاح (١) ، ولقد ظل السلاح الحربي لدى الفارس العربي بأنواعه رمزاً للقوة والشجاعة والغلبة في جميع العصور،فهو "عُدته في الحياة ، وعماده الذي يعتمد عليه ، وسببه إلى العِزَّة والسيادة"(٢) ، كما كان ولا يزال في الإسلام رمزاً للتحدي والإرادة التي رفعت بنيان دولة الإسلام ، وأنهت عهوداً طويلة – عرفها العالم – من الظلم والجور، ولم يكن هذا السلاح وسيلة للتباهي والاستعلاء والقهر فحسب ؛ بل كان رمزاً للشرف والحق والعدالة ، ففي العصر الجاهلي غلب عليه الظلم والجَوْرُ ، وفي الإسلام حمل رسالة الإسلام للبشرية فُدمرت به جيوش الظلم والطغيان وأشرقت شمس الحقيقة والحق والسلام ، وقد أكَّد القرآن الكريم على أهميته والتحذير من التفريط فيه إبان المعركة كما جاء ذلك التأكيد في آية صلاة الخوف حيث يقول تعالى﴿ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾(٣) فذكر سبحانه أنَّ التفريط في السلاح وقت المعركة من أسباب الهزيمة المحققة .

---

١. الثعالبي:التمثيل والمحاضرة. تحقيق زهية سعدو . ط/ ٢٠٠٥م . ص ٢٦٣ .

٢. القيسي:الفروسية في الشعر الجاهلي . ص ١٦٨ .

٣. سورة النساء . آية ١٠٢ .

أ / وصف السيف :

لا شك في أن السيف من الأسلحة اليدوية التي يستعملها الفارس المقاتل في المعركة وذلك في حالتي الهجوم والدفاع ، وهو رمز للشجاعة والعدالة ودفع الظلم ، وفي الإسلام تقام به الحدود الشرعية التي تردع الظالم والمعتدي ، وبهذه المنزلة العظيمة حظي السيف بوصف الشعراء الذين برعوا فيه فلم يتركوا شاردة ولا واردة تتعلق به إلا كان لها نصيب في شعرهم ، فتعددت أسماؤه وتباينت صفاته ودونت أفعاله ، ومن هؤلاء الشعراء الذين اهتموا بهذا السلاح العظيم ؛ أبو فراس الحمداني والبارودي .

فأبو فراس وصف لنا السيف بأسماء مختلفة ، وكل اسم يحمل معنى رائعا ينفث في حامله روح الشجاعة والبسالة ، فالسيف عنده من الأسباب الجالبة للرزق حيث يقول (١) :

ومن كان غير السيف كافل رزقه فللذل منه لا محالة جانب

فيرى أن الإنسان الذي يطلب رزقه بغير شجاعة ماثلة في خوض المعارك وغزو القرى وقتل الأعداء بالسيف الذي يُمكِّنُ الأبطال من كسب الغنائم والسيطرة على أموال العدو ؛ فلا شك أنَّه يعيش عِيشة الذل والهوان والتطفل على الآخرين وطلب العون منهم ، فالرزق لا يُطلب إلا برمز القوة والشجاعة التي بها يضمن الفارس العيش والرخاء ، ثم يرى أن البطل في المعركة لا بُدَّ أنْ يخضب سيفه بدماء الأعداء حتى تكسوه الحُمرة ويُغلِّفه الدمُ القاتم حيث يقول (٢) :

ولا أعود برمحي غير منحطمٍ ولا أروح بسيفي غيرَ مُختضبِ

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح المصطاوي . ص ٢٣ .

٢. السابق . ص ٤٧ .

فلا بُدَّ للفارس أنْ يعود بعد انتصاره وهو يحمل ذلك السيف الذي اصطبغ باللون الأحمر الداكن ، ليكون دليلا على انتصاره وبرهانا على تمكنه من الأعداء ، كما أنَّ هذه السيوف لا تجف ظُباها من الدم لكثرة ضربها وتمكنها من رؤوس الأعداء كما يقول أبو فراس (١) :

وحُمرُ سيوفٍ لا تجفُّ لها ظُبى بأيدي رجال لا يُحطُّ لها لِبد

فظُبة السيف وهي حَده الذي يلي طرف السيف (٢) لا تجف من دم الأعداء وقد قيل:"من تُصبه ظُبة السيف هلك"(٣) ، فهي سيوف حادة قاطعة قد اختِيرت بعناية فائقة ، وجُمعت من أماكن متفرقة ، وجُهزت في أحسن صور التجهيز والإعداد للمعارك الدامية ، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس (٤) :

جمعت سيوف الهند من كلِّ بلدة وأعددتُ للهيجاء كُلّ مُجالدِ

فسيوف الهند "يُضرب بها المثل في الجودة والصفاء"(٥) ، وهذا الفارس يتخير الأسياف الجيدة ويحاول جمعها من كل بلد ، حتى أصبح جمعها هواية يسعى لإشباعها ، كما أنَّ هذه السيوف الهندية تمتاز بالحِدَّة والقطع وقوة البتر كما يقول أبو فراس في ذلك (٦) :

بالخيل ضُمرا والسيوف قواضبا والسُّمرُ لُدنا والرجال عِجَالا

فهي سيوف دقيقة قاطعة (٧) يحملها أولئك الأبطال العجلين في غزوهم وتحقيق انتصارهم ، كما أنَّ هذه السيوف القواطع لا تَعُودُ من المعركة إلا بعد أنْ يتم تكسيرها و تهشيم أطرافها في رؤوس الأعداء ، وفي

---

١. السابق . ص ٨٦ .
٢. ابن منظور:لسان العرب ، ٢٢/١٥ .
٣. عز الدين ،عبد الحميد بن هبة الله أبو حامد :شرح نهج البلاغة. دار إحياء الكتب العربية . بدون تاريخ . ٢٥/٦ .
٤. الحمداني،أبو فراس:ديوان أفراس الحمداني.شرح المصطاوي . ص٨١ .
٥. الثعالبي،أبو منصور عبد الملك بن محمد:ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف . القاهرة . ط١/١٩٦٥ . ص ٥٣٣ .
٦. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح المصطاوي . ٢٠٢ .
٧. الأزهري:تهذيب اللغة ، ٢٧١/٨

هذا المعنى يقول أبو فراس (١) :

وقائم سيف فيهم اندقَّ نصله وأعقاب رمح فيهمُ حُطّم الصّدرُ

فنصل السيف (٢) قد تهشم لكثرة ضرب الأبطال رؤوس الأعداء ، وليس تهشمها ناتج عن ضعف هذه السيوف أو رداءة صنعها ، بل يدلنا هذا على طول مدة المعركة وكثرة القتلى وقوة سواعد هؤلاء الأبطال الذين استطاعوا تكسير سيوفهم الهندية في جماجم أعدائهم ، بل ذلتَّ لهم بتلك السيوف الأمم والملوك الجبابرة (٣) :

وذلت له بالسيف بعد إبائها ملوك بني الجحَّاف تلك المساعرُ

فالسيف هو السبيل الأوحد في إذلال الجبابرة الذين اضطرمت قلوبهم بالحقد والحسد والبغضاء ، فدواؤهم تلك السيوف التي يذل لها كل صنديد متكبر . كما وصف أبو فراس هذه السيوف بالبِيضِ فقال (٤) :

للقا العِدى بيض السيو ف وللنَّدى حُمرُ النَّعَمْ

فقد جمع بين الشجاعة والكرم ، وهاتان الخصلتان لا تجتمعان إلا في الفارس الشجاع ، فهو يقاتل الأعداء بأجود أنواع السيوف البِيض اللامعة ، ويُطعم الناس من أجود الطعام ، وهذه السيوف البيض هندية الصُّنع (٥) :

وسَلْ صِيدكم آل الملاِينِ إننا نهبنا ببيض الهند عزَّهُمُ نهبا

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح المصطاوي . ١٤٥ .

٢. النصل : حديدة السيف . انظر : المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، ٣٢٥/٨ .

٣. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح المصطاوي . ص ١٠٥ . و معنى بنو الجَحَّاف : حلفاء الروم وأنصارهم .

٤. السابق . ص ٢٢٦ .

٥. السابق . ص ٤٠ . و معنى (آل الملاين) أي : أهل اللِّين . انظر هامش ٣ في الصفحة نفسها .

فبهذه السيوف اللامعة أخذنا أموالهم و سلبنا الغنائم منهم (١) حتى ذلَّ سلطانهم وزال ملكهم ، كما أنَّ هذه السيوف البيض الهندية تتعطش لدماء الأعداء (٢) :

إلى كم نرد البيض عنهم صواديا ونثني صدور الخيل قد ملئت حِقدا

حتى إذا تمكنت منهم أروت عطشها من دمائهم وزال ظمؤها (٣) :

فأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسغَبُ حتى يشبع الذئبُ والنَّسرُ

فهذا الفارس المغوار يروي عطش شجاعته بارتواء سيفه من دم الأعداء ويشبعُ الوحش بجثث القتلى ، وقد أحسن في هذا الوصف حيث شبه هذه السيوف بذلك الشخص الذي أوهنه العطش فما إن وجد الماء حتى ارتوى وذهبت عنه حُرقة العطش ، وهو بهذا المعنى يقرر أنَّ السيف جزء لا يتجزأ منه ، فهو يعطش لعطشه ويرتوي لرواه . ثم يصف أبو فراس هذه السيوف بقوله (٤) :

بكلِّ حسام بين حديه شُعلة بكفَّ غُلامٍ حشوُ درعيه خادرُ

فالحُسام يطلق على السيف القاطع حدِيدَ الحدَّ الذي يَحسم الدَّم فيكويه لسرعة قطعه(٥) ، وهذه الصفة تعطي السيف المكانة العالية التي تساعد الأبطال على تمكنهم من الأعداء بمثل هذه السيوف القوية القاطعة.

ثم يزيد الشاعر على وصفه هذا بقوله (٦) :

لا ذنْبَ لي إن الفؤاد لصارمٌ وإنَّ الحُسام المِشرَفي لفاصل

---

١. ابن سيده:المحكم و المحيط الأعظم ، ٣٣٢/٤ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح المصطاوي . ص ٧٢ . و معنى صوادي : أي السيوف العِطاش المتشوقة إلى الدَّم . انظر هامش ٣ في الصفحة نفسها .
٣. السابق ، ص ١٤٤ .
٤. السابق . ص ١١١ .والخادر :الأسد في عرينه .
٥. الزبيدي:تاج العروس ، ٤٨٧/٣١ .
٦. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبو فراس . شرح : المصطاوي . ص ١٩٣ .

فهذا الحسام المنسوب إلى مشارف الشام – التي تُصنع فيها السيوف – (١) هو الفاصل الذي يفصل الحق عن الباطل ، ويفصل رؤوس الأعداء عن أجسادهم ، ويفصل بيننا وبين الأعداء بالظفر والنصر .

كما أنَّ هذا الحسام يحمل صفة أخرى وذلك في قوله (٢) :

يدافع عن أعراضكم بلسانه ويضرب عنكم بالحُسام المهنَّدِ

فهذا الفارس الشجاع يمتلك قوتين يدافع بهما عنكم ؛ ألا وهي قوة اللسان التي توصف بالفصاحة والبلاغة المتمثلة في نظم القريض وكذلك قوة الحسام الهندي الصُنع الذي يفل به هام الأعداء ، فقوة القول كامنة في الشعر و نظمه ، وقوة الفعل متعلقة باصطحاب مثل هذه الأسياف التي تنقذ صاحبها من الهلاك .
ومن الأوصاف التي ألبسها أبو فراس للسيف قوله (٣) :

يصان مهري لأمر لا أبوح به والدرع والرمح والصمصَامة الخَذِمُ

فهنا استخدم صفتين إضافة إلى الصفات السابقة وهما : الصمصام والخَذِم ؛ فالصمصامة من السيوف التي لا تنثني وهي من الصفات المتعلقة بمضائها وقطعها (٤) ، وكان يطلق هذا الاسم على سيف عمرو بن معد يكرب (٥) الملقب بفارس العرب (٦) ، والسيف الخَذِم سريع القطع (٧) ، فهذا السيف جمع بين متانة الصُّنع ومضاء الحدِّ ، فهو مجهزٌ ليوم الكريهة ، مصون عن كل ما يضره ، كما أنَّ هذا السيف من كثرة استخدامه في الحرب صار عالما بوقت المعركة فلا يهدأ ولا يرتاح إلا إذا شارك فيها، لأنه يعلم أن حامله بطل من الأبطال وشجاع من الفرسان .

---

١. البغدادي:خزانة الأدب ، ٢٨/٥
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبو فراس . شرح : المصطاوي . ص ٧٧ .
٣. السابق . ص ٢٢٧ .
٤. ابن سيده:المخصص، ١٥/٢
٥. السابق ، ٢٠/٢
٦. هلي،جواد:المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار السافي . ط١٤٢٢/٤هـ ،١٨٧/٧ .
٧. ابن عباد،الصاحب:المحيط في اللغة. تحقي الشيخ محمد حسن آل ياسين . عالم الكتب . بيروت . ط١٤١٤/١هـ ،٣٢٢/٤ .

وفي هذا المعنى يقول أبو فراس عندما وصف الفرسان (١) :

هم الفوارس في أيديهمُ أسَـــلٌ فإنْ رأوك فأسدٌ و القنـــــا أجمُ
قالوا المسير ! فهزَّ الرمحُ عَامِلهُ وارتاح في جفنه الصَّمْصَامَةُ الخَذِمُ

كذلك من صفات السيف عند أبي فراس قوله (٢) :

وأسمر مما يُنْبِتُ الخَطُّ ذابلٌ وأبيضُ مما تطبع الهند باترُ

فهو يمتاز بالبتر وهو قطع الشيء من أصله (٣) كما قال تعالى﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾(٤) أي : مقطوع لا ولد له ولا أخ (٥) ، وهذا من أجود السيوف وأمضاها وأقواها في القطع و البتر .

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبو فراس . شرح : المصطاوي . ص ٢٣٣ .
٢. السابق . ص ٩٦.
٣. ابن فارس،أبو الحسن أحمد:معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار الفكر . ط١٣٩٩هـ . ١٩٤/١.
٤. سورة الكوثر .آية ٣.
٥. القرطبي:الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٢٢٤/٣٠ .

أما البارودي فقد تناول وصف السيف بأسلوب يتوافق مع وصف أبي فراس في بعض المعاني ويختلف معه في غيرها ، فيرى البارودي أنَّ حمل السيف لا يكون إلا لأمر عظيم كما يقول (١) :

وما حَمَلَ السيفَ الكمِيُّ لزينةٍ ولكن لأمرٍ أوجبته المفاخرُ

فالكميُّ الشجاع الذي اكتمل سلاحه (٢) لا يحمل السيف من أجل التباهي والزينة ؛ بل يحمله ليوم الكريهة التي يكون السيف فيها رمزا للمفاخرة والمباهاة ، فلا تتزين المعركة إلا بوجوده ولا يتفاخر الشجعان إلا بحمله ، فعلو النفس وقوة العزيمة لا تكون إلا بسبب حمله ومشاركته للفارس في أرض المعركة كما يقول البارودي (٣) :

في قائم السيف إنْ عزَّ الرضا حكمُ فالحكم للسيف إنْ لم تصدع الكلِمُ
تأبي لي الضيم نفسٌ حُرَّةٌ ويـــــدٌ أطاعها المرهفان السيف والقـــــلمُ
وعزمه بعثتهـــا هِمَّةٌ شَـــــهَـــرَتْ بها على الدهر عَضبا لـــيس ينثـلِمُ

فالشاعر يدعو إلى الاعتماد على القوة الحربية واستخدام السيف في حلِّ النزاعات وفضِّ الخصومات إذا أخفقت المفاوضات ، فهو بمثابة القاضي الذي يقضي بين المتخاصمين وينتهي الحُكمُ بقطع هذا النزاع والقضاء عليه ، فالسيف يحمل مع القوة القضاء والعدل ، كما أنَّ نفس هذا الفارس أبية لا ترضى الذل والمهانة لأنه يحمل سلاحي البيان والحسام ، وسيفه حادٌّ قاطع لا ينثلم من كثرة قطعه لرؤوس الباطل وإقامة الحق مقامها ، فمهمة السيف لدى الفارس في مقامها الأول هي الحماية وردُّ الظلم وتحقيق النصر كما يقول

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٨٣/٢ .
٢. الأنباري،أبو بكر محمد بن القاسم:الزاهر في معاني كلمات الناس.تحقيق حاتم صالح الضامن.مؤسسة الرسالة.بيروت.ط١٤١٢هـ،١٦٠/١ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٥٣٥/٣-٥٣٦ . مع شرح الأبيات في الهامش.

البارودي في وصف بطولة الفارس والمحارب الشجاع (١) :

إنْ حلَّ أرضا حمى بالسيف جانبها وإن وعى نبأةً من صارخٍ رَكِبا

وبعد ذِكر أهمية السيف والغاية التي تُرتجى منه ؛ شرع البارودي في وصف هذا السيف وبيان أوصافه التي لا تنفك عنه ، فمن هذه الصفات قوله (٢) :

فما زندي لدى العوصاء كابٍ ولا سيفي غداة الحرب نابِ

فهو سيف حادٌّ قاطع يفلُّ رؤوس الأعداء وقت الضحى عندما يُغيرُ الأبطال على أعدائهم فيُصَبِّحُونهم بمثل هذه السيوف القاطعة . ومن صفات هذا السيف عند البارودي أيضا(٣) :

تتقصف المرّانِ في حُجراتها ويعود فيها السيف مثلَ الأجردِ

فهذا السيف يرجع من هذه الحرب وقد تفللت وتهشمت مضاربه لكثرة ما ضَرب به الفارس رؤوس الأعداء وأجسادهم ، وهذه القوة ناتجة عن قوة سواعد الفرسان الذين يشفون غليل صدورهم بقتل هؤلاء الأعداء. كذلك من صفات هذا السيف الذي يحمله الفارس (٤) :

إذا صَالَ روَّى السَّيفُ حَرَّ غَلِيلِهِ وإنْ قال أورى زندهُ المنطقُ الفصلُ

فعندما يهجم الفارس بسيفه يسفك دماء الأعداء ، ويروي بدمائهم حرارة عطش سيفه إليها ،ويشفي صدره بتحقق الانتقام من عدوه . ومن صفات هذا السيف قوله (٥) :

فما مهجة إلا ورمحي ضميرها ولا لَبَّةٌ إلا وسيفي لها عِقدُ

فهو يحيط بأعناق الأعداء إحاطة العِقدِ بالعنق ، وهذا التشبيه الرائع يجعل هذا السيف القاطع من الحُلي

---

١. السابق ، ٦٨/١ .
٢. السابق ، ٨١/١ . و العوصاء : الشدة والداهية والأمر الصعب .
٣. السابق ، ١٥٢/١ .
٤. السابق ، ٥٨/٣ .
٥. السابق ، ١٧٠/١ . ومعنى اللَّبَة : موضع القلادة في الصدر .

التي لا بدَّ أن يتزين بأثرها الأعداء في الحرب تهكما وسخرية بهم ، فقلادتهم في الحرب أثر هذا السيف القاطع في أعناقهم . كذلك نجد أنَّ هذا الفارس من شدة ولعه بالسيف جعله صاحبا يشاركه في همومه وآماله وفي ذلك يقول البارودي واصفا حال الفارس وقت الشدة الظلم (١) :

إنْ مسَّهُ الضَّيمُ ناجى السيف منتصرا أوهمه الأمرُ لم يَعْلَقْ به الثَّبَطُ

فهذا الفارس يُسِرُّ الحديث ويخفيه(٢) للسيف ليُعلِمهُ أنَّ النصر حليفه وأنه منتصر لا محالة ، وهذه النجوى فيها اعتزاز بالنفس الأبية واعتماد على قوة هذا السيف المتين الذي يحقق به الفارس النصر والتمكين . كذلك مشاورة الفارس لسيفه وأخذ رأيه وتشبيهه بالشخص العاقل الحكيم (٣) :

يستسهل الصعب إنْ هاجتْ حفيظتهُ ولا يشاورُ غيرَ السيف إنْ غضبا

فترى هذا البطل حينما يغضب يستلّ سيفه ليستقر في رؤوس الأعداء،فدواء غضبه حمله لسيفه ونزوله لساحة المعركة،وقد أنزل السيف منزلة العَالِمِ والخبيرِ بتجارب الحروب وتلاحم الصفوف ؛ليدله على الطريقة المعالجة لكلِّ عدوٍّ أثار غضبه وحَنَقَه.ثم يبين البارودي أنَّ هذا السيف من أجود أنواع السيوف حيث يقول(٤):

وإنَّ التي يشتاقها القلب غادةٌ لها الرمح قدٌّ والمهند معصم

فالمهند نسبة إلى سيوف الهند التي تمتاز بالقوة والجودة ، كما ذكر بأنَّ بعض هذه السيوف منسوب إلى اليمن حيث يقول (٥) :

فلو برز الحِمامُ إليَّ شخصا دَلَفْتُ إليه بالسيف اليماني

---

١. السابق ، ١٨٧/٢ .
٢. مصطفى،إبراهيم وآخرين:المعجم الوسيط . ٩٠٥/٢ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٦٨/١ .
٤. السابق ، ٥٤٦/٣ .
٥. السابق ، ٥٤٦/٣ .

وهذه الصورة مأخوذة من أبي الطيب المتنبي حيث يقول (١) :

ولو برز الزمان إليَّ شخصا لخضَّب شعر مفرقه حسامي

وهي مبالغة كمبالغة المتنبي كانت وليدة إعجاب البارودي بأبي الطيب . وبهذا يتضح لنا أنَّ سيوف هذا الفارس من أجود السيوف وأقوها ، فالمهند المصنوع من حديد الهند (٢) ، والسيف اليماني المنسوب إلى اليمن وهو من أجود السيوف وأمضاها (٣) . ثم بعد استخدام البارودي لكلمة (سيف) وإضفاء الصفات المناسبة له ينتقل إلى وصفه السيوف(بالبِيضِ) ويُلحق بهذه اللفظة صفات أخرى ، من هذه الصفات قوله(٤) :

أنا ابن الليل والخيل المِذَاكِي وبيض الهند والسُّمر اللِّدانِ

فبيض الهند هي السيوف وهذا الحديد المصنوع في الهند يُرشح به جانب السيف (٥)، فغلب هذا الوصف على الاسم الحقيقي من باب نسبته إلى أصله ، كما أنَّ هذه البِيض تُعد من أهم العُدد التي لا تنفصل عن عُدة أي فارس لأنَّها تحمل كلَّ معاني القوة والتحدي كما يقول البارودي (٦) :

إذا ما ابتنى الناسُ الحُصُونَ فما لنا سِوى البِيضِ والسُّمرِ اللِّدان معاقلُ

فالمعقل والملاذ والحصن المنيع الذي يلجأ إليه الفرسان في المعركة هي تلك البيض القواطع التي تحمي الفرسان من كيد الأعداء ، كما أنَّ لَمَعَان هذه البِيض في المعركة دلالة على جودته صُنعها ومضاء حدِّها ، فلَمَعانها ولَمَعان الرماح والدروع يظهر جليا عندما يُثار الغبار وتتلبد به سماء المعركة ، فهي تشبه النجم

---

١. المتنبي،أبو الطيب:ديوان المتنبي.دار بيروت.بيروت.ط/١٤٠٣هـ.ص٥١.
٢. مصطفى،إبراهيم وآخرين:المعجم الوسيط ، ٤/١ .
٣. السابق ، ١٠٦٧/٢ .
٤. السابق ، ٦٧/٤ .
٥. البغدادي:خزانة الأدب ، ٢٧٧/٢ .
٦. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٦٤/٣ .

المتلألئ في الليلة الظلماء ، وفي هذا المعنى يقول البارودي عندما وصف انقضاض الفرسان على الأعداء وهم حاملون هذه السيوف البيض اللامعة (١) :

ملأوا الفضاء فما يَبِين لِناظرٍ غيرُ التماع البِيضِ والخرصانِ

فهذا البيت كناية عن كثرة المتحاربين و كثرة سيوفهم و رماحهم و تمام التأهب لها . كذلك من صفات هذه السيوف البيض أنَّها حادَّةٌ صارمة قاطعة (٢) :

فمن يكُ بالبيض الكواعب مغرما فإنِّي بالبيض القواضب مغرمُ

فهذا الفارس إذا أغرم أمثاله من الشباب بالبِيض الحسان من النساء ، وهاموا بهِنَّ ، فإنَّه مولعٌ بحب السيوف القواطع ، وبكل سلاح يُهيأ للمعركة ، فبِيضُ النساء والولعُ بهنَّ ليس كالولع بالبِيض القواضب ، وفي هذا البيت جناس تام أعطاه محسنا بديعيا رائعا ، لأنَّ كلا من المغرمين في جهاد مع ما أولع به . كما أنها تحمل صفة البتر إلى جانب كونها قواضب (٣) :

فقد أسير أمام القوم ضاحيةً والجو بالباترات البِيضِ مُشتعلُ

فهذه البيض تمتاز بصفة البتر الذي يستأصل الشيء من أصله قطعا (٤) ، إلى جانب كونها قواضب تنزع الشيء و تقطعه من أصله (٥) ، فجمع بين القضب والبتر ليدلنا على قوته وجودته .

---

١. السابق ، ٤٥/٤ . و الخُرصان: تطلق على الرماح و الدروع . انظر هامش ٨ في الصفحة نفسها .
٢. السابق ، ٥٤٩/٣ .
٣. السابق ، ١٥٧/٣ .
٤. ابن سيده:المحكم والمحيط الأعظم ، ٤٨٣/٩ .
٥. الأزهري:تهذيب اللغة ، ٢٧١/٨ .

ومما سبق نجد أنَّ أبا فراس نَوَّعَ في أسماء هذا السلاح وصفاته فذكره باسمه العلم المعرف بالسيف، ومرة ذكره باسم البِيض ، وثالثة ذكره بالحسام ، ورابعة بالصمصام ، وكل اسم من هذه الأسماء أَلْحَقَ به صفة تزيد من قوته وتؤكد على متانته وجودته ، فهو سيف يُجلب به الرزق ، وسيف يُخضب بدماء الأعداء ، وسيف لا تَجفُّ ظُباه من دم العدو ، وسيف هندي المنشأ ، وسيف تذل له الجبابرة والملوك الطغاة ، وسيف أبيض الجوانب ، كما استبدل كلمة سيف بالبِيض ، فهي بيضٌ هندية الصُنع ، وبِيضٌ ترتوي بدماء الأعداء ، وبيضٌ بواترٌ ، كذلك وصفه بالصمصام الخذِم ، والحسام المشرفي ، والحسام المهند .

أما البارودي فلم يستخدم مع هذا السلاح إلا كلمة السيف والبِيض والمهند ؛ فأما السيف فألحق به صفات خاصة ، فهو سيف لا يستخدم إلا في النِّزال والقتال ، وكذلك ألحق به بعض الصفات الإنسانية ؛ فهو سيف يُتحاكم إليه ويُطلب منه المشورة ويناجيه حامله ويتحدث معه ، وكذلك من صفات هذا السيف لدى البارودي أنه يحمي العباد والبلاد فهو يكتسب صفة البتر والقطع ، وهو سيف لا يعود به صاحبه إلا وقد تهشم حده من كثرة ضربه رؤوس الأعداء ، وهو من أجود السيوف المطبوعة باليمن ، ثم يستبدل لفظة السيف بالبِيض التي تمتاز بالقطع والبتر واللمعان وأنها بِيضٌ مطبوعة بالهند .

وقد اتفق الشاعران في وصف السيف بالقطع والبتر وأنَّ الفارس لا يعود به إلا وقد تهشم حدُّه ، ويروي عطشه من دماء الأعداء . أما من حيث الصُّنع فذكر أبو فراس بأنَّه سيف هندي ، والبارودي ذكر إلى جانب أنه هندي بأنه سيف يماني . أما البِيض فقد اتفق الشاعران على أنها بِيض هندية الصُّنع وأنها صارمة بواتر .كما أنَّها تميزت لدى أبي فراس بكونها بِيض ترتوي من دماء الأعداء . أما البارودي فقد تميزت بكونها بِيض تلمع ويزهو بريقها عندما يغطي الغبار سماء المعركة . وقد زاد أبو فراس على السيف والبِيض بوصفه له بالحسام والصمصام . أما البارودي فقد اقتصر على وصف هذا السلاح بالسيف والبيض والمهند .

كذلك نجد أنَّ البارودي قد أَلْحَقَ بالسيف بعضا من الصفات التي يختص بها الإنسان كالمناجاة والقضاء بين المتخاصمين والمشاورة وإبداء الرأي .

وبهذا فإنني أرى أنَّ أبا فراس قد ألبس هذا السلاح لباسا كاملا من الوصف والبيان والأهمية ، وقد تناول أفعاله في صور رائعة تُبين مدى أهميته وارتباطه بالفرسان ، وهو بتنوع هذه الصفات يدلنا على أنه كان من الأبطال الذين أتقنوا استخدام هذا السلاح ، فكانت تلك الصور القشيبة في شكلها ومضمونها . أما البارودي فقد جعل السيف صاحبا له في كل لحظة من لحظاته ، وكأنه يبين لنا الحالة النفسية التي يمر بها والتي جعلت أكثر خلانه يتخلون عنه ، ويرى كذلك أنَّ اللجوء إلى مصادر القوة في وقت الأزمات من الأمور الملحة والهامة .

ب/ وصف الرمح .

الرمح سلاح خاص بالطعن استعمله المسلمون والعرب قبل الإسلام ، ويتراوح طوله من أربعة إلى سبعة أذرع في رأسه حربة(١)، وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فقال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾(٢) ، وفي الحديث "عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ :(جُعِل رزقي تحت ظل رمحي ...) وفيه إشارة إلى أنَّ ظله ممدود إلى أبد الآباد ، والحكمة في الاقتصار على ذكر الرمح دون غيره من آلات الحرب كالسيف أنَّ عاداتهم جرت بجعل الرايات في أطراف الرمح ، فلما كان ظل الرمح أسبغ كان نسبة الرزق إليه أليق "(٣) ، وكانت الرماح إلى جانب السيوف في القدر والمكانة والحاجة إليها ، كما كانت تتخذ من فروع أشجار صلبة أشهرها النبع والشوحط والقصب الهندي المجوف وغيرها ، وهو سلاح عريق في القدم ، شاع استعماله عند الشعوب القديمة ، وكان أكثر شيوعا عند الأمم التي ترتاد الصحراء ومنهم العرب ، كما كانت كل قبيلة من العرب لها طريقتها في حمل فرسانها لهذا السلاح ، فبنو سليم كانوا إذا ركبوا يضعون رماحهم بين آذان خيلهم، وقريش كانوا يحملونها على عواتقهم ، كما كانوا في الجاهلية والإسلام يقضون وقتا طويلا في التدريب على استخدامها ؛ إما بمطاردة الوحش وطعنها بها ، وإما بإعداد حلقة من الحديد تسمى(الوترة) يتمرنون على الطعن داخلها (٤) . وقد وصف أبو فراس والبارودي الرمح بأوصاف عديدة ، واستخدما له أوصافا مختلفة : كالرمح والقنا والأسنة والزُرق والسُمر اللَّدان والأسل والمران واللهذم وأطراف المعالي والخُرصان وغيرها من الأسماء الخاصة بالرمح .

---

١. حسين،محسن محمد :الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين تنظيمه-أسلحته-بحريته-الحروب التي خاضها.مؤسسة الرسالة .بيروت. ط/ ١٩٨٦ . ص٢٧٦ .

٢. سورة المائدة . آية ٩٤ .

٣. العسقلاني،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل:فتح الباري شرح صحيح البخاري . دار المعرفة . بيروت .ط/١٣٧٩هـ ، ٩٨/٦ .

٤. حسنة،عمر عبيد:العسكرية العربية الإسلامية. صادر عن مطبعة الحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية .الرياض .ط/١٤٠٣هـ . ص ١٥٥ – ١٥٧ بتصرف .

فقد استخدم أبو فراس كلمة الرمح مفردة ومجموعة ومعرفة بـ (ال) ، وكل لفظة منها امتازت بوصف رائع وتصوير بليغ ، فهذه الرماح عندما يرمي بها الأبطال فإنها تحمل في رؤوسها الموت والسم الزعاف كما يقول أبو فراس (١) :

سقينا بالرماح بني قشيرٍ ببطن العُثير السُّمَّ المذابا

فكأنَّ هذه الرماح أوعية ملئت بالسم القاتل الذي يصيب الأعداء ويقضي عليهم ، ومن كثرته ارتوت أجسادهم وجعلتهم صرعى لا حراك بهم ، ولا تزال الرماح تنهال عليهم حتى تنعطب وتتكسر (٢) :

ولا أعود برمحي غيرَ منحطمِ ولا أروح بسيفي غيرَ مختضبِ

فتحطم الرماح وتكسرها في الأعداء دليل على أنَّ هؤلاء الفرسان يخوضون معركة عظيمة تضعف أمامها كل إمكانات الخصم وأسلحته ، وكذلك قول أبي فراس في هذا المعنى (٤) :

وقائم سيف فيهمُ اندقَّ نَصْلُهُ وأعقاب رُمح فيهمُ حُطَّمَ الصدرُ

كذلك يُعدُّ الرمح من العُدد الهامة والأساسية التي يجب توافرها بكثرة في الحروب واختيار الأجود منها ،لأن الفارس لا ينزل الميدان الحربي إلا وقد تجهز له واختار كل سلاح يناسبه ، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس(٤):

يُصان مهري لأمر لا أبوح به والدرع والرمح والصَّمصامة الخَذِمُ

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح المصطاوي . ص ١٧ .
٢. السابق . ص ٤٧ .
٣. السابق : ص ١٤٥ .
٤. السابق . ص ٢٢٧ .

كما استخدم أبو فراس لفظة (القناة) في قوله (١) :

حَملَ القَناةَ على أغرَّ سَميدعٍ دَخَّالِ ما بين الفتى وقناته

فالقناة تطلق على الرمح المصنوع من الخشب الأجوف (٢) ، وبهذا الرمح يُقضى على كل بطل شجاع ، كما أنَّه يردُّ الأعداء المنهزمين إلى ساحة المعركة ويحاصرهم من كل جانب ليلقوا حتوفهم بحدِّ ظُبا تلك السيوف القاطعة كما يقول أبو فراس (٣) :

غداة تُنادي الفوارس والقنا ترُدُّ إلى حدِّ الظُّبا كُلَّ ناكثِ

فهذه الرماح تُخيف الأعداء وتلاحق كل من ولى هاربا لتقحمه في أرض المعركة فينال عقابه بها أو بالسيوف الحادة القاطعة ، وعندما يقتحم الجيش أرض العدو فإنّهَم يطاعنون بها الأعداء حتى تختلف في أجسادهم(٤)، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس (٥) :

وشقَّ إلى نفس الدمستق جيشه بأرض سُلامٍ والقنا متشاجرُ

وعند تمكنها من الأعداء فإنَّها لا تعود للأبطال إلا بعد أنْ ترتوي من دمائهم (٦) :

فأظمأ حتى ترتوي البِيض والقنا وأسغب حتى يشبعَ الذئب والنسر

---

١. السابق .ص ٥٤ .
٢. مصطفى،إبراهيم وآخرون:المعجم الوسيط . ٧٦٤/٢ .
٣. الحمداني،أبو فراس:يوان أبي فراس . ص ٥٥ .
٤. الفراهيدي،الخليل بن أحمد:كتاب العين ، ٣٢/٦ .
٥. السابق . ص ١٠٦ .
٦. السابق . ص ١٤٤ .

ومن صفات هذه القنا أنها رعاف كما يقول أبو فراس (١) :

خيلي وإنْ قَلَّتْ كثيرٌ نفعها بين الصوارم والقنا الرّعافِ

فوصفها بالقنا الرعاف إما لتقدمها وإما لسيلان الدم منها(٢) . كذلك وصفها بالسنان في قوله (٣) :

وقد علمت أمي بأنَّ منيتي بحدَّ سنانٍ أوبحدَّ قضيبِ

فموت هذا الفتى لا يكون إلا في أرض المعركة إما بالسنان الحادة النافذة أوبالسيف القاطع ، والسنان يطلق على الرمح (٤) بصفة عامة ، لأن سنان الرمح حديدته (٥) التي توضع في رأسه وتُعد من أهم أجزائه التي تخترق الأشياء فبدونها يفقد الرمح مكانته فتغليب السنان على الرمح لأهميته ومكانته فيه ، وفي هذا البيت يبيِّن الشاعر أنَّ أُمَّهُ تعلم أنَّ موته لا يكون إلا بإحدى هذه الأسلحة ، وهذا التنبؤ حاصل لكون أبي فراس قريب من أُمِّه التي قرأت ذلك من خلال سيرته .كما أنَّ هذا الفارس الشجاع يستنجد به الشجعان عندما تنهال عليهم الأسنة ، فيُنجدهم منقضا على الأعداء بجواد أصيل ينافح عنهم بالسيف والسنان ، وهذه الأسنة قد تُرمى على الشجعان متفرقة أو مجتمعة ، وتفرقها دليل على أن هذا الفارس يخشاه الأعداء فيحتاجون لشجاع يرميه خفية ، أما رميها مجتمعة وأرى أنَّ المقصود بالرمي إما أنْ يكون قد نفد سلاحه وإما أنْ يكون شخصا لا يهابه الأعداء وفي هذا يقول أبو فراس (٦) :

وداعٍ دعاني والأسنة دونه صببت عليه بالجواب جوادي

---

١. السابق . ص ١٧١ .
٢. ابن سيده:المحكم و المحيط الأعظم . ١٢٠/٢ .
٣. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . ص ٣٧ .
٤. الأزهري:تهذيب اللغة ، ٢١٢/١٢ .
٥. ابن سيده:المحكم و المحيط الأعظم ، ٤١٦/٨ .
٦. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . ص ٧١ .

كذلك يُبيِّن الشاعر أنَّ موت الأعداء يكون بأطراف الأسنة الحادة التي تعقر الأعداء وتجرحهم (١) الجرح الذي يكون سببا في موتهم كما يقول أبو فراس (٢) :

له وعليه وقعةٌ بعد وقعة ولودٌ بأطراف الأسنة عاقرُ

كما استخدم أبو فراس في وصفه للرمح لفظة السُّمر الدالة على الرماح التي نضجت وقويت في منبتها(٣) ، كما يقول (٤) :

وأسمر مما ينب الخطُّ ذابلٌ وأبيض مما تَطبَع الهندُ باترُ

فهذا الرمح من أجود أنواع الرماح ، فهو أسمر خطيٌّ منسوب إلى موضع ببلاد البحرين كانت تباع فيه (٥) ، وهذه النسبة جرت مجرى الاسم (٦) ، فهو ليِّنٌ لا ينكسر كما يقول أبو فراس في ذلك (٧) :

بالخيل ضُمرا والسيوفِ قواضبا والسُّمرِ لُدنا والرجالِ عِجالا

والسمر اللُّدن أي الناعمة والمتثنية ، وتثنِّي الرمح أصلب له وآمن من الكسر (٨) .كما وصف أبو فراس الرماح بالزرق وبهذا أقام الصفة مقام الموصوف (٩) إذ يقول (١٠) :

وزرقٌ تشقُّ البُرْدَ عن مُهجِ العِدى وتسكن منهم أينما سكن الحِقدُ

---

١. الرازي،محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر:مختار الصحاح .مكتبةلبنان.بيروت.ط/١٤١٥هـ.١/٤٦٧ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . ص ١٠٦ .
٣. الزوزني،الحسين بن أحمد:شرح المعلقات السبع. دار إحياء التراث العربي . ط١/١٤٢٣هـ . ص ٨٧ .
٤. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، ٩٦ .
٥. مصطفى،إبراهيم وآخرون:المعجم الوسيط ، ١/٢٤٤ .
٦. برّي،عبدالله:شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي . تحقيق عيد مصطفى درويش ومحمد مهدي علام . الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية . القاهرة . ط/١٤٠٥هـ . نسخة : مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ص ١٥٧ .
٧. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، ٢٠٢ .
٨. بري،عبدالله:شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي . ص ١٥٦ .
٩. ابن سيده:المخصص ، ١/٧٣ .
١٠. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس. ت الدهان. ٩٢

فهي رماح حادة نقية المعدن شديدة الصفاء (١) ، لا تجد مسكنا لها إلا في وسط تلك القلوب التي تحمل الحقد الدفين .كما استخدم الشاعر لفظة الأسَل دلالة على الرماح حيث يقول (٢) :

هم الفوارس في أيديهمُ أسلٌ فإن رأوك فأسدٌ والقنا أجمُ

والأسَلُ نبات له أغصان بلا ورق ولا شوك تخرج أطرافه محددة ، لا ينبت إلا في موضع فيه ماء أو قريب من ماء ، وشُبه الرمح بها في اعتداله واستوائه ودقة أطرافه .

وأما البارودي فقد وصف هذا السلاح وصفه بأوصاف متعددة كالسنان والرمح والقنا والنصل والمران والسُّمر اللَّدان واللهذم والخرصان وأطراف المعالي ، وسأتناول الحديث عنها بالتفصيل ، فالبارودي يرى أنَّ المجد لا يدرك إلا بحملها وحمل السيوف والنزول بهما للمعركة واكتساب الغنائم ، حيث يقول (٣):

لا يدرك المجد إلا من إذا هتفت به الحمية هزَّ الرمح وانتصبا

فلا يَنَالُ العزَّ والشرفَ إلا الشُّجاعُ ذو الأنفة الذي يدفع العار بالبطش والقوة ، ويهدد بسنان الرمح أعداءه (٤) ،كما أنَّ هذا الرمح غدا صاحبا لهذا الفارس المقدام (٥) :

إذا ما اعتقلت الرمح – والرمح صاحبي على الشر – قال القِرن : إني هازلُ

فإذا حمل رمحه الذي يصطحبه في كل وقت وحين أدرك الأبطال شجاعته لاذوا بالفرار وضعفت قواهم ؛ لأن حمله للرمح نبأ قتلهم وسرعة هلاكهم ، ويزداد ذُعْرُ الأعداء عند حمل فرسان هذا البطل وجنوده لهذه

---

١. ابن سيده:المحكم و المحيط الأعظم ، ٢٥٣/٦ .
٢. انظر ديوان أبي فراس. ٥٤٧/٨ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٦٧/١ .
٤. السابق ، شرح الأبيات من هامش ٦ ، ٦٧/١ .
٥. السابق ، ٦٦/٣ .

الرماح القاتلة التي تقضي عليهم وتبدد جمعهم (١) :

وفتية كأسود الغاب ليس لهم إلا الرماح إذا احمرَّ الوغى أجمُ

فشبه فتيانه وجنوده بأسود الغاب حال احمرار الحرب وهي كناية عن استحرار القتال ، وجعل رماحهم وسلاحهم أجمات أوغابات أوعرائن أوحصونا يمتنعون بها ، ويعتمدون عليها ، ولا يفزعون إليها إلا إذا حمي الوطيس ، واشتدَّ البأس ، وقامت الحرب على ساقها ، فإذا التقت الفئتان رأيت رماحا مسنونة تتطاير هنا وهناك وتتشابك في سماء المعركة كما يقول البارودي (٢) :

فالبدر أكدرُ والسماء مريضة والبحر أشكلُ والرماح دواني

فاشتباك الرماح واحتدامها دلالة على قوة المعركة وشدة بأسها . وبعد أنْ تشتبك هذه الرماح في سماء المعركة فإنها لا تتجاوز الأعداء حتى تصيبهم الإصابة القاتلة التي يهلكون بسببها ،وفي هذا يقول البارودي(٣) :

فما مهجة إلا ورمحي ضميرها ولا لبَّةٌ إلا وسيفي لها عِقدُ

فرمح هذا البطل يشقُّ القلب ويفتك بالأنفس ؛ بل يصيب مقاتل الرجال الشجعان ويهلكهم ، وفي هذا المعنى يصف لنا الشاعر اقتحام هذا البطل لأرض المعركة برمحه الذي يقضي على أعدائه حيث يقول (٤):

تقحَّمتهُ والرمح صديانُ ينتحي نِطافَ الكلى والموت يمضي وعيدهُ

فهذه الرماح العطاش لن ترتوي إلا من دماء الأعداء ؛ وإصابة الكلى كناية عن تمكن الرمح واستقراره في المواضع القاتلة التي تودي بحياة الأعداء ، وهذه التصوير البديع يدلنا على إجادة هذا الفارس للرمي ودقة

---

١. السابق ، ٥٣٧/٣ . ومعنى (أجم) :الأجم جمع أجمة وهي الشجر الكبير الملتف ؛ فهي بمعنى الغابة ، وأيضا مأوى الأسد ، والحصن المنيع . انظر هامش ٤ من الصفحة نفسها .

٢. السابق ، ٤٦/٤ .

٣. السابق ، ١٧٠/١ .

٤. السابق ، ١٨٢/١ .

إصابته للهدف المراد .كما استخدم الشاعر للرمح لفظ (القنا) حيث يقول (١) :

أنا ابن الوغى والخيل والليل والظُّبا وسُمر القنا والرأي والعَقْدِ والحلِّ

فالفارس في حربه يستخدم هذه الرماح التي يكون لونها بين السواد والبياض ، وسمرتها دلالة على صلابتها وأنها من أجود الرماح ، والقنا في الأصل عبارة عن عصا مستوية يُرَكَّب في رأسها سنان حادة من الحديد الصلب الذي يزيدها قوة وحِدَّة (٢) ،كما أنَّ هذا الفارس عندما يحملها ويرمي بها الأعداء فإنَّ قوته لا تضير المصاب بها فحسب بل تجعل الرمح يصيح من شدة قوة هذا الفارس وصلابة يده ، وفي هذا المعنى يقول البارودي (٣) :

تصيح القنا مما يِدُقُّ صُدُورها طِعانا ويشكو فعلَ ساعده النَّصلُ

فالقنا في يده تصيح بأعلى صوتها وهو يطاعن بها ، ويدقُّ عواليها في أعدائه ، وتشكو قوة ساعده .كما أنَّها تصيح في وجوه الأعداء بالموت كما يقول البارودي (٤) :

إذا نحن سرنا صرَّح الشَّرُّ بِاسمِهِ وصاح القَنَا بالموت واستقتل الجندُ

فهي تمتلك القدرة على إخافة الأعداء بأصواتها ووقعها الذي يُرهب الأعداء ويُعجِّلُ بقتلهم ، فتراها مشتبكة في سماء المعركة تُنذر الأعداء وتهزُّ أفئدتهم ، ففي اشتباكها وتلاحمها نذير الموت (٥) :

ولما تداعى القوم واشتبك القنا ودارتْ كما تهوى على قُطبها الحربُ

فعندما اشتبكت الرماح وكشَّرت الحرب عن أنيابها قضى الأعداء فيها آجالهم ، لأنَّ هؤلاء الأبطال

---

١. السابق ، ٧٩/٣ .
٢. السابق ، انظر الشرح في هامش رقم ١٠ ، ٧٩/٣ .
٣. السابق ، ٥٧/٣ . مع الشرح المدون في الهامش .
٤. السابق ، ١٦٨/١ .
٥. السابق ، ٦٧/١ .

لايهابون الموت ولا يخشون الطِّعان ، بل يجدون في رميهم بالرماح وإصابة أعدائهم المتعة والسرور ، فهم من كثرة خوضهم للحروب صارت رمايتهم للرماح تُعدُّ تسلية لهم كما يقول البارودي (١) :

ولا بدَّ من يومٍ تلاعبُ بالقنا أسودُ الوغى فيه وتمرحُ جُرده

فهؤلاء الأسود الذين تخشاهم الوغى قبل خشية الأعداء لهم لايرون الرمي بالقنا في الحرب إلا من باب التلاعب الذي هو ضد الجِدِّ (٢) ، فهزلهم منوط بالشجاعة فكيف بهم إذا جَدَّ جِدُهم ! وكلما ازداد لهب المعركة وثار العجاج وتلبدت سماؤها به فإنَّهم لا يبالون بالأعداء بل يرمونهم بأطراف القنا وهم في فرح وسرور لعلمهم بضعف عدوهم . ويصور لنا البارودي هذه اللحظة بقوله (٣) :

وأصدعُ الجيش والفُرسانُ من مَرَحٍ تحت العَجَاج بِأطراف القَنا نُخُطُ

فهذا الفارس جريء شجاع يخوض غمار الحرب ، والفرسان لا يبالون أهوالها ، فهم نُخُطٌ أي : الطَّعانون في الرجال واللاعبون بالرماح شجاعة وبَطَالة (٤) . كما وصف البارودي الرماح بالسنان المذرَّب في قوله (٥) :

إذا أنا لم أُعط المكارم حقهـــا فلا عزَّني خالٌ ولا ضمني أبُ
ولا حملت درعي كُميتٌ طِمِرَّةٌ ولا دار في كفي سِنانٌ مُذرَّبُ

والسنان المُذرَّب يقصد به: الحاد القاطع أوالذي أُنقعَ في السُّمِّ ثُمَّ شُحِذ(٦) ، وهذا السنان من نبات المرَّان كما في قول البارودي (٧) :

لا تستبين العينُ في ظلمائِهِ إلا اشتعال أسِنَّةِ المرَّانِ

---

١. السابق ، ١٤٧/١ .
٢. ابن سيده:المحكم والمحيط الأعظم ، ١٦٨/٢ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١٨٩/٢ .
٤. الزبيدي:تاج العروس ، ١٣٨/٢٠ .
٥. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٣٩/١ .
٦. ابن سيده:المحكم والمحيط الأعظم ، ٦٥/١٠ .
٧. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٤٤/٤ .

والمرَّان نبات الرماح (١) الموصوفة بالليونة (٢) والصلابة (٣) ، فهي لينة في صلابة يتقد لمعانها وبريقها ، هذه الأسنة لا يحملها إلا من كانت نفسه أبية لا ترضى الذل والمهانة ، كما يقول البارودي في وصفه لحاملها من الفرسان الأبطال (٤) :

نفى النوم عن عينيه نفسٌ أبيةٌ لها بين أطراف الأسنة مطلبُ

فهذه النفس لا تخلد للراحة و الدعة بل تجد في رفقه الأسنة سعادتها وبلوغ غايتها .كما وصف البارودي الرمح بالنَّصل في قوله (٥) :

تقحمته فردا سِوى النَّصلِ وحده وحسب الفتى أنْ يطلُبَ النَّصرَ بالنَّصْلِ

فالنّصل يطلق على حديدة الرمح وأضيف الرمح إليه فسمي باسمه ، وفي رأي الشاعر أنَّ هذه الرماح يُدرك بها النصر لاجتماع معاني القوة كلها فيها ، بل إنها تحمل في أطرافها خطة الحرب وأسرار الفرسان كما في قوله (٦) :

أُحمِّلُ صدر النَّصْلِ فيه سريرةٌ تُعدُّ لأمرٍ لا يُحاوَلُ ردُّهُ

فهذه الرماح أعطيت من صفات البشر ما تعرف به أحوال المعركة و فرسانها ، فهي نِعم عُدة الفارس الذي يحملها في وقت الملمات ، كما أنَّ هؤلاء الفرسان عند رميهم بها الأعداء ؛ لا يرمونهم بها إلا عند اقترابهم منهم لأنهم واثقون في قدرتها على النَّيلِ منهم وإلحاق الهزيمة بهم ، وفي هذا المعنى يقول البارودي (٧) :

فما نصلي إنْ لاقى ضريبته نِكْلٌ ولا في جفيري أسهمٌ مُرُطُ

---

١. ابن سيده:المحكم و المحيط الأعظم ، ١٠ /٢٦٧ .
٢. الجياني،محمد بن عبدالله:إكمال الأعلام بتثليث الكلام. تحقيق سعد حمدان الغامدي . جامعة أم القرى . مكة المكرمة . ط/١٤٠٤هـ، ٦٢١/٢ .
٣. مصطفى،إبراهيم وآخرون:المعجم الوسيط ، ٨٦٥/٢ .
٤. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٣٨/١ .
٥. السابق ،٩٠/٣
٦. السابق ، ١٤٨/١ .
٧. السابق ، ١٨٩/٢ .

فهو يرمي الأعداء عن كثب برمح قوية وأسهم ذات ريش متينة تُصوب نحو الأعداء ، وهذا يدلنا على أنَّ هذا الفارس على أهبة الاستعداد لهذه المعركة بأجود أنواع السلاح وأقواها . كذلك وصفَ هذه الرماح بالمرَّان في قوله (١) :

تتقصَّف المرَّان في حَجَراتِها ويعود فيها السيفُ مثلَ الأدْرَدِ

فالرماح المرنة مشتقة من المرانة وهي اللِّين(٢) ، وما سمي المران إلا للينه(٣) ، فهذه الرماح والسيوف لاتعود من المعركة إلا قد تكسرت وتفللت من كثرة ضربها للأعداء الناتج عن قوة الفرسان وبسالتهم .كما وصفَ البارودي هذه الرماح بالحادة القاطعة وعبر عن ذلك بلفظ (لهذم) كما في قوله (٤) :

ويصحبني في كلِّ روعٍ ثلاثةٌ : حسامٌ وطِرفٌ أعوجيٌّ ولهْذمُ

واللهذم الحادُّ والقاطع من السِّنان(٥) ، وهو من العُدد التي لا تنفك عن الفارس في المعركة .كذلك من أوصاف الرمح عند البارودي أنْ وصفها بالخُرصان كما في قوله (٦) :

ملأوا الفضاء فما يبين لناظرٍ غيرُ التماع البِيضِ والخُرصانِ

والخُرص هي الحلقة التي أسفل السنان ثم سُمي به السنان ثم كثر حتى سُمي به الرمح(٧) ، فعندما تلتحم المعركة وتتلاطم أهوالها ويكسوها الغبار ويغطيها ؛ فإنَّك لا ترى غير لمعان السيوف والرماح في سماء المعركة ، وهذه كناية عن كثرة المتحاربين واحتدام المعركة وجودة سلاحها .

---

١. السابق ، ١٥٢/١ .

٢. ابن قتيبة:عبدالله بن مسلم:غريب الحديث.تحقيق عبد الله الجبوري . مطبعة العاني . بغداد .ط١/١٣٩٧هـ ، ٢٠٦/٢ .

٣. سيبويه،عمرو بن عثمان بن قنبر:كتاب سيبويه. تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار الجبل . بيروت . بدون تاريخ ، ٢١٨/٣.

٤. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١٥٥/٣ .

٥. الزبيدي:تاج العروس . ٤٦٣/٣٣ .

٦. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٤٥/٤ .

٧. الزمخشري،محمود بن عمر:الفائق في غريب الحديث .تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعرفة . لبنان،بدون تاريخ، ٣٦٠/١ .

ومما سبق يضح لنا أن الرمح من الأسلحة المهمة التي تفتك بالأعداء ، وأن الاهتمام بها وتجهيزها من الأمور المؤدية إلى سبيل النصر المبين ، وقد استخدم الشاعران ألفاظا عديدة لوصفهما للرمح وإعلاء مكانتها. وألخص الموازنة بين أبي فراس والبارودي في وصفهما للرمح في النقاط الآتية :

١. فقد اتفق الشاعران على أنَّ الرمح من الأسلحة الهامة والأساسية في المعركة ، فأبو فراس يجعلها ضمن الأسلحة الهامة للمعركة الموصلة للنصر(الدرع والرمح والصمصامة الخّذِم) ،أما البارودي فيرى أنَّها من الأسلحة الموصلة للمجد لأن الفارس عند سماعه لنداء الحرب لا يلوي على شيء سوى حمله للرمح وهزِّه له (هزَّ الرمح و انتصبا) ، بل يؤكد على أنَّ الفتيان لا يدعونها أبدا (ليس لهم إلا الرماح) .

٢. كما وصف أبو فراس فعلها في المعركة ، فهي تحمل في رؤوسها السُّمَّ القاتل (السُّمَّ المذابا) لتفتك بالأعداء ، فمع قوتها ومتانتها إلا أنها مشبعة بالسُّم الفاتك بالأعداء حتى ينال العدو ألمها بطريقة لا تدعه يعود للحياة أبدا ، كما أنَّها تعود بعد المعركة وقد تحطمت على صدور الأعداء (وأعقاب رمح فيهمُ حُطِّم الصدرُ) و(لا أعود برمحي غير منحطمِ) فصور لنا أبو فراس هذه الرمح أثناء المعركة في صورتين : الأولى/ صورة استعدادها لرمي الأعداء في بداية المعركة وفي هذه الصورة تحمل الموت قبل أنْ تصل إليهم ، والثانية/ صورة عودتها من المعركة وهي محطمة لشدة بأس من حملها من الأبطال .

٣. أما البارودي فصور الرمح أثناء المعركة بصور مغايرة لما صوره أبو فراس ، فهي تملأ سماء المعركة وتغطيها في وصفه لكثرتها ، وأما من حيث فعلها فهي تستقر في أفئدة الأعداء (فلا مهجة إلا ورمحي ضميرها) ، وإذا لم تصب القلب فإنها لا تستقر إلا في الأماكن القاتلة في الجسم (ينتحي نِطاف الكلى) ، أي أنَّ الأبطال عندما يرمون بها فلاشك في أنها قاتلة لأعدائهم فانية لأعمارهم ، وبهذا نجد أن البارودي قد تفوق على أبي فراس في وصفه للرمح من حيث هيئتها في الحرب ومن حيث فعلها .

٤. كما اتفق الشاعران في وصف الرمح بالقنا ، فأبو فراس يرى أنها من الأسلحة التي يتغلب بها صاحبها على الأبطال الأشاوس (حمل القناة على أغرَّ سميدعٍ) ، كما وصف فعلها في المعركة

وبطشها ؛ بأنَّ هذه القنا تختلف في أجساد العداء لكثرة انهمارها (القنا تشاجر) ، وأنها تلاحق الأعداء الهاربين وتردهم إلى حدِّ السيف لينالوا جزاءهم (تردُّ إلى حدِّ الظُّبا كل ناكثِ) ، وترتوي بدماء الأعداء (ترتوي البيض والقنا) وتسل منها الدماء (القنا الرّعاف) ، وبهذا نجد أنَّ أبا فراس جعلها كالكائن الحي في الملاحقة والارتواء وسيلان الدم ؛ فهي تحيى بحياة أبطالها وتموت بموتهم .

أما البارودي فوصف القنا بالسُّمر (سمر القنا) ، وبيَّن أن إدراك الأعداء يكون بـ(أطراف القنا) ، ووصف كثرتها بالاشتباك في سماء المعركة (واشتبك القنا) ، جعلها كالكائن الحي تصيح من قوة وصلابة أيدي المحاربين (تصيح القنا) ، وكذلك جعلها تصيح بالموت في وجوه الأعداء (صاح القنا بالموت) وفي تشبيهه إياها بالكائن الحي يشترك مع أبي فراس في ذلك . كذلك اتفق الشاعران في وصف الرمح بالسنان ، فأبو فراس يرى أنَّ أطراف الأسنة تقضي على الأعداء وتعقرهم (أطراف الأسنة عاقر) ، أما البارودي فيرى أنَّ تحقيق المطالب والرغبات يكون بـ(أطراف الأسنة) وبهذا يتفق الشاعران في هذه الرؤية .كما كان أبو فراس يتوقع أنَّ منيته لا تكون إلا بحدِّ السيف أو السنان (منيتي بحد السنان) وقد انفرد بهذا التعبير عن البارودي .كذالك نجد أنَّ البارودي قد انفرد في وصفه للسنان عن أبي فراس بأنْ وصفها من حيث نوعيتها (أسنة المرَّان) وهو الشجر الذي تؤخذ منه ، ووصف فعلها بأنَّها حادة قاطعة (سنان مذرَّبُ) ، وبهذا أرى أنَّ البارودي تفوق على أبي فراس في وصفه للسنان من حيث منشأ أصلها وقوة فتكها وأنَّ بلوغ العلا لا يدرك إلا بوجودها . ومما انفرد بوصفه أبو فراس ؛ أن وصف الرماح بالسُّمر وجعلها مضافة إلى البلد الذي نشأت فيه مرة (أسمر مما ينبت الخطي ذابل) ، ومرة أضافها إلى نوعية الشجر الذي تؤخذ منه (والسمر لُدنا) و (في أيديهم أسل) ، كما تفرد بوصفها بالزرق الدالة على صفاء حديدها (زرقٌ تشق البُرد) . ومما انفرد بوصفه البارودي ؛ أنْ وصف الرمح بالنَّصل (سوى النصل وجده) ، ووصفها بالمران وهو الشجر الذي تؤخذ منه (تتقصف المران) ، وكذلك وصفها الخُرصان واللهذم .

وبهذا نجد أنَّ أبا فراس استخدم لهذا السلاح الأسماء الآتية :(الرمح والقنا والسِّنان والسُّمر والزرق والأسل) ، بينما نجد أنَّ البارودي استخدم الأسماء الآتية:(الرمح والقنا والسَّنان والنَّصل والمران والخُرصان واللهذم) .

المبحث الثاني :

صورة الفارس و الجند في شعر الشاعرين و الموازنة بينهما.

ثانيا : صورة الفارس و الجند في شعر الشاعرين و الموازنة بينهما.

لا شك في أن أبا فراس من شجعان العرب إذ كان صديقا للسيف أنيسا لجلبة الحرب ، خاض المعارك ضد الروم واصطحبه سيف الدولة في كل غزواته ، وتجرع غصص الأسر واكتوى بنار البعد عن الأوطان ، فبقي في الأسر أربع سنين أضيفت إلى حياة الحرب والمعارك ، لذلك سَرتْ البطولة في عروقه "وهو بَعدُ فتيا في عمر الورود ، يتدفق شجاعة ، وينفخ فيه ابن عمه روح المغامرة التي ترفعه إلى مصاف الفرسان الأوائل ، وتجعله رمز العنفوان الأبي في بلاط سيف الدولة الذي بالغ في إعداده لمهام الغد المنتظر مع الروم المكثرين الإغارة على الثغور العربية في بلاد الشام "(١) ، فجاء شعره الحربي ليضيف إلى ديوان العرب سجلا حافلا بالبطولات الحربية الرائعة التي أبلى فيها بلاء حسنا ، وهو في الوقت نفسه "يُمثلُ حياته ، فهو أمير فارس ، أبيُّ النفس ، له مكانة عالية عند عِليةِ قومه ، ليس بالمدح ، لكن بسجل الأحداث "(٢) ، التي جمعت بين البطولة المصحوبة بالمثل العليا والقيم السامية التي امتلأت بها معاني أشعاره ذات التجربة الصادقة ، لأنه لم يقل الشعر طالبا للمال ولم يقله تزيفا ورهبة ممن حوله ، بل صدر هذا الشعر من نفس صادقة مبدعة تعيش في أحضان السياسة وتخوض المعارك مع الأعداء وتساهم في بناء الدولة .كل هذه الظروف أخرجت لنا شاعرا يعلم أين يضع الكلمة قبل أن ينطق بها ، وهو عندما ينظم القصيد ينظمه من أجْل أن يرسم تفاصيل حياته بحركاتها وسكناتها ومعاناتها . أما البارودي فقد أولع بالشجاعة والإقدام الذي تغلغل في نفسه منذ أن كان في المدرسة الحربية و بعد أن تخرج فيها والتحق بالجيش وشارك في المعارك الحربية التي خاضها الجيش العثماني بمعاونة الجيش المصري في حرب (كِريت)(٣) وحرب البلقان (٤) حيث أبلى فيها الجيش المصري بلاء حسنا ، لذلك جاء شعره الحربي حاملا تجاربه الذاتية التي جمعت بين القوة القتالية

---

١. الحُـر،عبدالمجيد:أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية. دار الفكر . بيروت . ط/١٩٩٦م . ص٥٠ .

٢. العطوي،مسعد بن عيد:الاتجاهات الفنية في الشعر إبان الحروب الصليبية .مكتبة التوبة ، الرياض . ط١/١٤١٥هـ . ص ٢٨٤ .

٣. كِريت : من أكبر جزر اليونان تقع في الشمال الشرقي للبحر الأبيض المتوسط .

٤. البلقان: تقع جنوب شرق أوروبا .

والقوة الشاعرية فصاغت لنا أروع الأشعار الحربية المتينة والمتماسكة والتي تنبع منها صور الشجاعة والإقدام التي لا نظير لها من حيث "وصف المواقع الحربية وما تحتويه من قعقعة السلاح ، وهمهمة الخيل ، وتهاوي السيوف ، واعتكار الأفق ، ومسايل الدماء ، ومصافحة الحتوف ، ومبادرة الصفوف ، وما إلى ذلك مما يتصل بها ويكشف عن مشاهدها ، لأنه إنما كان يصف مشاهده هو ، ومغامراته هو ، ويتغنى بأمجاد كان عرينها وقطب رحاها"(١) .

لا شك في أن أبا فراس فارس مغوار لا ينفك الفخر عنه في كل مواضعه التي يكون للبيان مجال في تصوير الحقيقة ، فهو فارس شجاع " لا غرابة في أن يكون الفخر من أهم أغراضه ، فقد كانت عناصره مهيأة له ، ودوافعه عتيدة لديه ، فهو أمير من بيت ملك ، يحكم شمال الشام والجزيرة ، ومن أسرة بنت ملكها على أسنة الرماح ، وهو بطل من أبطال الحروب ، وقائد من خيرة قوادها ، وحاكم له مزايا باهرة وخلال ناضجة، وتلك كانت أهم ينابيع فخاره"(٢) التي صاغ من ثمارها كل معاني الفخر وصفات المجد ، فعندما يفتخر هذا الفارس بنفسه لا بد أن يذكر فضل آبائه وأجداد الذين غرسوا فيه الشجاعة حيث يقول(٣) :

إني امرؤٌ "ببني حمدان"مفتـــــخرٌ خيرِ البرية أجدادا وأســـــلافا
إني لمن معشر،ما ضِيمَ جارهُـــــمُ ولارأى عندهم بُؤسا، ولاخافا
إن حالفتنا المعالي فهي قد علمت كانت لآبائنا من قبل أحـلافا

فهذا الشاعر ورث المجد والشجاعة من أولئك القوم الذين نالوا خير النسب وخير المنبت وخير الفضل الذين حفظوا العهد مع غيرهم فلم ينقضوا عهدا ولم يخونوا جارا ولا قريبا مهما كانت الأمور وتبدلت الأحوال واكفهرت الظروف ؛ لأن أصلهم كريم ومنبتهم منبت خصيب ، ومثل هذه القبيلة تكون لها الصدارة في

---

١. موسى ،أحمد إبراهيم:مجلة الأزهر.(محمود سامي البارودي دعائم الزعامة البارودية). الجزء السادس.سنة ١٣٦٢هـ ،٢٨٨/١٤.

٢. بدوي،أحمد:شاعر بني حمدان . ص ٩٢ .

٣. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .تحقيق الدهان . ص ٢٦٠ .

الفخر بفرسانها الذين يذودون عن حياضها ويكونون عينا ساهرة في كل حين . وهذا الفارس الشجاع لابد أن يكون من سلالة توارثت المجد والمكانة العالية وقيادة الجيوش ، فهو من قوم شرفهم منيع حصين ، وعهدهم قديم ومجدهم منوط بالنصر والظفر(١) :

ولقومي الشرف المنيع محلُّهُ فوق المجرة والسماك المِـــــرزمِ
ورثوا الرئاسة كابرا عن كابرٍ من عهد عادٍ في الزمان وجُرْهُمِ
ظفروا بها بالسيف أول مرة وبقاؤها بالسيف أصبح فيهــمِ

فشرف قومه لا يصل إلى مثله أحد لأن المُلك أمر مفروض عليهم يُقسم عليهم كما تُقسم التركة على أصحابها ، فهو حق مشروع لهم بل متأصل منذ العصور القديمة ، فكان للسيف دور بارز في وصولهم إلى هذه المرتبة وحبهم للقتال الذي صار جزءا من حياتهم اليومية . كما يرى أبو فراس أن الفارس المحارب الذي ينتسب إلى قبيلة عريقة عُرفت بالشجاعة ومكارم الأخلاق لا بد أن يكون جامعا بين قوة اللسان والسنان حيث يقول عندما كان أسيرا لدى الروم وطلب من سيف الدولة أن يفتديه حتى يُكمل مهمته في مجاله الحربي(٢) :

وإن تفتدوني تفتدوا لعلاكـــم فتىً غيرَ مردودِ اللسان أو اليـدِ
يُطاعن عن أعراضكم بلسانه ويضرب عنكم بالحسام المهندِ

فهو يذود عن أعراض القبيلة بالقول البليغ الذي يُخرسُ به الشامت وإذا لم يرتدع عن قوله والحسام هو الحدُّ الفاصل الذي ينهي القضية ، فهو رجل يعالج الأمور الصعبة بأسلوب حكيم حتى إذا طفح الكيل فإن الحسام دواء من لا دواء له .

أما البارودي فيرى أن من صفات الفارس المحارب أن يكون من معشر بلغوا غاية المجد وقمة المعالي بالقوة المنطلقة من حدِّ السيف ورمي السهام (٣) :

أنا من معشر كرام على الدهـ ـر أفادوه عزة وصلاحـــا
فرعُوا بالقنا قِنان المـــــعالي وأعدوا لبابها مِفتاحـــــا

---

١. السابق . ص ٣٧٧ .
٢. السابق . ص ٨٠ .
٣. السابق ،١/١٣٠ .

فالبارودي من أسرة ذات جاه ومنصب سواءٌ أكان من جهة أبيه أم من جهة أمه ، وهذه المنزلة والرتبة التي تحظى بها أسرته جعلته يفخر بمآثرهم ويفخر بسيرهم و إن كان يُعد من أسرة جركسية تنسب إلى حكام مصر المماليك فهذا لا يمنعه من المفاخرة بقومه ، بل لا يقف افتخاره بقومه الذين كانوا سببا في شجاعته وبسالته عند هذا الحَدِّ ، بل هم من سادة الأمم الذين تذل عندهم الرقاب ويطوف حول قصورهم المحتاجون والطُّلابُ من أجل قضاء حوائجهم وطلب المعونة لذلك يقول(١) :

أنا ابن الألى جلوا الغيابة بالظُّبـا وسدوا بأطراف القنا مطلع الشـــمسِ
تدور الليالي كيف شاءوا مطيعـة لأمرهم في الناس بالسعد والنـــحسِ
ترى الناس أفواجا يطوفون حولهم كما طاف أهل الحج بالبيت ذي الأسِ
أفاءوا على الدنيا بوارف ظلهـم ودانت لهم سيارة الجـن والإنـــسِ

وهذا التعبير يجعل البارودي مصرا على أنَّ قومه من سلالة ملكت الدنيا وحازت على خيراتها وذلَّت لهم الأمم ولم يملكوا الإنس فحسب بل تعدوهم إلى أنْ أذعنت لهم الجِّن كما أذعنت لسليمان عليه السلام من قبل ، وهذه مبالغة باطلة لا يليق بشاعر كالبارودي أن تهوي به قريحته إلى مثل هذا القول .

كما أنَّ البارودي يرى أنه جمع بين البطولة المعتمدة على السنان والبيان اللتين جعلته فارس قومه حيث يقول(٢) :

أنا فارس أنا شـــاعر في كل ملحمة ونـــادي
فإذا ركبت فإنـــني زيد الفوارس في الجـــلاد
وإذا نطقت فإنـــني قيس بن ساعدة الإيادي

فالفارس المحارب الذي حاز البطولة في نظر البارودي لا بد أنْ يكون كابن حصين بن ضرار الضبي الفارس الجاهلي الذي يضرب به المثل في الشجاعة وشدة البأس حيث ينحدر من قوم أهل شجاعة ونضال ، كما لا بد أنْ يكون ذا بلاغة وبيان حتى يعزز بطولته بالقول البليغ والشعر الحماسي كخطيب

---

١. بدراوي،سامي:أوراق البارودي المجموعة الأدبية. المركز العربي للبحث و النشر . القاهرة . ط/١٩٨١م . ص ٨٠ .
٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي . ص ٢٤٣/١ .

العرب قس بن ساعدة الإيادي الذي لا يشق له غبار في الفصاحة والبلاغة ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الشاعر مولع بتقليد القدماء في قوله وفعله .

ومما سبق نستطيع القول بأن الشجاعة المتأصلة في قبيلة أبي فراس تجعله يكمل من حيث انتهوا ، وليس من الضروري أن يكون البطل المحارب من قبيلة ذات باع في القوة والبسالة الحربية ، لكن الذي يؤكد عليه أبو فراس أن هذه الصفات المتأصلة في القبيلة تجعل الفتى يرضع الفروسية والبطولة منذ طفولته ، وهو عندما يؤكد ذلك فقد أصاب في قوله لأنه افتخر بألفاظ قوية في معناها كقوله : (إني امرؤ ببني حمدان مفتخر) و(إني لمن معشر) و(لقومي الشرف) و(ورثوا الرئاسة) كل هذا يدل على مجده ومتانة أصله ، ويؤكد أقوله في هذا المجال باستخدام حرف التوكيد المضاف إلى ياء المتكلم (إني) الذي يزيده شرفا أن ينتسب إلى مثل هذه القبيلة حيث "اجتمعت فيهم أسباب السيادة ، ولاحت من أساريرهم وسيرهم أمارات السعادة ، يُخلفون المجد أولا لآخر ، و يرثون الفضل كابرا عن كابر . أما الأدب فهم شموعه المشرقة ، ورياضه المونِقة ، وحياضه المغدقة ، وأما النظم فهم فرسان ميدانه ، وشجعان فرسانه ، وأرواح جثمانه"(١) .

أما البارودي ففخره بأهلة وعشيرته في مجال الحرب والفروسية لا يقارن بفخر أبي فراس ، كما أننا نلاحظ استخدام البارود لضمير المتكلم (أنا) عندما يفخر بقومه (أنا من معشر) و(أنا ابن الأولى) وعندما يفخر بنفسه (أنا فارس ، أنا شاعر) وقد تكررت في ديوانه أكثر من تسعين مرة ، بينما تكررت في ديوان أبي فراس ما يقارب أربعين مرة ، وهذا في رأي الباحث يدل على أن البارودي كان يعيش في زمنٍ قلَّ فيه الفرسان أمثال أبي فراس و غيره ، فما كان منه إلا أنْ يلوذ بهذا الضمير و يتقوى به ، وإن كان يفخر بشجاعة قومه إلا أنه يرى نفسه هي الأهم في إطرائها والرفع من معنوياتها ، لأن مشاركة غيره معه مدعاة للتقليل من هذه الصفات التي يرى أنه جدير بها ، كما أن الشجاعة والفروسية التي يتغنى بها البارودي تقليد للقدماء يتغنى بها في أشعاره لا حياة لها على أرض الواقع . كذلك من صفات الفارس المحارب لدى أبي فراس أن يتحلى بالمناقب الفاضلة والخلال الحسنة ، فهذا الفارس كريم إلى جانب شجاعته لا يدخر ماله لنفسه بل

---

١. الأصبهاني،عماد الدين الكاتب:خريدة القصر وجريدة العصر. تحقيق شكري فيصل . المطبعة الهاشمية . دمشق . ط/ ١٣٧٥هـ ، ٤٩٧/١ .

يبذله في إكرام ضيفه واستعداده لملاقاة عدوه(١):

لله درك من قِرْمٍ أخي كـــــرمٍ لا ينطق المال إلا في تشكيـــهِ

فالخيل يمنحها والبِيضُ يثلمــها والسُّمْرُ يحطِمها والقِرنُ يُرديـــهِ

فهذا المحارب المغوار قد جمع بين الفروسية وكريم الأخلاق ، ومنح الخيل والأموال لسائليها ، كما يعانق سيفه رقاب الأبطال حتى يرديهم قتلى ويُمطر عليهم النبل والرماح ، ويُغدق على المحتاج صنوفا من العطايا ، فهويعطي المال في الرخاء لمحتاجه ويُعطي رقاب أعدائه وأجسادهم السيفَ والرماح فهو كري في الحالين.كذلك من صفات المحارب عبد أبي فراس أن تجري الشجاعة فيه جريان الدم في العروق (٢)

وإنـي لـجـرارٌ لـكل كـتـيـبـــة مُعـوَّدةٍ ألَّا يـخـلِّ بـهـا الـنـصـرُ

وإنـــي لـنـزَّالٌ بـكـل مـخوفـةٍ كثيرٌ إلى نُزَّالها النَّـظـر الـشـــزرُ

فأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسْغبُ حتى يشبعَ الذِّئب والنَّسرُ

ولا أُصبِحُ الحيَّ الخلوف بغـارة ولا الجيش ما لم تأته قبليِ النُّـــذْرُ

ويا رُبَّ دارٍ لم تخفني منيعـــةٌ طلعت عليها بالردى أنا والفجـــرُ

فهذا الفارس المحارب لا بد أن يكون قائدا محنكا يتعلم منه الجند الحكمة والدهاء ، فكل كتيبة يقودها لا تضعف أمام العدو بل يكون النصر حليفها ، وهو عندما ينزل بالعدو لا ينزل بمن عُرفوا بالضعف والهزيمة بل ينزل بالعدو الأشاوس الذين تهابهم الناس لكثرة وقائعهم وتضحياتهم ، كما أن هذا الفارس لا يحصل له الرِّيُّ إلا إذا ارتوت السيوف والرماح بدماء العدو ، ولا يحصل له الشبع إلا إذا شبعت الوحوش من أكل جثث القتلى الذين أرداهم هذا الفارس المغوار وجنده الأبطال ، وكذلك عندما يريد الغزو فإنه يتدرج في إشعالها بالكلام والنذر حتى إذا أصرَّ العدو على قولهم أغار عليهم بكتيبة لا ترى إلا الموت أو الأسر في وقت الفجر الذي يستبشر الناس بطلوعه لكن سرعان ما يتحول طلوع الفجر المشرق إلى طلوع تلك الكتبة المشرقة ببياض سيوفها ولمعان رماحها .

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .تحقيق الدهان. ص ٤٣٠ .

٢. السابق . ص ٢١٢ .

كما يرى أبو فراس أن من صفات المحارب أن لا يعود إلا وحليفه النصر والظفر (١) :

ولا أعود برمحي غير منحطـــم ولا أروح بسيفي غير مختضـــــــبِ
حتى تقول لك الأعداء راغمةً "أضحى ابن عمك هذا فارس العربِ"

فنفاد سلاحه في المعركة وتحطم رماحه في أجساد العدو وخضبُ سيفه بدمائهم من صفات هذا الفتى المحارب الذي يُرغِم عدوه بأن يلهجَ بالاعتراف بفروسيته مع ما كبدهم من خسائر وهزيمة ، فتراهم يعودون مهزومين مكلومين معترفين ببطولة هذا الفارس رافعين به أصواتهم . كذلك يجب على المحارب أن يجمع بين صفات عديدة تؤهله لأن يكون قائدا مطاعا ، وهذه الصفات قد جمعها أبو فراس في قوله(٢) :

يا ابن العم قد أتانا ابن عمٍّ في طِلاب العلا صعود لجوجُ
فاضل كامل ، أديب أريب قـائـل فـاعـل جميل بهيـجُ
حازم عازم ، حروبٌ سلوب ضارب طاعن ، خروج و لوجُ

وقد جمعت هذه الصفات خلال الشرف والفتوة في ذلك المحارب الذي يُستنجد به عند الملمات ، فهو فاضل بأخلاقه وتصرفاته ، حكيم في تعامله ، صارم في أرائه ، شجاع في قراره ، ذا مراس مع الحرب وصداقة حميمية معها ؛ كل هذه الصفات وغيرها عندما تجتمع في قائد فلا شك أنها كفيلة بأن تجعل النصر حليفه ؛ لأن أبا فراس يرى بأن العزَّ والكرامة في خوض المعارك وسلِّ السيوف وحمل الرماح (٣) :

لا عزَّ إلا بالحسام المِخْـــذمِ وضِرابِ كلَّ مدجج مستلئِـمِ
وقِراع كلَّ كتيبـةٍ بكتيبـــــة ولقاء كلِّ عرمرمٍ بعرمـــــــرم
ولقد رضَعتُ من الزمان لِبانهُ وعرفتُ كلَّ مُعوَّجٍ و مُقـــوَّمِ
وأهنت نفسي للرماح وإنـــه من لم يَهُنْ بين القنا لم يَـكرُمِ

---

١. السابق . ص ٤٤ .
٢. السابق . ص ٥٨ .
٣. السابق . ص ٣٧٧ .

فالمحارب الشجاع هو الذي يعلم بأنَّ العِزَّ والتمكين لا يتأتى إلا بخوض المعارك والنَّيلِ من كلِّ حقود لئيمٍ ، ومقابلة الجيوش المحتشدة والتغلب عليها بكلِّ حكمة وذكاء ، لأن هذا المحارب الشجاع قد رضع من تجاربه الحربية ما يجعله يميز النافع من الضار والحق من الباطل حتى تكون له الغلبة والنصر .كما يرى أبو فراس أنه عندما تضطرم نار المعركة وتلتحم الصفوف وتشخن الجراح فإن الفرار في هذه الحالة يراود الجبناء ؛ إلا أن هذا الشجاع المحارب يزداد تعطشا للموت في سبيل النصر والوصول إلى المجد المنشود (٢) :

ولمـــا لم أجـــد إلا فـــرارا أشدَّ من المنية أوجِمـــامـــا
حملتُ على ورود الموت نفسي وقلت لعصبتي موتوا كرامـــا
ولم أبذل لخوفهـــــم مجنـا ولم ألبس حِذار الموت لامـا
وعُذتُ بصارم ويدٍ وقلـــبٍ حمايَ أن أُلام وأن أضـامـا
ألفُّهمُ وأنشـــرهـــم كـــأني بهم نعما أُطَارِدُ أونـعـامـا

فهذا البطل المحارب عندما وجد الرعب يتقاذف قلوب من حوله ويستسلموا للفرار ، أقبل عليهم يحثهم على الصبر والمجالدة وكأنه في انقضاضه على الأعداء وحُبِّهِ للموت الشريف ووُرُدِهِ عليه كمن أضره العطش فهو يَرِدُ على الماء العذب ليروي عطشه ، ومع هذا الإقدام والحرب قد كشرت بأنيابها فهو يقتحمها بثلاثة أسلحة فقط : سيفه ويده وقلبه ، وبهذا فإن من صفات المحارب الشجاع أن يكون ذا قوة جسمية وإرادة قلبية تجعله مقداما يقتل الأعداء ويطاردهم كما يطارد الصائدُ الوحشَ التي مُلئت قلوبها هلعا وذعرا .

أما البارودي فتقربُ رؤيته مع رؤية أبي فراس في وصفه للفارس المحارب بالشجاعة والإقدام وأنه يُؤثِرُ نجدةَ قومه والموتَ في سبيلها على حياته ، فما إن يسمع هذا البطل صوتَ مستغيثٍ أومستجيرٍ إلا ويفزع لنجدتهم، لأن وصوله للمجد لا يدركه إلا بهذا الفعل (٢) :

لا يدرك المجد إلا من إذا هتفـــت به الحمية هزَّ الرمح وانتصبـــا

---

١. السابق . ص ٣٦٣ .

٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٦٨/١

يستسهل الصعب إن هاجت حفيظته ولا يشاور غير السيف إن غضبـا
إن حلَّ أرضا حمى بالسيف جانبهـا وإن وعى نبأةً من صـارخٍ ركبـا
فذاك إن يحيى تحيى الأرض في رغـدٍ وإن يمت ينقلب صدق المنى كذبـا
فاحمل بنفسك تبلغ ما أردت بهـا فالليث لا يرهبُ الأخطار إن وثبا
وجُدْ بما ملكت كفَّاك من نشـبٍ فالجود كالبأس يحمي العِرض والنَّسَبَا
لايقعد البطل الصنديد عن كـرم من جاد بالنفس لم يبخل بما كَسَبـا(١)

فهذا المحارب البطل يمتلك سلاحين مهمين ، أولهما : سلاح السيف الذي يُعدُّ المستشار لهذا البطل في وقت المحن ، فمخاطبة السيف أضحت كمخاطبة الأشخاص ، لأن البطل لا يجد وقتا لاستشارتهم ، فهو مشغول بخوض المعارك وإغاثة الملهوف ، وهو في قومه كالروح في الجسد لا تحيا إلا بها ، فهو روح قومه بموته تموت آمالهم وتتفرق كلمتهم و تنكسر شوكتهم ، وثاني هذين السلاحين : سلاح المال فلا بد أن يكون هذا البطل ذا سخاء وكرم ، فلا يعرف البخل ولا الجشع ، بل تراه يذود عن عرضه ونسبه بالإنفاق على أهله وذوي عِترته ، فلا يذلون أنفسهم ولا يسألون الناس إلحافا ،لأن بين أظهرهم الفارس المحارب والبطل الشجاع الذي حاز المكارم وأدرك قامة المجد ؛ فمن بذل نفسه وهي أغلى ما يملك في سبيل المجد والسَّؤدد فلا يضيره أن يُكرم أهله وقبيلته ويجود بما يملك من خير ومال . ويؤكد البارودي على أن من صفات المحارب الشجاع أن يُعرف برباطة الجأش وشجاعة القلب فلا يتهيب الموت والإقدام ، ولا يعرف الخوف ولاالخور ، بل يمتلك عزيمة قوية تنقذه في حالة الكرب (٢) :

وإني لثبت الجأش مستحصد القـوى إذا أخذت أيدي الكماة الأفاكلُ
إذا ما اعتقلتُ الرمح والرمحُ صاحبي على الشر قال القِرْنُ إني هـازلُ
لطاعنتُ حتى لم أجد مِنْ مطاعـنٍ ونازلتُ حتى لم أجد مِنْ يُنـازلُ
وشاغبتُ هذا الدهر مني بعزْمَـةٍ أرتني سبيلَ الرشدِ والغيُّ حـائـلُ

---

١. السابق ، ٦٨/١ .
٢. السابق ، ٦٥/٣-٦٧ .

فهذا البطل تهابه الأعداء عندما ينزع سلاحه ويعتقله ويخفيه ، فكيف إذا رأوه متأبطا سلاحه ممتطيا فرسه ، لا شك أن خوفهم يتضاعف وهزيمتهم تتحقق ، ولا يزال في ساحة القتال يُطاعن هذا وينازل ذاك حتى توشك أرض المعركة على فراغها من هؤلاء المحاربين الذين نالوا الهزيمة على يد ذاك المحارب الشجاع الذي بصَّرتْهُ عزيمته وحكمته بمعرفة أمور الحرب وقيادة الجند . ومن صفات المحارب الشجاع عند البارودي أن لا تزعزعه الأهوال ولا تغيره المخاوف ، إذا مضى في أمر أسرع بتنفيذه وتحقيقه (٢) :

أنا المرء لايثنيه عـمـا يـرُومـــــــــهُ نَهِيْتُ العِدا والشرُ عُريانُ أشـأمُ
أُغيرُ على الأبطال والصبح أشهـــبٌ وآوي إلى الضيفان والليلُ أدهمُ
ويصحبني في كلِّ روع ثـــــلاثـــــة حسام وطِرفٌ أعوجيٌّ ولهـــذمُ
وينصرني في كلِّ جمعٍ ثـــــلاثـــــة لسان وبُرهانٌ ورأيٌ محـــكَّـــمُ

فمهما نَهَتَ العِدا وصاحوا وكشروا فإن هذا الشجاع المحارب لا يرهبه من أمرهم شيء ولا يعدل عن أمر اتخذ قراره ، فموعد الأعداء الصبحُ الذي يفجأ فيه الأعداء ويأخذهم على حين غِرة من أمرهم ، ويكرم أضيافه في الليل المظلم الذي يبحث فيه عابر السبيل عن مأوىً يأوي إليه ، فهذا البطل خيرُ مَنْ يُكرم الأضياف وأشجع مَنْ يسحق الأعداء ؛ لأن أصحابه في المعركة : السيف والفرس الكريم والرماح المتينة ، أما أنصاره في حالة السِّلم وميدان الفصاحة والبيان فهم : لسانه القؤول وبرهان حجته القاطعة وحكمته النابعة من رأيه السديد .كما يؤكد البارودي أن يكون المحارب الشجاع ذا صفات عديدة تؤهله للقيادة والسيادة ، فلا بد أن يكون زعيما في قومه بليغا في مقاله ، لأن بلاغة القول من الأسلحة التي تضاف إلى السيف في المعركة(٣) :

إذا صُلتُ فدَّتني "فراس"بشيخها وإنْ قلتُ حيَّاني"شبيب"و"أكثمُ"
فلا تحْقِرنَّ فضل الكلام فـــإنــه من القول ما يبني المعالي ويهــدِمُ

---

١. السابق ، ٣/٥٥٠-٥٥١ .

٢. السابق ، ٣/٥٥٢-٥٥٣ .

فهذا البطل القائد "غلاب في ميدان الحرب والقتال ، متفوق في مجالات الفصاحة والبيان ، فهو إذاحارب بهَرَ الصناديد من أبطال العرب ، ورأوا حياته أغلى من حياتهم ، ففدوه بأنفسهم وبشيوخهم ، وإذا تكلم أوخطب أوجرى لسانه أوقلمه بشعر أونثر حيَّاه تحية التكريم والإعجاب أشهر فصحاء العرب وأعظم حكمائهم "(١).

ومما سبق يتبين أن الشاعرين قد تقاربا في وصفهما للمحارب الفارس من حيث الجمعُ بين الفروسية والجود ، وقد تسلسلت أفكارهما بحيث أتيا بمعانٍ مرتبة يُكمِّلُ بعضها بعضا لأن"من عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجهها بلغة من اللغات ، ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صَنعةِ الكلام ما تهيأ له في الأولى"(٢) ، فأبو فراس جعل السيف والكرم والقلب الشجاع من أنصاره وأصحابه في حياته ، أما البارودي فيرى أن أصحابه في حياته : السيف والخيل الأصيل والرمح النافذ ، فالمحارب عندما يكون فارسا مغوارا بسيفه وسنانه ؛ لابد أن يكون ذا لسان قؤول كحد السيف على الأعداء ، فقد يُهزمُ الأعداء أحيانا بالقول بدلا من الفعل ، فاجتماع القوة والشجاعة والبأس مع قوة القول وفصاحة البيان من الأمور التي يؤكد عليها الشاعران ويريان أنها من أهم صفات الفارس المحارب ، وبهذه المعاني نجد أن البارودي يستلهم مجده وشجاعته وبلوغه أعلى الرتب مِنْ جَلْبِهِ للمعاني الحربية من قاموس القدماء ، فمآثر القدماء وانتصاراتهم وتضحياتهم ؛ كل ذلك وغيره يرسم للبارودي خارطة تزيد من شغفه لحب البطولات ، والتضحية من أجل عزِّه وشرفه ومكانته ، فهذه الأمجاد تستثير عواطفه وتأجج قريحته لتكون له سلوانا عما يؤرقه ويحزنه من هموم يسعى لحلها وتنفيس كُربها . كذلك من صفات المحارب الشجاع والفارس البطل عند أبي فراس ، أن يكون متحليا بالصبر في جميع أحواله ، فالصبر من شيم الأبطال ومن الخلال الشريفة التي تساعد الفارس والمحارب المغوار على تخطي الصِّعاب والوصول إلى القمم العالية ، لأن الصبر على الموت إبان تلاحم الصفوف وتطاير

---

١. السابق ، ٥٥٣/٣ مع الشرح المدون في هامش ٢٧ .

٢. العسكري،أبو هلال الحسن بن عبدالله:كتاب الصناعتين. تحقيق علي الجباوي ومحمد إبراهيم . المكتبة العصرية . بيروت . ط/١٤١٩هـ . ص ٦٩ .

الرؤوس خير من الفرار والتولي يوم الزحف . فهذا الفارس الذي يتفرع من معشر هم سراة قومهم ، أصبحت الحرب طعامهم وشرابهم ، فعندما تضعف همم المحاربين ويلوذون بالفرار ، فإن هذا المحارب الشجاع يثبت في المعركة ويتصبر حتى ينال مراده وفي هذا المعنى يقول أبو فراس : (١)

ونحن أناس لا تزال سراتنـــــــــا لها مشرب بين المنايا ومطعـــمُ
نظرنا إلى هذا الزمان وأهـــــــــلهِ فهان علينا ما يَشِتُّ ويَنظُـــمُ
وندعو كريما من يجـــــود بمـــالــه ومن يبذل النفس الكريمة أَكْرَمُ
إذا لم يكن يُنجي الفرار من الردى على حالةٍ فالصبر أرجى وأحزم

كذلك من صبر هذا المحارب الشجاع أنه يصبر حتى لو تمزق جسده في المعركة إرْبا إرْبا (٢) :

صبور ولو لمتبق مني بقيـــــة قؤولٌ ولو أنَّ السيوف جوابُ
وقورٌ وأحداث الزمان تنوشني وللموت حولي جيئة وذهابُ

فالصبر من الصفات التي يجب التحلي بها في ساحة المعركة ؛ لأن النفس تكره الموت وتعشق الحياة فإذا ضعفت عزيمة الصبر حصل الذل والهوان والهزيمة ، ومع الصبر تكون قوة اللسان الذي تنبع ألفاظه من القلب الشجاع الذي لا يهاب الموت ، فشجاعة قلبه قذفت القول السديد على لسانه ، حتى لو كان قوله سببا في قتله و فقد حياته ، ومع الصبر وفصاحة اللسان يكون الحلم والسمْتُ الحسن ودماثة الأخلاق من صفات هذا الفارس الشجاع .كذلك نجد صفة الصبر في المعاني التي يصف بها البارودي هذا المحارب الشجاع حيث يقول : (٣)

ونَقْعٍ كلُجِّ البحر خضتُ غمارهُ ولا معقلٌ إلا المَنَاصِلُ والجُـــرْدُ
صبرتُ له والموت يحمرُّ تـــــارةً ويَنْغَلُّ طورا في العَجاجِ فيسْوَدُّ

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . تحقيق الدهان .ص ٣٨٧ .
٢. السابق . ص ٢٢ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي .١٦٩/١-١٧٠ .

فهذا المحارب الشجاع عندما خاض تلك المعركة التي اعتلاها ذلك الغبار المنبعث من ساحة القتال ؛ بسبب التحام الفرسان ، وتهافت الخيل ، وهذا النَّقعُ في كثافته يشبه ذلك البحر الهائج الذي ارتفعت أمواجه وتلاطمت مع بعضها ، فلم يجد ذلك الفارس من ينقذه في هذه اللحظة إلا السيف والخيل الأصيل المضمر، وأقوى من ذلك الصبر ورباطة الجأش على هذه الشدة التي تجعل الموت يتمثل أمام الفارس ، فكأنه نار موقدة قد احمرَّت من شدة اللهب . كما يؤكد البارودي على أن الصبر من الصفات التي يتحلى بها المحارب الفارس حيث يقول(١) :

وإني وإن كنتُ ابنَ كأسٍ ولـــــذةٍ لذو تُدْرَإٍ يوم الكريهـــة والأزْلِ
وقور وأحلام الرجال خفيفـــــــة صبورٌ ونار الحرب مِرْجَلُهـا يغلي
إذا راعت الظلماء غيري فإنمـــــا هلال الدُّجى قوسي وأنجمهُ نَبْلِي
أنا ابن الوغى والخيل والليل والظُّبا وسمر القنا والرأي والعقد والحــلُّ

فهذا القائد البطل المغوار يجمع بين اللهو والصَّرامة ، ففي يوم الكريهة يكون ذا عزة ومنعة وعُدة وقوة حيث يُقْدِم ولا يهاب ولا يذل ، كما أنه ذو رزانة وحلم عندما تَخِفُّ أحلام الرجال ويملكهم الذعر والفزع في النوازل والأهوال ؛ لأنه متمرس على الحرب وأهوالها ، صبورٌ على شدائدها وويلاتها ، وهو بصبره وحلمه أهل للنصر والتمكين ، حتى إذا أظلمت أهوال الحرب في وجوه الخائفين واختفت نجوم شجاعتهم ، فإن هذا الفتى يستضيء في ظلمة الحرب بهلال قوسه ونجوم نَبْله ، فهو فارس محارب شديد البأس ، يقتحم الظلماء ويصول الهيجاء معتمدا على عُدته وسلاحه ، لايبالي المخاطر والمخاوف، ولايكترث بالأهوال والشدائد ، وهو مع ذلك سيِّدٌ مطاع في قومه ، راجح العقل ، سديد الرأي، يتصرف في الأمور العامة بحذق وبصيرة ، ويسوس الناس بحكمة ولباقة ، ولهذا يرجعون في مشكلاتهم إليه ، ويعتمدون في المهمات عليه(٢).

---

١. السابق . ٣/٧٧-٧٩ .

٢. السابق ، ٣/٧٧-٧٩ . هامش ٧-٨-٩-١٠ .

فصفة الصبر وما يتعلق بها والتي يجب أن يتحلى بها المحارب الفارس ، فقد اتفق كلٌّ من الشاعرين على أنها من الأمور التي تنقذ الشجاع في الأزمات التي تعتري الأبطال في ساحة القتال ، حيث يرى أبو فراس أن الصبر في المعركة إلى آخر لحظة من حياة المحارب أرجى وأحزم من أن يفر بنفسه طلبا للحياة ، كما يشترك مع البارودي في إضافة صفة الصبر إلى قوة اللسان وفصاحتها ، وأن يكون وقورا حليما ذا حكمة يُرجع إليه في حالة الكرب والشدة ، كما نجد أن المعاني التي عبَّر بها البارودي في الأبيات التي ذكرتها عندما تناول صفة الصبر وما يتعلق بها من صفات أخرى مستوحاة من أبيات أبي فراس ومطابقة لها ، فأبو فراس يُفَصِّلُ هذه الصفات في بيتين هما :

صبور ولو لم تبق مني بقيـــة قؤولٌ ولو أنَّ السيوف جوابُ
وقورٌ وأحداث الزمان تنوشني وللموت حولي جيئة وذهابُ

والبارودي يستعيرها في بيت واحد مشابه لبيتي أبي فراس إن لم نقل كأنه هو :

وقور وأحلام الرجال خفيفة صبور ونار الحرب مِرْجَلُها يغلي

وهذا مما يؤكد أنَّ البارودي مقلد للقدماء ، وهذا التقليد "غطى عليه صدق إحساسه وقدرته على تصوير المرئيات واستخدام العين في نقل الصورة وتجسيمها حتى ليكاد يرسم لوحات لها" (١) . ومن صفات المحارب الفارس عند أبي فراس أن يكون قائدا لفرسان شجعان تمرسوا على الحرب وتعلموا من قائدهم ما يوصلهم إلى النصر والتمكين إذ يقول (٢) :

إذا التفت عليَّ سَرَاة قومي ولاقينا الفوارس في الصبـــاحِ
أقود بهم إلى الغمرات سعيا بنات السبق تحت بني الكفاحِ
تكدَّر نقعه والجو صـــافٍ وأظلم وقته واليومُ صـــــاحِ

فهذا القائد لمكانته وعلمه بأمور الحرب تجد الفرسان محيطين به من كل جانب ، وذلك لأخذ رأيه واستشارته لما يمتاز به مع تجارب حربية تجعل الفرسان ينهلون منها ليكونوا أهلا للحرب والقيادة ، كما أنهم يشفقون عليه من سهم طائش وسيف قاطع ، لذلك يقومن بحمايته والذود عنه ، فهو الذي يشق بهم

---

١. أمين،السيد:مجلة المجمع العلمي الهندي .(لمحةفي تاريخ الشعر منذ البارودي وحتى علي محمود طه). جمادى الآخر١٣٩٧هـ ،٢/٩٠.
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .تحقيق الدهان. ص ٦٤ .

غمرات الحرب ، ويجعل سماء المعركة متلبدة بالنقع الذي يحجب الرؤية من آثار جولانه بفرسه في أرض المعركة. كذلك قوله وصف جنده(١) :

ويوم تخال الرعد في جنبـــــاته لشدة أصوات القنا والهماهمِ
شفيت بعزمٍ صادق غيرِ كاذبِ ورمح رُدينيٍّ وأبيض صـــــارمِ
وفتيان صدق كالنجوم طوالــعٍ على شُزْبٍ جردٍ كرامٍ سواهمِ

فهؤلاء الفتيان الأبطال الذين بصحبهم الفارس في كل معركة ، ليسوا كأي أحد من الفتيان ، بل عندما تلمحهم وهم ممتطين الخيل المضمرة قد أقبلوا متنافسين أيهم يُلحق الهزيمة بالأعداء ، عندما ترى هؤلاء فكأنما هم نجوم مشرقة بأسيافهم ورماحهم ، لا تكاد تجد فُرجة في ساحة المعركة إلا ملؤها ، فكثرتهم بين الأعداء ككثرة النجوم في السماء ، قد استحكموا من الأعداء ، فمنهم الضارب بسيفه و منهم الرامي بسهمه الذي لا يخطئ هدفه ، كما يقول في هذا المعنى(٢) :

وفتيان صدق من غطارف"وائل" إذا قيل رَكْبُ الموت قالوا له انزِلِ
يسوسهم بالخير والشر ماجـــدٌ جَرورٌ لأذيال الخميس المذيَّـــــلِ
له بطش قاسٍ تحتِهُ قلبُ راحــمٍ ومنعُ بخيلٍ بعده بذل مُفْضِـــــلِ

فهؤلاء الجند من أشرف القوم وأسيادهم ومن معدن كريم أصيل ، لايهابون الموت ولا يذلون للأعداء، همهم النزال والقتال الذي يسري حبه في عروقهم ، قدوتهم وقائدهم بطل مغوار يتنقل بجيشه في كل مكان ، جبارٌ على أعدائه ، رحيم على أهله ، وخلانه كريم يجود بنفسه في سبيل المجد ويجود بماله في سبيل الخير . أما البارودي فإن له وصفا آخر لمن حوله من الجند إذ يقول (٣) :

ترى بها كالأسد نرصد غـــــارةً يطير بها فتقٌ من الصبح لامــحُ
مدافعنا نُصبُ العِدا ومُشاتُنـــا قيام تليها الصافنات القـــوارحُ
فلست ترى إلا كُماةً بواســـلا وجُردا تخوض الموت وهي ضوابحُ
نُغِيرُ على الأبطال والصبح باسم ونأوي إلى الأدغال والليل جـانحُ

---

١. السابق . ص ٣٨٣-٣٨٤ .
٢. السابق ، ص ٢٨٦ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ،١/١١٢-١١٣ .

هؤلاء الجند إذا رأيتهم حسبتهم الأُسد عندما ترصد الفريسة ، فهم يرقبون الأعداء بكل شغف حتى إذا انقضوا عليهم انقضوا كالأُسد الضارية بكل قسوة وشدة بأس ، تساعدهم الآلات الحربية المتطورة والأسلحة العظيمة ، فهم يُباغتون العدو في الصباح ليكونوا أولَ طعامهم ، وعندما يُظلم الليل يعودون للأدغال والغابات المظلمة كالأُسد ليستعدوا ليوم حافل بالنصر بالتضحيات . وعندما تراهم فإنك ترى فرسان تضيء المعركة بأسيافهم كما يقول البارودي (١):

من النفر الغرِّ الذين سيوفهـــم لها من حواشي كلِّ داجية فجرُ
إذا استلَّ منهم سيدٌ غَربَ سيفهِ تفرَّعتِ الأفلاك والتفت الدهرُ
لهم عُمُدٌ مرفوعةٌ ومـــعـــــاقلٌ وألـــويةٌ حـــمرٌ وأفنية خُضرُ (٢)

فهم قوم كرام شرفاء نابهين شجعان قد ألفوا الحرب ، وخاضوا غمارها ، فإذ حمي الوطيس ، وثار عَجاج المواقع ، كانت سيوفهم المتلألئة اللامعة في وسط هذا النقع المثار كأنها أضواء الفجر تشق حواشي الليل وجوانب ظلمته ، حتى إذا تأهبوا للقتال روَّعوا وأخافوا حتى الأجرام العلوية السماوية التي لا تفزع بطبعها ولا تخاف ، والتَفَتَ إليهم الدهر التفات ذعر وقلق واهتمام . وهذا من المبالغات الشعرية المستحسنة.كما أن لهم المكانة المرموقة والشأن العظيم عند قومهم وعشيرتهم ، حتى إن ألويتهم مصبوغة بدم الأعداءلشدة بأسهم ، وعندما تنظر في حال الرخاء فإنك تجدهم أهل جود وإكرام ومواطن متسعة قد اخضرت بالجود والخير (٣) . وفي موطن آخر نجد أن الفارس المحارب يهنئ نفسه بقيادته لهؤلاء الفرسان الذين بلغوا أعلى قمة الوصف وصاروا براهين يُحتذى بهم عند ذِكرِ الحرب ، فهم كما قال البارودي(٤) :

هنيئا لها نفسي على أنَّ دونهـــا فوارس لاخرس الصِّفـاح ولا عُزْلُ
من القوم ضَرَّبي العراقيبِ والطُّلى إذا استنَّت الغرات أوفغر المِحْـلُ
إذا نامت الأضغان عن وَتَرَاتهـا فقومي لاينام لهـــم ذحْـــــلُ
رجالٌ ألو بأسٍ ونـجـــــــدةٍ فقولهمُ قولٌ وفعلهـــمُ فِـــعـلُ

---

١. السابق ، ٢/٤٣-٤٤ .
٢. السابق ، ٢/٤٣-٤٤ .
٣. السابق ، ٢/٤٣ هامش ٣ .
٤. السابق ، ٣/ ٥١-٥٢ .

إذا غضبوا ردوا إلى الأفق شمسهُ وسال بِدُفَّاع القنا الحزن والسهلُ
مساعير حرب لا يخافون ذِلـــة ألا إنَّ تَهْيابَ الحروب هو الـذُّلُّ
إذا أطرقوا أبصرت بالقوم خيفة لإطراقهم أوبينوا رَكَدَ الحـــفـــلُ
أولئك قومي أي قوم وعُـــدةٍ فلا رَبْعُهم مَحْلٌ ولا ماؤُهُم ضحلُ (١)

فهذا القائد الفارس محاط بمحاربين أشداء أقوياء ، كُماة مدججين بأسلحة لها قعقعة وصليل ، لم تخرس الأسياف في أيديهم كما تخرس اللسان عن الكلام ، فكلامها تسمع صوته عندما تعانق الرؤوس ، والفارس عندما يفخر بهم ففخره ضمني بنفسه ، كما أنهم يحملون على الأعداء فيضربوا أعناقهم إذ اشتدت الغارات وحمي الوطيس ، ويكثرون عقر الإبل ونحرها لإطعام الجائع وإشباع المتأزم إذا أُقحط الناس وأُجدبوا ، كما ضرب العراقيب كناية عن تعقبهم لأعدائهم المنهزمين أمامهم ، وضرب الطُّلى : ضرب أعناق الإبل ، كما أنهم إذا همدت عداوات الناس وأهملوا الأخذ بثاراتهم فإنَّ هؤلاء القوم لايهدأ لهم بال ولا يستقر لهم قرار حتى يدركوا الثارات ، لأنهم جمعوا بين القوة والإنجاز ، وبين الفصاحة والسداد ، فغضبهم يلهب النار التي تحجب الأفق بدخانها ، ورماحهم تملأ حزون الأرض وسهولها فكأنها السيل العظيم المندفع المتموج(٢) .

فقومه لا يتهيبون الحرب في سبيل الدفاع عن الحق والشرف ، والمحافظة على العزة والكرامة بل يقدمون عليها ويوقدون نارها في حماسة وشجاعة وقوة وإقدام ، فإن النصر والظفر والغلبة لمن ركب الأهوال والأخطار، والهزيمة والذل لمن تهيَّبَ الحروب وأحجم عناها ، كما أنهم بلغوا من الإجلال والمهابة أنهم إذا أطرقوا خشي الناس عاقبة هذا الإطراق ، وإذا تكلموا سكن الناس واستمعوا لقولهم هيبة وإجلالا لهم ، فهم القوم الذين يُعتزُّ بصلتهم لما يملكونه من قوة وبأس في الحروب ورخاء وسعة في الرخاء.

---

١. السابق ، ٣/ ٥١-٥٢ .
٢. السابق ، هامش ص ٥١-٥٣ .

ومما سبق نجد أن الشاعرين قد تقاربا أيضا في وصفهما للجند الملتفين حول قائدهم الشجاع ، فأبو فراس يذكر أنهم من شدة حبهم لهذا الفارس وإعجابهم بقدراته الحربية البارعة تراهم ملتفين ومتحلقين حوله خوفا عليه من الأعداء وطاعة لأوامره ، لأن فقده فقد للنصر ، وكأنه يقول إن المحارب الفارس ليس محتاجا لهم بل هم الذين لا يمكنهم الاستغناء عنه في الحرب لحظة واحدة ، فهو معجب بذاته"ينطلق من الذات إلى العالم ، ومن الخاص إلى العام ، ومن الحس الداخلي إلى الحس الجماعي"(١) ، أما البارودي فيرى من خلال النصوص السابقة التي تصف الجند أنَّ فروسيته متعلقة بوجود هؤلاء الفرسان حوله ، فهو يعتز بهم ويدعو لوصلهم والقرب منهم بخلاف ما يراه أبو فراس ، هذا مما يختلف فيه الشاعران في رأي الباحث ، أما ما اتفقا عليه فوصفهم لبأس الجند وكأنهم أسود ضارية ترى بياض أسيافهم ولمعانها في ساحة المعركة وكأنها نجوم لامعة في السماء ، كذلك مما اتفقا عليه أن هؤلاء الجند قد جمعوا بين قوة البأس في ساحة الوغى وبين الكرم وبذل العطايا للمحتاجين والعاجزين ، والبارودي في هذه المعاني "يستعير من القدماء إطارهم الذي يقوم على قوة الأسلوب وجزالته ، ولكنه يملأ هذا الإطار بروحه وبشخصيته"(٢).

ومن الصفات التي يتصف بها المحارب الفارس صفة الشجاعة والإقدام حتى ولو تجرع مرارة الأسر والسجن فلا يزال ينشد ترانيم الفروسية والشجاعة ، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس(٣) :

أُسرت وما صحبي بِعُزلٍ لدى الوغى ولا فرسي مُهرٌ ولا ربُّهُ غِمـــرُ
ولكن إذا حمَّ القضاءُ على امـــرئٍ فليس له بَرٌ يَقيهِ ولا بحـــــرُ
وقال أصيحابي:"الفرار أوالـــــردى" فقلتُ:"هما أمران أحلاهما مُـــرُّ"
ولكنني أمضي لما لا يَعِبُـــــــــني وحسْبُك من أمرين خيرهما الأسرُ

فهذا البطل الشجاع يعلم علم يقين أن مردَّ الأمور إلى الله تعالى وأن ما يقع فيه المرء من مصائب فهي بقضاء وقدر من الله تعالى ، فعندما خيَّرهُ أصحابه بين الفرار أوالموت وذلك عندما أحاط بهم الأعداء ولم

---

١. سويلم،أحمد:مجلة الفيصل .(أبو فراس الحمداني وبطولة الشعر).العدد١٩٠.ربيع الثاني١٤١٣هـ.ص٥٣ .
٢. ضيف،شوقي:الأدب العربي المعاصر في مصر . ص٨٨-٨٩ .
٣. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .تحقيق الدهان، ص ٢١٣ .

يكن هناك مفر ، وأخبروه أنه هالك لا محالة وأن الفرار مدعاة لإنقاذ النفس وطلب الحياة لها ، لكنه قال لهؤلاء الجبناء بأنَّ الفرار حلو عندكم لكنه صعب في قرارة نفسي ، فهو يرى أنَّ خيرا من الفرار- الذي يُعدُّ عارا على الفتى - الأسر الذي يحفظ للمرء كرامته فإذ قتل مات شريفا شهيدا ، وهو يستخدم لفظ (أصيحابي) تقليلا لعددهم وأنه عندما يمضي للقتال فإنه يمضي إليه بأعداد قليلة لما يرى في نفسه من القدرة القتالية والتحمل الذي يُعينه على أداء مهمته ، وقد علَّق الدكتور زكي مبارك على هذه اللفظة بقوله"وما رأيت كلمة صُغِّرت بحقٍ كما صُغِّرت في هذا الموطن كلمة(أُصَيْحَابِي) فإن لم يكن الوزن هو الذي قضى بذلك فأبو فراس إذن أبصر الشعراء بصيغ الكلام(١) . كما أنَّ هذا الفارس الشجاع عندما أسره الأعداء فلم يأسروه كباقي الفتيان بل أكرموه ولم ينزعوا سلاحه لما رأوا فيه علامات الشجاعة والقوة ، لكنه لا يأبه بقولهم لأنه يرتدي ثيابا لطخت بدمائهم ، ويحمل سيفا تعطل حدُّه من كثرة ضرب رؤوسهم ، ورمحا تحطم من كثرة رميه به إياهم كما يقول أبو فراس في هذا المعنى (٢) :

يمنون أن خلوا ثيابي وإنمـــــا عليَّ ثيابٌ من دمائهم حمـــــرُ
وقائم سيفي فيهم اندَقَ نصلُهُ وأعقاب رمحي فيهم حُطَمً الصدرُ

ثم إنَّ هذا المحارب الفارس الأسير قوي الشكيمة لا تضعف عزيمته ولا تنهار قواه ولا تنقص مكانته في ظلِّ هذا الأسر، بل يُذكِّر قومه بأمجاده التي نُسيت مع مضي الأيام وتصرُّم الأعوام ، يُذكرهم بعدما تقاعسوا عن بذل الأسباب في فكاكه من الأسر وما ناله منهم من أذىً بالقول والوشاية ، وما علموا أنَّ إطلاق سراحه من الأمور التي تجعل هذا البطل أسيرا لهم في خوض المعارك ونيل الانتصارات ، وفي هذا يقول أبو فراس(٣) :

تمنَّيتمُ أنْ تَفقِدوني وإنمـــــــــا تمنيتمُ أنْ تُفقدوا العِزَّ أَصيـــــدا
أَمَا أنا أعلى من تعُدُّون هِمَّـــــةً وإنْ كُنتُ أدنى مَنْ تَعُدُّون مولدا
إلى الله أشكوا عُصبة من عشيرتي يُسِيئون لي القول غيبا ومَشهَـــدا

---

١. مبارك،زكي:الموازنة بين الشعراء.ص ٢٩٠ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .تحقيق الدهان. ص ٢١٣ .
٣. السابق . ص ٨٥-٨٦ .

إن حاربوا كنتُ المِجنَّ أمامهـــم وإن ضاربوا كنتُ المهندا واليـــدا
وإن ناب خطبٌ أوألمت مُلمَّـــةٌ جعلتُ لهم نفسي وما ملكتْ فِدا
يودون أن لا يبصروني سفاهـــة ولو غبت عن أمرٍ تركتهمُ سُـــدا(١)

فهو يعلم في قرارة نفسه أنَّ فقده ثلمة في قبيلته لا يسُدُّها أحد غيره ، ثم يتوجه بشكواه إلى الله لعلمه أنَّ أحدا لا ينصره إلا الله ، وهذا دليل على أن هذا الفارس بلغ مرحلة من الهم والألم التي لا حدَّ لها مما جعله يلوذ بركن شديد ، ثم بدأ يؤكد لهم بطولاته لعلهم يرجعون إلى رشدهم ويُخلصوه من الأسر ، فكيف لا يهتموا بأمره وما كان لهم إلا ترسا مانعا وسيفا قاطعا للأعداء ويدا كريمة بالبذل والعطاء للمحتاجين والفقراء، وهنا نلحظ أن صفات القوة والمنعة والذَّبِّ عن القبيلة ومواجهة الأعداء والسخاء والكرم للمحتاجين كلُّ ذلك وغير من الصفات التي لا تكاد تفارق أبا فراس عند وصفه للفارس المحارب ، مما يؤكد لنا عُلوَّ قدر هذا الفارس الشجاع ومنزلته الرفيعة في قومه ، فهو سيدٌ من سادتها وبطل من أبطالها ، كما أنَّ الشاعر قد بدأ قوله بالتمني وكأنه يقول لقد تمنيتم المستحيل ، فسأعود لمجدي وعزي وستعلمون أنَّ فقدي من الأمور التي تذهب بكلمتكم وتجعلكم حيارى لا دليل لكم ، فقد بلغوا من حسدهم له أن لا يروه بأعينهم وخصَّ النظر عن سائر الحواس لأنها أقرب لليقين من الشك ، فرؤيتهم له تمحي الشك في نفوسهم وتجلب لهم العداوة .

أما البارودي فيذكر من صفات الفارس المحارب الذي اختطفته أيدي النفي والغربة ، وصار أسير الهم والنوى ، لا يجد خليلا يؤنسه ولا صديقا يبث إليه شكوى ، إلا سيفا يقاسمه الهم ويواسيه في هذه الملمة الحالكة حيث يقول(٢) :

أدور بعيني لاأرى وجه صاحب يَرِيعُ لصوتي أويرِقُّ لما أبدي

ثم يقول بعد ذلك :

ولا صاحب غير الحسام منوطـــةٌ حمائله منِّي على عاتقٍ صَلـــــــدِ
إذا حـــــرَّكَتْهُ راحـــــتي لملمـــةٍ تطلَّعَ نحوي يشرئبُّ من الغمـــــدِ
أشدُّ مَضَاء من فؤادي على العِدا وأبطأ في نصري على الشوق مِنْ"فِنْدِ"

---

١. السابق . ص ٨٥-٨٦ .

٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١/ ٢٠٨-٢٠٩ .

أقول له والجفن يكسو نِجـــــاده دُموعا كمُرْفضِّ الجُمان من العِقدِ
لقد كنت لي عونا على الدهر مَرَّةً فمالي أراك اليوم منثلمِ الحـــــدِّ (١)

فهذا الفارس قد تخلى عنه الأهل والخلان وأصبح فريدا خلف القضبان ، يرعى النجوم ويُكابد الليل ويبكى الفراق ، إلا أنَّ نفسه الأبية وعزيمته القوية تسليه بذكر تلك الأيام التي كان سيفه لا يفارقه فيها ولا يسلو عنه ، فهو يرقب الملمات وكأنه متلهف لها ، يتطلع أوقاتها ، وينتظر سعيرها ،حتى ينتفض من يد الفارس ليستقر في رؤوس الأعداء ، فهو على أعدائه صارم سهل المنال ، لكنه صعب منثلم الحدِّ عندما يستنجد به على حُرقة الشوق وألم الفراق ، ويمضي هذا الفرس في تعداد مناقبه ليجعل من ذلك تسلية لنفسه وعزاء مما خلفه له المكث في ذلك المنفى حيث يقول(٢) :

وإني لمقدام على الهول والــردى بنفسي وفي الإقدام بالنفس ما يُرِدِي
وإني لقوالٌ إذا التبس الهـــدى وجارت حُلومُ القوم عن سَنَن القصدِ
فإن صُلتُ فدَّاني الكميُّ بنفسه وإن قُلتُ لبَّاني الوليد من المـــهــدِ

إذا كانت النفس الأبية لا ترضى بالردى إلا في ساحة المعركة ، فلقد كنت ذلك البطل المغوار الذي يرى الإقدام من صفات الشجعان ، فلا يرضى أن يموت في ذلٍ و هوان ؛ لأنه مقدام يتقدم الجيوش والفرسان ولا تثنيه المخاطر والأهوال ، ومع كونه مِقدام في المعركة فلكم كان مقداما في الفصاحة والبيان!لأنه"إن حارب كان ذا سطوة وصولة وبأس ، وفداه الكماة بأنفسهم ، وإن خطب كان بليغا فصيحا مؤثرا ، حتى ليكاد الطفل يلبيه من مهده"(٣). ومما سبق يتضح لنا صورة المحارب الفارس في الأسر والمنفى ، فقد صوره أبو فراس في حالة تبين أنه سيدٌ في قومه ، فهم يقرون له بالشجاعة والقيادة الحربية ويعلمون علم يقين أنه فارس لا يجارى ، وأنَّ الأعداء أنفسهم يعترفون بفروسيته فهم لم يجردوه عند أسره من سلاحه لما له من مكانة تقذف الرعب في نفوس الأعداء ، وكذلك نجد أن البارودي يشترك مع أبي فراس في هذا الوصف إلا أن

---

١. السابق ، ١/ ٢٠٨-٢٠٩ .
٢. السابق ، ١/٢١٣ .
٣. السابق ، ص ٢١٣ . هامش ٣ .

البارودي في وصفه لهذا البطل يبين أنه قد يئِس من أصحابه الذين تنكروا له بعد أنْ زُجَّ به في غيابة السجن، فما كان منه إلا أنْ يخاطب سيفه ويناجيه و يُذكِّره بأمجاده التي خلدها التأريخ ، بعكس وصف أبي فراس للمحارب الفارس الأسير لدى الأعداء ، إذ نجد أنَّ ثقته بقومه وأهله لم تتصرم حبالها ، بل كان عزيزا بهم يرقب نجدتهم وينتظر فرجهم ، وكل هذه الآلام والأشجان التي أضرم نارها الأسر والمنفى ما هي إلا رسائل تبعثها النفس لتكسر لوعة اليأس والغربة والفراق ؛ لأن بطولة الشاعر في هذه الحالة"بطولة نفسية أكثر مما هي بطولة مادية ، فهو يتحدث بما يجري في نفسه من تنازع بين البطولة والهوان ، ويحاول دائما أن يؤكد أنه إذا أهين وذلَّ فذانك الهوان والذل هما خارجيان لا يؤثران على ما في نفسه من بطولة داخلية تأبى الاستسلام والخنوع"(١) .كما جمع الشاعران في وصفهما للمحارب الفارس بين حبه للحرب وحُبه للمرأة ، وأن هذا الأمر لا يتنافى مع شجاعته وسيادته عند قومه ، فأبو فراس البطل الفارس الذي بذل حياته في خوض المعارك وبكى على أيام لم يحالفه الحظ لخوض غمارها كما يقول(٢) :

لا يحرمني سيف الدين صحبتَهُ فهي الحياة التي تحيا بها النَّسمُ
وما اعترضت عليه في أوامــره لكن سألت ومِنْ عاداتِهِ نَعَـمُ

هذا المحارب الفارس مع شغفه بالحرب التي يرى أنَّ حياته منوطة بحياتها ، فحياته في خوضها ومماته في التخلف عنها ، مع هذا كله نجد أنَّ تعامله تجاه المرأة تعامل يرقى كَرُقِيِّ أخلاقه ويسمو كَسُمُوِّ أفعاله ، فعندما يشتبك الفرسان في المعركة و يُهزم العدو وتُستحيى النساء و تُجمع الغنائم ؛ في هذه الحالة يكون لهذا الفارس تعامل آخر مع هؤلاء السبايا يتضح لنا في الأبيات التالية : (٣)

ويا رُبَّ دارٍ لم تَخَفني منيعــــةٌ طلعتُ عليها بالردى أنا والفجرُ
وحيٍّ رددت الخيل حتى ملكتُهُ هزيما وردَّتني البراقع والخُمـــــــرُ

---

١. عتيق،عبدالعزيز:في النقد الأدبي.ط١٣٩١/٢هـ . ص ٢٧٩ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .تحقيق الدهان . ص٣٥٩ .
٣. السابق . ص ٢١٢ .

وساحبةِ الأذيال نحوي لقيتُهـا فلم يلقها جهم اللقاء ولا وعــرُ
وهبت لها ما حازه الجيش كلَّهُ ورُحتُ ولم يُكشف لأثوابها سترُ (١)

يقول: فهؤلاء الأسيرات اللواتي تمكنتُ من أسرهنَّ لم يُصبنَ بسوء بعدما تمكن الجيش من إنزال الهزيمة بالأعداء، فقد رددتُ لأهلهنَّ كلَّ ما أُخذ منهنَّ و لم يمسهنَّ مكروه لا بالقول ولا بالفعل ؛ لأن هذا الفارس عفيف النفس نزيه المبدأ يترفع عن سفساف الأمور ويربأ بنفسه أنْ تُنال كرامته ، فَهَمُّهُ النيل من الأعداء المعتدين ، أما المرأة فإنَّ تعامله تجاهها في ساحة المعركة والتحام الصفوف وموت الأبطال لا يجعله يمارس العدوان ضدها ، بل يملك كُلّ قواه و يعاملها بلطف وإنسانية ، وهذا إنْ دلَّ فإنما يدل على سمو أخلاقه وكرم خلاله .كما أنَّ هذا الفارس عندما يزور صاحبته التي يهيم بحبها ويطرب لذكرها ، فإنه يأتيها وهو متوجه لساحة المعركة قد توشح سيفه ولبس لامته واستعد للقتال ، وعند حصول اللقاء فإنَّ العفة وسلامة الضمير وطهارة النفس هي المحيطة بهذا الوصال الذي يَظُنُّ الناس به سوء عندما يُقْدِمُ عليه(٢) :

وكم ليلة خضتُ الأسنة نحوها وما هدأت عين ولا نام سامــرُ
يصاحبني فضفاضتان وصــارمٌ وقلبٌ على خوض الحُتوفِ مؤازرُ
فلما خلونا يعلم الله وحــــده لقد كرُمت نجوى وعفَّتْ سرائــرُ
وبت يظن الناس في ظُنُونهــم وثوبي مما يرجم الناس طاهــــرُ (٣)

فهو لايزورها إلا في ليلة الحرب ليجمع بين حبه للحرب وحُبه لصاحبته ، فانشغاله بالحرب يجعل الزيارة ضيقة المجال ، وعفة النفس وطهارتها تذكره بسيادته وقيادته للأبطال الذين يرون فيه صفات المروءةوالكمال ، فيُغلِّبُ لقاء العدو على لقاء الحبيب ، وهذه سمة لا يمتطيها إلا السُّراة الأبطال . ولا يزال أبو فراس يؤكد أنَّ من صفات الفارس الذي حمل مسؤولية الحرب على عاتقة أن يكون ذا عفة أمام النساء بل ويَعُدُها مفخرة

---

١. السابق . ص ٢١٢ .
٢. السابق . ص١٠٥ .
٣. السابق . ص١٠٥ .

يفتخر بها أمام الناس ، جاء ذلك في أكثر من بيت أذكر منها قوله(١) :

ويا عفتي مالي ومالك كلمـــــــا هممتُ بأمر هَمَّ لي منك زاجرُ
كأن الحِجا والصَّون والعقل والتقى لديَّ وربات الخدور ضـــــرائرُ
وهُنَّ وإنْ جانَبَتْ ما يشتهينـــــهُ حَبَائِبُ عندي مُنْذُ كُنَّ أَثـــائِرُ

فمما وصل إليه هذا الفارس من العفة أنْ صارت العفة تتضجر من شدة وَرَعِهِ وتعففه عن الوقوع فيما يضر بإيمانه ويخل بشرفه ومكانته ، لأن العقل ورجاحته والعفة والتقوى هم الموروث الذي ورثه عن أبائه وأجداده، وكأنه يقول إنَّ أسلافه قد تأصلت فيهم العفة حتى لكأنها ميراث يتوارثه الأجيال من بعدهم . ولما اتصف به هذا المحارب الفارس من نزاهة وعفة تجاه المرأة ، فلقد أضحت النساء يطلبنه ويتعلقن به ، لما يرين فيه من صفات المروءة والرجولة التي تؤهله لتنافس النساء في طلب الزواج منه ، حتى إن أثر السهم الذي أصاب وجنته ليعد علامة فارقة تدعو النساء للإعجاب به . وفي هذا يقول أبو فراس :(٢)

ما أنس قولتَهُنَّ يوم لقينني أزرى السنان بوجه هذا البائسِ
قالت لهنَّ وأنكرت ما قُلنهُ أجميعكنَّ على هواه منافســـي
إني ليعجبني إذا عاينتـــــهُ أثرُ السنانِ بِصحنِ خدِّ الفارسِ

وهؤلاء النسوة من الأدلة الشاهدة على بطولة الفارس وشجاعة في المعركة ، حيث تجدهنَّ معه في طلب الزواج منه والإعجاب بفروسيته والشهادة على بطولاته وحروبه التي كان النصر حليفه فيها ، فالمرأة في نظر الفارس تُعدُّ من الوسائل التي تنقل الحقيقة للناس ، لكونها أم وأخت وزوجة ومربية للأجيال الذين تُرضعهم ثقافة البطولة وشخصياتها منذ صغرهم ، وعندما يعود الفارس من المعركة يقابلنه بالأهازيج والأدعية التي تُعلي

---

١. السابق . ص ١٠٥ .
٢. السابق . ص ٢٣٢ .

من شأنه ، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس : (١)

وعُدْتُ أَجُرُّ رمحي عن مقامٍ تُحَدِّثُ عنه رباتُ الحجـــالِ
فقائلةٍ تقول:أبـــا فـــراس أُعِيذ عُلاك من عين الكمالِ
وقائلة تقول:جُزيت خـــيرا لقد حاميت عن حرم المعالي

أما البارودي فيرى أن الفارس الذي عاش حياته في نضال وكفاح ، وتجرع غصص آلام الحرب ، وذلت له الفرسان ، فإنَّ نفسه ضعيفة في مجال الهوى والحب ، تخضع لأوامره وتلبي حوائجه ، فهذا المحارب الفارس تغرق فروسيته وشجاعته في بحر الحبَّ ، الذي يجعله ينادي من حوله من الفرسان لإنقاذه، وفي الوقت نفسه يُشبِّهُ نفسهُ بالأسير الذي يتوسل لأحدٍ أن تفتديه .وفي هذا المعنى يقول البارودي : (٢)

فيا صاحبي هل من فكاك لواقـــعٍ بأسر الهوى أومن نجاة لهـــــائبِ
خضعتُ لأحكام الهوى بعد عِـــزةٍ وما كنت لولا الحُبُّ طوع الجواذبِ
وإنا أناسٌ لا تهاب نُفُوسُنـــــــا لقاء الأعادي أوقِراع الكتائـــــبِ
نردُّ على الأعقاب كلَّ ســـــريةٍ ونَعجِزُ عن نيل العيون الصوائـــبِ
فلو كان هذا الحُبُّ شخصا محاربا لأوْجَرْتُهُ فَوْهَاءَ ريَّا الجوانـــــــــبِ
ولكنه الخصم الذي خضعتْ لـــهُ رِقاُ أُناسٍ أَخضعوا كُلَّ غالـــــــبِ

فهذا الفارس المغوار يجد نفسه أسيرةً في الحُبِّ الذي يجعلها تذلُّ عند بابه بعدما كانت عزيزة أمام الأعداء ، لاتهاب الموت ولا تولي يوم الزحف ، فلو كان الحُبُّ شخصا لنال جزاءه ضربا بالسيف ورميا بالرمح ، لكنه خصم غلب بقوته كلَّ فارس جبار . فالهوى يُورد الهلاك فمن لم ينج من الردى في ساحة المعركة قد لا ينجُ من هلاك الهوى ؛ لأن الردى ملازم للهوى كما يقول البارودي في ذلك (٣):

فإياك أنْ تغترَّ يا صاحِ بالهوى فإنَّ الردى حِلفُ الهوى وعَقِيْدُهُ

---

١. السابق . ص ٢٨٤ .
٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ،٦١/١ .
٣. السابق ،١/ ١٨٠ .

وما أنا ممن يرهبُ الموتَ إنْ سطا إذا لم تكن نُجلُ العُيُونِ شُـهـوُدُهُ
أَفُلُّ أَنابِيبَ القَنا ويَفُلُّـــــني قَوَامٌ تَندَّتْ بالـعـبـيـر بُـــرُودُهُ
فإنْ أنا سالمتُ الهوى فلطالمـــا شهدتُ الوغى والطَّعنُ يَذكو وَقُودُهُ (١)

فهو ليس ممن يخافون صولة الموت وبأسه إلا أنْ يكون الهوى سببا في قتله ، ففي هذا الحالة يعتريه الخوف ، لأنه يُفقده التمتع بملذاته ، فصورة المحبوبة ذات العين الجميلة والحسناء قد تفتك به لحظة نظره إليها ،لأنَّه كما أسلفنا يفقد شجاعته الحربية أمام الحُبِّ والهوى ويصبح أسيرا له ، فهو في ساحة الوغى شجاع مقدام ، وفي مجال الهوى مستسلم مغلوب على أمره ، فنفسه هالكة بين تسلط الهوى عليها وأسرِهِ لها وبين خوضه المعارك و تمكن الأعداء منه(٢) . ويؤكد الشاعر على أن البطل مهما بلغ من قوة وشجاعة وإباء فإنَّ سهام الحُبِّ نافذة إليه ، لايستطيع ردها عن نفسه ولا مقاومتها ، فهي تأسرُ القلب وتقضي عليه ، ولولا غلبة الهوى عليه لما أغضى له طرفا ولا صبر على ألمه (٣) :

ما كنت أعلم قبل حُبِّكَ أنـــــني أغضي على مضض الهوان وأصبرُ
أوردتني بِلِحاظِ عيْنِكِ مـــــوردا للحُبِّ ما للقلب عنه مصْدَرُ
هي نظرة كانت ذريعةَ صبـــــوةٍ واللَّحظُ أَضعفُ مايكونُ وأقدرُ
ما كنتُ أعلم قبل وحي جُفُونهـا أنَّ العيون الجُؤْذرِيَّةَ تَسْحَـــــرُ
ظلموا الأسنة خاطِئين وليتَهـــم علموا بما صنع السنان الأحـورُ
أمطاعن الفرسان في حَمَسِ الوغى أقصر فرُمحُك عن غريمك أقصرُ

فمع ضعف لحاظ العين إلا أنها تورد القلب موارد الهوى والحُبِّ ، فقد أضحى قتل أسنة الهوى النابعة من نظر المحبوبة الحوراء كقتل أسنة الحرب في المعركة ؛ بل إنَّ قتلها للمرء أقوى ، فأنت أيها الفارس الشجاع إنْ كنت شهما صنديدا فارم الهوى بسهمك لأن رمي الفرسان أمر لا يصعب عليك فعله .

---

١. السابق ،١/ ١٨٠ .
٢. السابق ، ١/١٨٠.هامش ٤،٥ .
٣. السابق ، ٢/٦٦-٦٧ .

ومما سبق يتضح لنا أنَّ أبا فراس جعل من غزله المقترن بفروسيته نافذة تدلنا على رُقي أخلاقه وسمو خلاله ، فالمرأة لها مكانة عنده لا يؤذيها عندما تكون أسيرة ولا يشغل نفسه بالخوض في غمار الحُّب والهوى في حاله الرخاء ؛ لأنَّ همته العالية وقيادته الحربية وسعيه الحثيث في نيل الانتصارات يُحتم عليه أن لا يقف طويلا عند باب الهوى ، فالعفاف تَضجَّرَ من شدة ورعه ، والنساء يتسابقن أيهنَّ تقترن بهذا الفارس لتحظى بشرف شجاعته وفروسيته ، كما أنَّهنَّ يُقمن الأعياد والأفراح عندما يعود من غزوه استبشارا بقدومه وما حققه من انتصارات ، كل هذه الأمور تجعل أبا فراس يتعالى بنفسه ويرى أنَّ مكانته لا تسمح له بقضاء وقته في الحُبِّ والهوى ، إلا أنه يؤمن بأن الهوى من الأمور التي لا يتغلب عليها الفارس ولا يجد مجالا للفرار منها ، لذلك جاء غزله المقترن بفروسيته "قصير النَّفس لا يكاد يتجاوز ما أنشأه للغزل قصدا البيتين والثلاثة غالبا مكتفيا بذلك التعبير عما ألمَّ به من انفعال سريع"(١) . والبارودي يتفق مع أبي فراس في أن الهوى أمر لا بدَّ منه ولا يستطيع أحد أنْ يتغلَّب عليه ، وقد شبه البارودي نفسه بالأسير الذي أسره الهوى وهو بذلك يدلنا على رقة طبعه وميله للهوى وبحثه عمن يهوى ، فيختلف في الهوى عن أبي فراس الذي يتعالى فيه بنفسه حتى جعل النساء يطلبنه لا يطلبهنَّ ، كما تمنى البارودي لو كان هذا الهوى شخصا لبارزه بالسيف ليجتثه من أصله إلا أنه سهم لا بد أن يستقر في الفؤاد ، ومع حُبِّ البارودي الذي لمسنا فيه الرقة وعذوبة الألفاظ المتناسبة مع ذكر المحبوبة والمقترنة بشجاعته وقيادته للمعارك ؛ نجد أنه يؤكد لنا من هي محبوبة التي تستحق العشق و الهيام حيث يرى"أن الحرب والفروسية هما محبوبته التي يحنُّ إليها في واقعه الراهن ، حيث يشهد إحباطه وضعفه وغربته ، ولذلك تختار عاطفة البارودي-في هذا الموقف- الألفاظ الموحية بالقوة ، كأنها تنكص به من حالة الضعف و الإحباط على ضدها ، وتتعمق نفسه - حينئذ - مظاهر القوة في الحرب ، من طعن أعدائه بالسيوف القاطعة ، وضربهم بالسلاح الحاد والرماح النافذة في صدورهم وأعناقهم"(٢) .

---

١. بدوي،أحمد:شاعر بني حمدان . ص ٧٩ .

٢. أبو العز،طلعت عبدالعزيز:مجلة كلية الآداب بسوهاج.جامعة أسيوط بمصر.(الفروسية والحرب في شعر البارودي).العدد الخامس عشر. عام ١٩٩٤م . ص ١٩ .

المبحث الثالث :

تصوير أحداث المعركة في شعر الشاعرين و الموازنة بينهما .

ثالثا : تصوير أحداث المعركة في شعر الشاعرين و الموازنة بينهما .

مما لا شك فيه أنَّ وصف المعارك سِجِلٌّ حافل بأحداثها ، ووصف الشاعر لها من الوسائل المؤيدة لبطولته وشجاعته ، وقد كان لشعر الشاعرين نصيبٌ في وصفهما للمعارك التي خاضها كل منهما ، فأبو فراس خاض معارك شتى مع العرب والروم مما جعله يرصد الوقائع التي دارت بينه وبين أعدائه ويشرح تفاصيلها ، بل"افتخر بقومه وأشاد بانتصاراتهم على الروم والعرب جميعا"(١) ، كما حفل شعر البارودي بوصف المعارك التي خاضها مع الروس وغيرهم ، وقد ذكر الدكتور زكي مبارك" أنَّ حائية البارودي في وصف الحرب الروسية لو ترجمت اليوم ووزعت على جنود الروس والألمان لرأوها من الأعاجيب"(٢) إلى أنْ قال:"فهذه الحائية من عيون الشعر العربي ، ولو سمعها أبو فراس لسجد لها سجود الإعجاب ، فما عرفت اللغة من الشعراء الفرسان أفحل من البارودي وأبي فراس"(٣) .

أولا / وصف المعركة في شعر أبي فراس :

لقد تميز وصف أبي فراس للمعارك التي خاضها بالقلة والإشادة المختصرة "فلم يكن أبو فراس يسجل في قصائد خاصة معارك سيف الدولة ، بأن ينشئ القصيدة عقب المعركة الكبيرة يتحدث عنها"(٤) ، بل كان يكتفي"بعرض صورة ما اختزنته ذاكرته دون أنْ يُطعَّم ذلك بالخيال إلا في القليل"(٥) ، فمع قيادته للحرب وانتصاراته الرائعة"سَجَّلَ هذه الحرب في شعره لكنه لم يصف دقة المعارك ، والتحام الجيشين ، واكتفى بذكر

---

١. الديب،السيد محمد:شعر الحماسة في العصر العباسي الثاني. مطبعة السعادة . ط١/١٤٠١هـ . ص ١٤٠ .
٢. مبارك،زكي:مجلة الرسالة .ديوان البارودي.دار الرسالة بشارع السلطان حسين . القاهرة . عدد ٤٣٨. ٢٨شوال١٣٦٠هـ .ص ١٤٢١.
٣. السابق . ص ١٤٢١ .
٤. بدوي،أحمد:شاعر بني حمدان . ص ١٥٤ .
٥. السابق . ص ١٥٤ .

النصر على الأعداء ، أوتمجيد بطولته وبطولة ابن عمه ، ولم يُسجِّل وصفا دقيقا لهذه المعارك ، ويَظهر أنَّ فرحته بالنصر جعلته ينسى دقائق الحرب"(١) أو أنَّ وجوده في المعركة حجب ذلك الوصف . فالمعركة في رأي أبي فراس لا يشتعل فتيلها إلا بعد مجاوزة الأعداء الحدَّ في الظلم والاعتداء ، وفي هذا يقول أبو فراس (٢) :

ولما أنْ طغت سفهاء كعب فتحنا بيننا للحرب بابـــا
منحناها الحرائب غير أنَّـــا إذا جارت منحناها الحِرابا

فلا يُفتح باب الحرب الذي تُغلقه العُهود والمواثيق إلا بمفتاح الظلم وتجاوز الحد ونقض العُهود والمواثيق ، فعندما يفي الأعداء بالعُهود فإنَّ العطاء المبذول لهم هي الأموال والأرزاق التي يُكرمون بها ، لكن عندما ينكث الأعداء العهود والمواثيق فإنَّ العطايا والهبات المقدمة إليهم هي الحِراب والسيوف التي تقضي عليهم وتكسر شوكتهم ، ويشبه الشاعر استحقاق الأعداء للقتال بالمِنَحِ و العطاء (٣) الذي يبذل في حالة الجود والكرم . وعندما يتأهب الفارس للمعركة فإنَّ جيشه ليس كأي جيش كما يقول أبو فراس (٤) :

علونا جوشنا بأشدَّ منـــــه وأثبتَ عند مشتجر الرماحِ
بجيش جاش بالفرسان حتى ظننتَ البرَّ بحرا من سلاحِ

فالشاعر يشبه الجيش بصورة رائعة ، فأسلحته بحر لا نظير له ، وأمواجه المتلاطمة هم الفرسان الذين يملؤون كل ناحية من أرض المعركة ، وشبه السلاح بالبحر ؛ لأنه أساس المعركة فلا يستطيع الفارس أن يمخر عُباب المعركة من غير سلاح ، فحياته ونجاته لا تكون إلا به ، كما أنَّ هذا الجيش يمتاز بارتفاعه على جيش الأعداء ؛ لأن فرسانه ذوو قامات عالية ، وأجسام مُلئت قوة ونشاطا ، فهم كالموج يعلو في السماء ثم يطفو بكل ما يحمله من زَبَد ثم يلقيه على ساحل البحر حتى يصفو من الشوائب ؛ لأنَّ الماء إذا جاش

---

١. بسيسو،ماجد ولين:شعر أبي فراس الحمداني دراسة فنية. ص ١٧٦ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح أحمد الفاضل . دار الفكر اللبناني . بيروت . ط١/٢٠٠٣م . ص ١٥ .
٣. الرازي:مختار الصحاح ، ٦٤٢/١ .
٤. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .شرح أحمد الفاضل . ص ٥٣ .

ارتفع وإذا ارتفع طفا بما فيه فصفا (١) ، فهؤلاء الفرسان يطهرون أرض المعركة من شوائب الأعداء .أما أرض المعركة فأديمها الخيول التي تحمل الفرسان وسماؤها الغبار المغطي أجواءها بسبب ما أَرْهَجَتْهُ حوافر الخيل ، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس (٢) :

وأرض كنت أملؤها خيولا وجوٌّ كنتُ أُرهِجُهُ غُبارا

فسماء المعركة يغطيها الغبار الذي يشبه السحاب الرقيق (٣) . ثم يؤكد على أنَّ لون الجو صار كلون الغبار في قوله (٤) :

حملنا على الأعداء وسط ديارهم بضرب يُرى من وقعه الجو أغبرا

فالمعركة تدور رحاها وسط ديار الأعداء ، حيث يقتحمها الفرسان بخيولهم ، فيسلون عليهم السيوف وينالون منهم حتى الموت ، فلا ترى إلا سماء يغطيها الغبار ويحيط بها من كل جانب ؛ أو أنَّ من خاض غمارها لا يرى إلا سماء كالحة مغبرة من شدة هول المعركة ، بل إنَّ شدة بأسها جعلت الأبطال يهيمون في قتل الأعداء بكل ما أُوتوه من قوة ؛ حتى لكأنَّهم أصيبوا بالجنون في سبيل قتل أعدائهم ، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس (٥) :

ألا هل منكر يا بني نـزار مقامي يوم ذلك أومقـــالي
ألم أثبت لها والخيل فوضى بحيث تخِفّ أحلام الرجالِ
تركت ذوابل الممران فيهـــا مخضبةً محطمةَ الأعـــــالي

فالأبطال لا يملكون أنفسهم عند رؤيتهم للأعداء حتى يُمطرون عليهم الرماح فتصيب كل جزء من أجسادهم وتعود وقد صُبغت ولُطِّخت بدمائهم ، بل إن الأعداء عندما يلتقون مع هؤلاء الأبطال فليس

---

١. ابن سيده:المخصص ، ١٦٤/١ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .شرح أحمد الفاضل . ص ٩٩ .
٣. ابن سيده:المحكم و المحيط الأعظم ، ١٦٣/٤ .
٤. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .شرح أحمد الفاضل . ص ١٠٤ .
٥. السابق . ص ١٤٩ .

لديهم إلا الفرار أو الموت كما يقول أبو فراس (١) :

نُشرِّدهم ضربا كما شُرَّد القطا ونظِمُهُم طعنا كما نُظِم العِقدُ

فهؤلاء الأبطال لا يتركون مجالا لأعدائهم ولا سبيلا لينقذوا أنفسهم إلا وانقضوا عليهم بأسيافهم ، فيأخذونهم في غفلة من أمرهم حتى لكأنهم سربٌ من القطا(٢) قد أفزعته يقظة الصائد ، بل تجد أرض المعركة مليئة بالجثث التى اخترقتها الرماح وغُرست في ظهورها وصدورها فأشبهوا العِقد المنظوم ، فلا تجد ناحية من أرض المعركة إلا وفيها قتيل أو جريح ، قد حامت على جثثهم النسور وشَبعت من لحومهم الوحوش الضارية ، فكانوا مأدبة للهوام والسباع كما يقول أبو فراس (٣) :

وكلب غداة استعصموا بحبالهم رماهم بها شُعثا شوازبَ ضُمَّـــرا
فأشبع من أبطالهم كُلّ طائـــرٍ وذئب غدا يطوي البسيطة أعفرا

فقد ذاقت بنو كلب ذاقت القتل والتشريد على يد هؤلاء الأبطال الذين يمتطون تلك الخيول الضامرة التي اعتادت الحرب والنزال(٤) ، كما أنَّ هؤلاء الأبطال عندما يتوجهون إلى قبيلة من القبائل فإنَّ خطتهم في القضاء على أهلها أن يُحرقوها ويضرموا النار في نواحيها مع إحاطة الجيش بها كما يقول أبو فراس في وصفه لجيش عمه الحسين بن حمدان (٥) :

وسار إلى دار الخلافة عُنوة فحرقها والجيش بالدار دَائرُ
أذلَّ تميما بعد عزٍّ وطالمـــا أُذِلَّ بنا الباغي وعزَّ المجـاورُ

---

١. السابق . ص ٦٩ .
٢. والقطا واحدته (قطاة) و هو نوع من اليمام يُـؤْثِر الحياة في الصحراء ويطير جماعات ويقطع مسافات شاسعات .
انظر كتاب : البلاغة العربية أسسها وعلومها،لعبد الرحمن حسن الميداني . ص ١٩٥ .
٣. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .شرح أحمد الفاضل . ص ١٠٥ .
٤. وهم بنو كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن قضاعة بن عدنان ، وكانوا ينزلون في الجاهلية دومة الجند وتبوك وأطراف الشام .
انظر كتاب: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان،لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي . ص ١٣ .
٥. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس.شرح أحمد الفاضل.ص ٨٠ .

فدخول أرض الأعداء لا يكون إلا عُنوة "من غير عهد ولا عقد "(١) ، ويكون الجيش مُجهزا بالأسلحة والعتاد ، مدعما بالخيول الضامرة ، وقبل الاقتحام تُسْجَر النار حول القبيلة حتى لا يفر أحد منها ومن ثم تبادر القبيلة المقصودة بالاستسلام وإعلان الهزيمة . وعندما تلتهب المعركة فإنَّ الخطة الحربية المعدة لهزيمة الأعداء لابد أن ترتكز على ضرب الأعداء بالسيوف أورميهم بالرماح أوتشريدهم وأسر من تخلَّف منهم .

فضرب رؤوس الأعداء من الأولويات الهامة التي ينسب الشاعر نفسه إلى من عُرفوا بإجادتها ، كما في قول أبي فراس (٢) :

أنا ابن الضاربين الهام قِدما إذا كره المحامون الضِّرابا

كذلك من الأمور الهامة في المعركة والجالبة للنصر ؛ استخدام الرماح المساندة للسيوف كما في قوله(٣) :

سقينا بالرماح بني قشير ببطن العُثير السُّمَّ المذابا

وأيضا من ركائز المعركة تشريد الأعداء حتى تتفرق كلمتهم كما في قوله (٤) :

وشردنا إلى الجولان طيْئا وجنَّبْنا سماوتها جِنابا

وعندما يتمكن الأبطال من الأعداء فإنَّهم يشبهون الطيور الجارحة والوحوش الضارية عند انقضاضها على الفريسة كما يقول أبو فراس (٥) :

فلمَّا اشتدت الهيجاءُ كُنَّا أشدَّ مخالبا وأحدَّ نابا
وأمنع جانبا وأعز جـــارا وأوفى ذِمَّةً وأقل عابـا

---

١. البكري،أبوعبيدة عبد الله بن عبد العزيز:معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع.تحقيق مصطفى السقا.عالم الكتب.بيروت. ط٣/١٤٠٣هـ ، ١/٢٠٠ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس.شرح أحمد الفاضل.ص ١٨ .
٣. السابق.ص ١٦ .
٤. السابق.ص ١٧ .
٥. السابق.ص ١٦-١٧ .

كذلك نجد أن أبا فراس يحدد لنا الفترة الزمنية التي قضاها الجيش مع الأعداء ، فالمعارك تختلف باختلاف المكان والعتاد ؛ الذي يكون سببا في قِصَرِ أيام المعركة أوطولها ، فالبلاد القريبة من أرض الفارس لاتستغرق المعركة فيها إلا أياما قليلة ، بينما البلاد والأقاليم البعيدة التي تحتاج إلى سفر وارتحال لا شك في أنها تحتاج إلى فترة طويلة من الزمن ، وفي الأبيات الآتية يبن الشاعر الفترة الزمنية التي استغرقها جيشه من أجل الوصول إلى بلاد الروم وطلب مجد أبائه وأجداده حيث يقول (١) :

وجُبْنَ بلاد الروم ستين ليلـــة تُغاور ملك الروم فيمن تُغـــاورُ
تَخِرُّ لنا تلك المعاقل سُجَّـــدا وترمي لنا بالأهل تلك المطامِرُ
وما زال مِنا جارَ"خَرشَنَة"امرُؤٌ يُراوحها في غارةٍ و يُبـــاكـــرُ (٢)

فأبو فراس خبير ببلاد الروم عليم بمسالكها ودروبها و قد زارها أكثر من مرة غازيا ، وخرشنة تُعُدُ من ثُغور الروم التي ضجت من كثرة غزوات ابن عم الشاعر(٣) ، فقد "حارب الحمدانيون البيزنطيين نحوا من ستين عاما ، وافتخر بذلك أبو فراس تلقاء امبراطورهم حينما جلس لمنادمته"(٤) ، وقد كانت غاراتهم بالليل تارة وبالنهار تارة أخرى ، أو أنها في أي وقت كان من ليلٍ أونهار لأن الرَّواح والغُدوُّ يستعملان عند العرب في المسير في أي وقت كان من ليل أونهار(٥) ، وكأن الشاعر يصف لنا هذه المعركة التي لا تفتر لحظة واحدة فهي مستمرة حتى يتحقق النصر ، كما أنَّ طول مدة المعركة حَوَّلَ أرضها إلى بحر من الدماء التي تثعب من الأعداء كما يقول أبو فراس (٦) :

فلم ترَ إلا فالقا هَامَ فيلقٍ وبحرا له تحت العجاجة ماخِر

---

١. السابق.ص ٨٤-٨٥ .
٢. السابق . ص ٨٤-٨٥ .
٣. بسيو،ماجد ولين:شعر أبي فراس الحمداني . ص ١٧٨ .
٤. المحاسني،زكي:شعر الحرب في أدب العرب . ص ٢٦٤ .
٥. انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد الحموي ، ٣/٤ .
٦. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح أحمد الفاضل . ص ٨٢ .

أي بحرا من الدماء التي يشق الأرض تحت عجاج التراب ، فكأنَّ العجاج أمطر عليهم السيوف والرماح التي تسببت في سيلان الدماء ، بل مما زاد نزف الدماء وجعلها تسيل بغزارة ؛ شدة وطأة حوافر الخيول لجثث القتلى، كما يقول أبو فراس (١) :

وأوطأها بطن"اللُّقان"وظهره يطأن به القتلى خِفاف حوادرُ

فمن يسقط من الأعداء فإنَّ منيته تكون بسبب وطء الخيل التي تشبه في انطلاقها تلك الصخور المتحدرة من قمم الجبال ، فلا سبيل للحياة لهم عند اقتحامها أرض المعركة ، ونستنتج من تصوير الشاعر الدماء بالبحر ؛ أن جثث القتلى أصبحت تطفو على هذا البحر من الدماء حتى إنَّ الأرض لم تعد تقبلهم وتبتلعهم بل لفظتهم ليكونوا طُعما للسباع والطيور الجائعة كما في قول أبي فراس (٢) :

قرينا بالسماوة مِن عُقيلٍ سباع الأرض والطير السِّغابا

فالشاعر يشبه الوحوش الضارية بالأضياف الذين يُكرمون بالطعام لأنَّ (القِرى) يطلق على الإحسان إلى الضيف (٣) ، فجثث القتلى تُطعم بها السباع و الطيور تفضلا منهم ، وعبَّر (بالسِّغاب) ليدل على أنَّ هذه الوحوش قد بلغ بها الجوع و التعب (٤) مبلغه ، فهي تأكل الجثث بشراسة وتجعل بطونها قبورا لهم . كما أنَّ قائد الجيش إذا رأى هؤلاء الأبطال فما يلبث حتى يفر من شدة الرعب ويترك جيشه ليقع في أيدي هؤلاء الكماة الأشاوس الذين يتناولون الأعداء بالأسر والقتل والتنكيل ، حتى يتمنى الأعداء الفرار على المواجهة لعلمهم بأن الهزيمة من نصيبهم ، وفي هذا المعنى يصف أبو فراس معركته مع الدمستق ملك الروم بقوله (٥) :

ولما برزنا "للدمستق"مـــــــرة ورأى بوادر خيلنا كالأسهـــمِ
طلب النَّجاة بنفسه فتحكمت في جيشه الأسياف أيَّ تحكـمِ
ولئن نجا فرجاله وحمـــاتـــــه ما بين مصفودٍ وبين مُكلَّـــمِ
لبسوا الحديد برغمهم وبودهـــم إنْ لم يكن ذاك الحُليَّ عليهـمِ

---

١. السابق . ص ٨٤ .
٢. السابق . ص ١٧ .
٣. الفراهيدي،الخليل بن أحمد:كتاب العين ، ٢٠٤/٥ .
٤. ابن،سيده:المحكم و المحيط الأعظم ، ٤٣٦/٥ .
٥. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس.شرح الدهان . ص ٣٧٧ .

وعندما يفر القائد من المعركة و يترك جيشه بيد الأبطال ؛ فإنَّ الذل والمهانة تلاحقه ، والنساء يسخرن منه ، ويرين أنَّ بقاءه في منزله وبين ذويه خير له من اقتحام مثل هذه المعارك الجالبة للهزيمة والموحية بعدم تكافؤ الجيشين ، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس (١):

تدور به إماء من قُريـــظٍ وتسألهُ الساءُ عن الرجالِ
يقُلنَ له:السلامة خير غنمٍ وإنَّ الذُّل في ذاك المـقالِ

كذلك نجد أنَّ الشاعر قد حدد في أبياته الحربية زمن المعركة ، فمع بداية الليل يتحرك الجيش ليصل إلى أرض المعركة ، فمع بداية النهار وأوله يشن غاراته على الأعداء ، وقد شبه بداية الليل بالطفل في أول عمره ، كما شبه انبلاج الصباح واختلاطه مع آخر الليل بمن سرى في رأسه المشيب ، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس عند وصفه لمعارك سيف الدولة مع القبائل العربية (٢) :

ولما ثار سيف الدين ثُرنـــا كما هيَّجت آسادا غِضابا
أسنته إذا لاقى طِعـانـــا صوارمهُ إذا لاقى ضِرابـــا
دعانا والأسنة مشرعـــاتٌ فكُنا عند دعوته الجوابـــا
صنائع فاق صانعها ففاقت وغرس طاب غارسه فطابا
وكُنا كالسهام إذا أصابـت مراميها فراميها أصـــابـــا
قطعن إلى الجِبَارِ بنا مَعَانـا ونكَّبْنَ الصُّبيرة والقِبـــابـا
وجاوزن البديَّة صاديـــاتٍ يلاحظن السراب ولا سرابا
عَبَرْنَ بماسحٍ والليلُ طِـفـلٌ وجئنَ إلى سَلَيمةَ حِينَ شَابا

فجيش سيف الدولة كالأسد الضارية التي هاجت وثارت و هي غاضبة ؛ لأن هيجان الشيء لا يكون إلا بسبب المشقة أو وجود الضرر (٣) ، فالأبطال إذا هبوا فكأنهم الأسود الضارية التي تفتك بفريستها ،

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح أحمد الفاضل . ص ١٦١-١٦٢ .
٢. السابق . ص ١٥-١٦ .
٣. ابن سيده:المحكم و المحيط الأعظم ، ٣٦٦/٤ .

وهذا الجيش لا تفتر أسنته ولا صوارمه عن الطعن والضرب ؛ بل ترى أبطاله عندما ينقضون على الأعداء فكأنهم السهام المصيبة لأهدافها والمتمكنة منهما ، فالأعداء يصيبهم الرعب الذي تَخْمُدُ به قلوبهم فليس أمامهم إلا القتل أو الأسر كما يقول أبو فراس (١) :

أ لم تُفنهم قتلا وأســـــرا سُيُوفُنا وأسد الشرى الملأى وإنْ جمدت رُعبا

ثانيا / وصف المعركة في شعر البارودي :

لاشك في أنَّ البارودي قد امتاز برفعه لعلم وصف المعارك وذكر أحداثها ونتائجها ، كما كان لمشاركته في حرب كِريت التي تُعد من أكبر الجزر اليونانية (٢) وحرب البلقان الواقعة جنوب شرق أوروبا(٣) الأثر البارز في وصفه الرائع لهذه المعارك ونتائجها ، وقد تناول البارودي في وصفه : الجيش ،وأرض المعركة ، والتحام الصفوف ، وشجاعة الفرسان ، واقتحام الخيول ، وتناثر أشلاء القتلى ، وأسر المهزومين إلى غير من ذلك الوصف الدقيق لأحداث المعركة ونتيجتها . والبارودي يُعد من قادة الجيوش التي أبلت بلاء حسنا في الرقي إلى أعلى مراتب النصر والظفر ، فقد وصف لنا الجيش في صورة رائعة تتهاوى أمامه جيوش الأعداء وتبيد، حيث يقول في وصفه للجيش الذي يقوده (٤) :

تموج به الريات حتى كـــــــأنه كواسر عقبان أصابت أبابلا
إذا اسودَّ فيه النقع سارت بحوره فوارس يحملن الرماح مشاعلا
إذا انتاب أرضا لم يجد لمقيلــه براحا ولا ريا من الماء كافــلا
أهجت به للصافنات ضراغمــا وأطلقت للرايات فيه أجـادلا

فهذا الجيش عندما يزحف إلى أرض المعركة وقد علته الرايات وضجت به الأصوات ؛ فكأنَّ راياته في علوها وانخفاضها الطيور الجارحة عندما تهوي على فرائسها ثم تحلق بها في السماء ، وعندما تلتهب المعركة

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . شرح أحمد الفاضل . ص ٣٥ .
٢. آصف،يوسف:تاريخ سلاطين عثمان تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي . دار البصائر . دمشق . ط٣/١٤٠٥هـ . ١٠٧/١ .
٣. المرجع السابق ، ٣٥/٢ .
٤. بدراوي،سامي:أوراق البارودي المجموعة الأدبية . ص ٨٥ .

ويثارالغبار ويغطي الجو من كثرة المحاربين وتدافع الخيول ؛ فإنَّ الأبطال يُشعلون سماء المعركة بالرماح اللامعة التي يمطرونها على الأعداء ، كما أنَّ هذا الجيش لا يجد مكانا واسعا للراحة وقت القيلولة ولا يكفيه ما يستولي عليه من الماء لكثرة أعدادهم ، وعندما يكون هذا البطل الفارس قائدا لمثل لهذا الجيش فلاشك في أنَّه يحثهم ويشجعهم على القتال ، فلا ترى إلا أبطالا كالأسود المفترسة ، ورايات تحلق في الجو كما تحلق النسور والطيور الجارحة .كما وصف الشاعر جيش العدو بقوله (١) :

أدور بعيني لا أرى إلا أمـــــة من الرُّوس بالبلقان يُخطئها العدُّ

جواثٍ على هام الجبال لغارةٍ يطير بها ضوء الصباح إذا يغدو

فجيش العدو الذي يعزم الأبطال على اجتثاثه ذو عدد كبير لاحصر له ، قد انتشروا على قمم الجبال وجثوا على ركبهم حاملين الأسلحة متوشحين بها ، قد سددوا نيرانهم إلى خصمهم وبدأ هجومهم وقت الصباح الذي يساعدهم على الزحف والانتشار ، وهم مع ذلك قد جمعوا بين قُبح الصوت والصورة كما يقول البارودي (٢) :

إذا رَطَنُوا بعضا سمعت لصوتهـــم هديدا تكاد الأرض منه تميدُ

قباح النَّواصي والوجوه كأنَّهـــــم لغير أبي هذا الأنام جُنُـــودُ

سواسية ليسوا بنسل قبيلـــــــــة فتُعرف آباءٌ لهم و جُـــــدودُ

لهم صور ليست وجوها وإنمـــــا تُناط إليها أعينٌ وخـــــُدودُ

يخُورون حولي كالعُجُول وبعضهم يُهجِّنُ لحن القول حين يُجِيـــدُ (٣)

فجند الأعداء عندما يتحدثون وترتفع أصواتهم وتضج بها الأرض ؛ فإنك لا تسمع إلا أصواتا غليظة ونبرات خشنة ولغة أعجمية تأنف من سماعها الآذان ، وعندما تنظر في وجوههم فلا ترى إلا قبح الصورة ودمامة الشكل ، لا أصل لهم وكأنهم من غير البشر ، كأنَّ عيونهم وخدودهم قد رُكِّبت في صور

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١٦٨/١ .

٢. السابق ، ١٧٥/١ .

٣. السابق ، ١٧٦/١ .

غريبة لا تمت إلى صور أبناء آدم بصلة ، إذا ارتفعت أصواتهم فكأنها أصوات عُجُول تخور ، وإنْ نطقوا كان الكلام القبيح منطقهم و حديثهم . وعندما يصف لنا الشاعر هذين الجيشين فلاشك في أنَّ قوته تُستمد من قوة القائد وحكمته وشجاعته ، وقائد الجيش الذي يتقابل مع الأعداء قد بلغ من الشجاعة ذروتها ، وقد زادته التجارب الحربية قدرة على إلحاق الهزيمة بالأعداء ، وفي هذا المعنى يقول البارودي (١) :

ونقع كلُجِّ البحر خُضت غمـــاره ولا معقل إلا المناصِل والجُـــــردُ
صبرت له والموت يحمرُّ تـــــارةً وينغلُّ طَورا في العجاجِ فيســـــودُّ
فما كنتُ إلا الليث أنهضه الطَّــوى وما كنتُ إلا السيف فارقه الغِمــدُ
صؤولٌ وللأبطال همسٌ من الـــــونى ضروبٌ وقلب القِرنِ في صدرهِ يعـدُو
فما مهجة إلا ورمحي ضميرهـــــا ولا لَبَّةٌ إلا وسيفي لها عِـــقـــــدُ

فهذا القائد الشجاع لا يقتحم إلا المعارك التي يغطيها الغبار و يُغيِّرُ سماءها ؛ بسب تدافع الأبطال واقتحام الخيول ، فهو كالأسد الجائع الذي يرقب فريسته ، وكالسيف البتار الذي تُحز به رؤوس الأعداء ، كما أنه يصول ويجول في أرض المعركة من غير تعب ولا إرهاق ولا فتور ، فلا يمر به عدو إلا وينال منه طعنة برمحه أوضربة بسيفه ، حتى إنَّ الأبطال ليبكون عليه خوفا من تمكن الأعداء منه كما يقول البارودي (٢):

بكى صاحبي لما رأى الحرب أقبلت بأبنائها واليومُ أغبرُ كـــــالحُ
ولم يك مبكاه لخوف وإنمـــــا توهَّمَ أني في الكريهة طـــائحُ

وبعد وصف الشاعر للجيشين ،ووصف قائد المعركة الشجاع ضد الأعداء،يصف لنا أرض المعركة بقوله(٣) :

لعمري لقد طال النوى وتقاذفـــت مهامه دون الملتقى ومطـــاوحُ
وأصبحت في أرض يحار بها القطـــا وترهبها الجِنانُ وهي ســـوارحُ
بعيدة أقطار الدياميم لو عـــــدا سُليكٌ بها شأوا قضى وهو نازحُ
تصيح بها الأصداء في غسق الدُّجى صياح الثَّكالى هيَّجتها النوائـــحُ

---

١. السابق ، ١/١٦٩-١٧٠ .
٢. السابق ١/١١٣ .
٣. السابق ، ١/١١٠-١١١ .

فهذه الأرض التي تدور عليها رحى المعركة متوّهة مخوفة ، يضِلُّ بها الخريت ، تقذف الخوف والرعب في قلوب الأبطال ، بعيدة أقطارها ، لا يصل إلى نهايتها من عُرف بسرعته وعَدْوِه ، فأرض المعركة التي يخوض غمارها هذا البطل عادة ما تكون بعيدة عن وطنه ، طبيعتها مختلفة مابين الصحراوية والجبلية ، وهو مع صعوبة طبيعتها الجغرافية إلا أنَّ النصر يتحقق له ولا يثنيه البعد والغربة عن الوصول إلى الفوز والتمكين وهزيمة الأعداء . وعندما يصل هذا القائد المحنك وجيشه إلى أرض المعركة تراهم على أهبة الاستعداد وجاهزية الانطلاق للمعركة ،كما يصف لنا البارودي حالهم في الأبيات الآتية (١) :

ترانا بها كالأسد نرصد غـــارة يطير بها فاقٌ من الصبح لامــحُ
مدافعنا نُصبَ العِدا ومُشاتنـــا قيامٌ تليها الصافنات القـــوارحُ
ثلاثة أصنافٍ تقيهنَّ ساقـــةٌ صيال العِدا إنْ صاح بالشر صائحُ

فهم كالأسد ينتظرون الهجوم على الأعداء عند انبثاق الصباح ، وقد قُسِّم الجيش إلى أربعة أقسام : المَدَافِعُ في المقدمة ، ثم يليها المشاة المسلحين ، فالفرسان على خيولهم ، ثم ساقة الجيش وهي مؤخرته(٢)، التي ترقبُ الجيش وتحرسه من خلفه ، وبهذا نجد أنَّ تقسيم الجيش بهذه الطريقة الرائعة دليل على حكمة القائد وعبقريته الموصلة إلى النصر وهزيمة الأعداء ،كما أنَّ هذا التقسيم يُنظم سير المعركة ويعزز صفوفها.وبعد استعداد الجيش وتنظيم صفوفه ، يحدد القائد الوقت المناسب لبداية المعركة ، ويكون غالبا عندما يغلب ضوء النهار على ضوء الليل(٣) وذلك عند انبثاق الفجر ،كما يقول البارودي (٤) :

أُغير على الأعداء والصبح أشهبٌ وآوي إلى الضيفان والليل أدهمُ

وبعد انبثاق الفجر تبدأ المعركة ، ويغير الأبطال ، وتلتحم الصفوف ، وتتبدل معالم الأرض ، وفي هذا المعنى يقول البارودي (٥) :

فالبدر أكدرُ والسماء مريضةٌ والبحرُ أَشكلُ والرماح دواني
والخيل واقفة على أرسانهـــا لِطِراد يوم كريهة ورِهـــانِ

---

١. السابق ،١/١١٢-١١٣ .
٢. مصطفى،إبراهيم وآخرين:المعجم الوسيط ، ١/٤٦٤ .
٣. الفارابي:تاج اللغة وصحاح العربية ، ١/١٥٩ .
٤. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٣/٥٥٠ .
٥. السابق ، ٤/٤٦-٤٧ . مع هامش رقم ٩-١٠ .

فعندما احتدمت المعركة بين المتحاربين ، واشتبكت رماحهم وأسلحتهم ، وكثرت حركات الكر والفر ؛ أثارت سنابك الخيل الغبار ، فانعقد في سماء المعركة ؛ فكدر البدر ، ومرضت السماء ، وسالت دماء القتلى والجرحى حتى احمر البحر من غزارتها ، كما أنَّ الخيل مطيعة منقادة لفرسانها ، مخاطِرة ومُسابِقة إلى كسب النصر والغلبة ، وأظن أنَّ المعركة كانت في منتصف الشهر حيث اكتمال البدر وتمامه ، وتغير لون البدر يعني أنَّ المعركة بدأت من الليل ، أو أنها بدأت من الصباح واستمرت إلى اليوم الثاني ، ومرض السماء وكدرة البدر مجاز يدل على حصول الظلمة ، ولم يذكر الشمس بل عبر بالسماء لتدل على الشمول ، وخص البدر ليدل على زمن المعركة . ثم يصف البارودي حالة الكر والفر وما يعقبه من قتل للأعداء وذلك في قوله (١) :

وبحر من الهيجاء خُضتُ عُبابَهُ ولا عاصم إلا الصفيح المشَطَّـــبُ
تظل به حمر المنايا وسُودهـــا حواسرَ في ألوانها تتقـلـــــــبُ
توسطته والخيلُ بالخيلِ تلتقـــي وبيض الظُّبا في الهام تبدو وتَغـرُبُ
فما زلت حتى بيَّنَ الكرُّ موقفي لدى ساعة فيها العقول تغيـــــبُ(٢)

فشبه المعركة بالبحر الذي تلاطمت أمواجه وتعكَّر جوُّهُ وكادت السفن تغرق من شدة الموج ، فالمعركة عندما التهبت وزاد سعيرها وأغرقت الأعداء بالموت لا عاصم من أهوالها ولا منقذ من كربها إلا بالسيف البتار الذي يُعد من مراكب النجاة وقت المعركة ، حتى إنَّك لترى الموت يُكشر عن أنيابه ليلتهم الأعداء ، في لحظة تقابلت فيها الخيول مع بعضها ، وتبارز الفرسان ، وسُلت السيوف من أغمادها ، وذهل الأبطال من هول المعركة التي لم تزدها بطولة الفرسان إلا رعبا لأعدائهم وإذلالا لهم . وكلما زاد التحام الصفوف علت السماء غبرة وقترة ، كما في قول البارودي (٣) :

ويوم كأنَّ النقع فيه غمامةٌ لها أثرٌ من سائل الطَّعن كالوبلِ

فعندما يقتحم الأبطال الصفوف بخيولهم ، فإنَّ سنابك الخيل تثير الغبار الذي ينعقد في سماء المعركة ،

---

١. السابق ،١/٤٠ .
٢. السابق ، ١/٤٠ .
٣. السابق ، ٣/٩٠ .

والذي يشبه السحابة الماطرة ، حيث أمطرت بدماء القتلى والجرحى حتى سالت منها أرض المعركة ، وهذا النقع يزداد ارتفاعا وعلوا لشدة ما يدور على أرض المعركة من تدافع وتلاحم ، كما يقول البارودي (١) :

بعيد سماء النَّقع ينقضُّ نسرهُ على جثث القتلى و ينغلُّ سِيدهْ

وهذا البُعد كناية عن شدة القتال ، ولا يقتصر النقع على الغبار المنبعث من الأرض ؛ بل يشمل كذلك دُخَان النار المنبعث من أفواه المدافع ، أوالمنبعث من ألسنة النار التي يتم إشعالها أثناء المعركة ، كما يشبه الشاعر هذا النقع بلجِّ البحر في قوله (٢) :

ونقعٍ كلجِّ البحرِ خُضتُ غماره ولا معقل إلا المِنَاصلُ والجُرْدُ

أي أنه يشبه في غزارته و تلاطمه البحر المتلاطم ، فلا يشق عبابه إلا الفارس المغوار الذي يُحسن ركوب الخيل والضرب بالسيف ، فلا ترى تحت هذا العجاج إلا خيولا تتدافع ، وسيوفا تفل هام الأعداء ، ورماحا تلوح بالنصر من خلال اشتباكها ، وفي هذا المعني يقول البارودي (٣) :

ومعترك للخيل في جنباتـــــــه صهيل يهدُّ الراسيات وئيـــــــدهُ
تَرِفُّ على هامِ الكُماةِ سُيُوفُـــهُ وتَخْفُقُ بين الجحفلينِ بُنُـــــــودُهُ
إذا اشتجرتْ فيه الرماحُ تَراجعتْ سَوافرَ عن نصرٍ يُضيءُ عَمُـــــودُهُ
تقحمتهُ والرمح صيدانُ ينتحـــي نِطاف الكُلى والموتُ يمضي وعيدهُ

كما أنَّ أهوال المعركة كلما استعر لظاها وزادت حرارتها ، فإن قائد المعركة لا تزيده هذه الأهوال إلا قوة وجَلَدًا على الصبر والثبات ، وفي هذه الأبيات يصف لنا البارودي شجاعته وصبره على أهوال القتال(٤) ، حيث يقول (٥) :

ولما تداعى القوم واشتبك القـنا ودارت كما تهوى على قُطبِها الحـربُ
وزُيِّنِ للناس الفرارُ أوالـــــردى وماجت صدورُ الخيل والتهب الضَّربُ
ودارت بنا الأرض الفضاء كأننـا سُقينا بكأس لا يفيقُ لها شَـــــرْبُ
صبرت لها حتى تجلَّتْ سماؤهـا وإني صبورٌ إنْ ألمَّ بِيَ الخطـــــــبُ

---

١. السابق ، ١/١٨١ .
٢. السابق ، ١/١٦٩ .
٣. السابق ، ١/١٨١-١٨٢ .
٤. الرافعي،عبدالرحمن:مجلة الرسالة .البارودي. العدد ١٠٢٥.عام ١٣٧٢هـ.ص ٢٨٧ .
٥. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١/٦٧ .

فقطب الرحى يُراد بها ما تَدُورُ وترتكز عليه من حديد وغيره(١) ، وقُطب الحرب هم أبطالها وفرسانها الذين لا تتحرك الحرب إلا إذا أثاروها وأشعلوا فتيلها ، وهذا التشبيه يدلنا على ما يمتلكه الجيش من قوة جسمية وعُدَّة الحربية لا نظير لها ، كما أنَّ هذه المعركة لاتثير الهلع والخوف في صفوف الأعداء فحسب ؛ بل تثير كذلك الخيول التي هاجت واضطربت من شدة القتال ؛ حتى زينت أنفس الأبطال لهم التولي والفرار بغض النظر عن الجبناء ، فترى المقاتلين وقد ذهلت عقولهم وسَكُرتْ أفئدتهم وكأنهم سكارى من شدة هول المعركة . ثم يصف لنا البارودي نتائج المعركة بقوله (٢) :

على الأرض منها بالدماءِ جـــداولٌ وفوق سَراة النَّجمِ من نقعها لِبدُ
إذا اشتبكوا أو راجعوا الزَّحف خلتهم بُحورا توالى بينها الجزرُ والمـــــدُ
نشُلُّهُمُ شَلَّ العِطاشِ وَنَتْ بِـــــهـــا مُراغمةُ السُّقيا وماطلها الـــوِرْدُ
فهم بين مقتولٍ طريحٍ وهـــــــاربٍ طليحٍ ومأسورٍ يُجاذبه القِـــــدُّ (٣)

فالمعركة عندما غطت الأفق بالغبار الذي صار كالشعر المتلبد على كتفي الأسد وسنام البعير في غزارته ولونه(٤) ، قد ازداد ارتفاعه من شراسة الأبطال وانقضاضهم على الأعداء حتى امتلأت أرض المعركة بجثث القتلى ، وشَقَّتْ جداول الدماء جميع نواحيها ؛ لأنَّ عملية الكَرِّ والفرَّ التي تشبه المدَّ والجزرَّ لم تدع للأعداء فرصة للفرار أو النَّجاة بأنفسهم ، كما استُخدم مع الأعداء خطة التفريق والطرد وتطهير أرض المعركة من بقاياهم ، وانتهت المعركة بإلحاق الهزيمة بالأعداء ، ونال كل واحد من جنود الأعداء نصيبه من القتل ، أو التشريد والإبعاد ، أوالأسر والتقييد بالسلاسل والأغلال .

ومما سبق يتضح ما يأتي :

أنَّ وصف أبي فراس للمعركة ونتائجها لم يكن وصفا تفصيليا لكل أحداثها صغيرها وكبيرها ، بل اكتفى بالوصف العام والسريع ، "ولو عني بالوصف والتصوير ، كما عني بسرد الأخبار ، لترك ملحمة من

---

١. الجياني،محمد بن عبدالله:إكمال الأعلام بتثليث الكلام ، ٥٢٠/٢ .
٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١٦٨/١-١٦٩ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١٦٩/١ .
٤. الجياني،محمد بن عبدالله:إكمال الأعلام بتثليث الكلام ، ٥٥٨/٢ .

فرائد الشعر القصصي ، فَوَصْفُ المعارك والجيوش والعُدد ضعيف في شعر أبي فراس على الإجمال ، فقد كان همه انتصاراته ، والإدلال بشجاعته وكرمه ، وعفَّتِهِ وحِلمِه"(١) وأرى أنَّ أبا فراس اكتفى بالتصوير العام لأحداث المعركة لكثرة معاركة وغزواته ، التي انتصر في بعضها ، ولم يحالفه الحظ في البعض الآخر،بل انتهت بعض المعارك بعقد الصلح بين الطرفين وإيقاف الحرب بينهما ، كما أنَّ اهتمامه بوصف بطولاته وانتصاراته غطى على وصفه الدقيق لأحداث المعركة . أما وصف البارودي للمعركة ونتائجها في رأيي فقد فاق وصف أبي فراس ، إذ تناول البارودي أحداث المعركة من جميع نواحيها ؛ وإنْ كان تقليده للمتقدمين واضحا إلا أنَّهُ تميز بمعان جديدة وأفكار مستحدثة في هذا المجال(٢) ، ولم يكن وصفه لانتصاراته واهتمامه بنفسه سببا في عدم التوسع في وصف أحداث المعركة ، بل كانت "شخصيته بارزة في شعره ، وبدا شعره مرآة بيئته وزمانه ، فلو أنَّه عاصر الأقدمين لكان له ما للأخطل والفرزدق ولأبي فراس وبشار من ذاتية يمتاز بها عن غيره، ويقف بها في الصف الأول من هؤلاء الأقران المبرزين"(٣). كما اتفق الشاعران في تشبيههما الجيش بالبحر ، فأبو فراس شبه جيشه بالبحر الممتد ، وشبه الفرسان بالموج المتلاطم (بجيش جاش بالفرسان) ولم يذكر حملهم للرايات ، كذلك شبه البارودي الجيش بالبحر، والفرسان الحاملين للرايات بالموج الذي يعلو طورا وينخفض طورا ، واكتفى بذكر الرايات بدلا من الفرسان لدلالتها عليهم ، ولأنَّ الرايات من العلامات البارزة على أنَّ حامليها قاصدين الحرب والقتال . اتفقا الشاعران في وصف جو المعركة وكان لكل واحد منهما وصف يختلف عن الآخر ، فجوُّ المعركة لدى أبي فراس يغطيه الغُبار المثار من الأرض(أُرهَجُهُ غُبارا) ، كما أنَّه ذَكَرَ لون الجوَّ بالأغبر أي : اللون الذي يميل إلى السَّواد (الجو أغبرا) ، كذلك استخدم لفظ العَجَاج (وبحرا له تحت العَجَاجة ماخرُ) . أما البارودي فقد استخدم لوصف جو المعركة لفظ النَّقع والعَجَاج والغُبْرة ، فوصف النَّقع بالسَّواد (اسودَّ فيه النقع) ، وشبههُ بِلُجِّ البحر (ونقع كلُجِّ البحر) والغمام (كأنَّ النَّقع فيه غمامة) ، ووصفه بالنقع المتلبد (من نقعها لِبدُ) ، كما استخدم بدلا من الغبار لفظ العَجَاج ووصفه بالسواد (في العجاج فيسودُّ) ، كما وصف لون الجو بالغُبرة (واليومُ أغبرُ كالحُ) وأضاف إلى الغُبرة صفة العُبُوس التي تزيد صورتها قبحا وكدرا . هذا وفي نظري أنَّ البارودي قد تفوق على أبي فراس في وصف جوِّ المعركة وأبدع في

---

١. البستاني،بطرس:أدباء العرب في الأعصر العباسية . ص ٣٧١ .

٢. الزين،أحمد:مجلة الرسالة. أدب البارودي وشعره.العدد١٣٠.عام ١٣٥٤هـ.ص ٢١٠٢ .

٣. سلاّم، أبو الحسن عبدالحميد:مجلة الفيصل.تجربة البارودي مع الشعر والحزن والحنين للوطن.العدد١٨٤.شوال عام ١٤١٢هـ .ص ٦١ .

استخدامه لأكثر من لفظ في هذا الوصف . كما ذكر أبو فراس أن أكثر المعارك تكون وسط ديار الأعداء ، بحيث يتم تجهيز الجيش والذهاب إلى ديارهم وحصارهم ومن ثمَّ اقتحام ديارهم (حملنا على الأعداء وسط ديارهم) (وسار إلى دار الخلافة عُنوة) (وجُبنَ بلاد الروم ستين ليلة) كل ذلك يدل على قوة الجيش وكثرة غزوه ، والسعي من أجل الدفاع عن النفس والتوسع في السيطرة على أرض الأعداء الذين لا يدينون بدين الإسلام ، حتى يتمكنوا من نشر الدين ، وإجبار أهل الكتاب على دفع الجزية إذا لم يدخلوا في الإسلام . أما المعركة عند البارودي فلم يكن هدفها السيطرة والاستيلاء على أرض الأعداء ونشر الدين والبحث عن الجزية ؛ بل كانت من باب الدفاع عن النفس أو مساعدة من اعتُدِي عليهم في ديارهم ، وبذلك نجد أنَّ الهدف من المعركة عند الشاعرين قد اختلف باختلاف الأهداف والفترة الزمنية التي عاشها كل منهما. كذلك ذكر أبو فراس أنَّ المعركة تُستخدم فيها أغلب الأساليب الحربية المؤدية إلى إلحاق الهزيمة بالخصم ، فقد استخدمت طريقة حرق ديار الأعداء وحصارهم بها ، حتى يُرغم الأعداء على الاستسلام ومن ثمَّ دخول أرضهم من غير حرب ، أوتستخدم لتساند الجنود في اقتحام أرض المعركة وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء (فحرقها والجيش بالدار دائِرُ) ، كذلك استخدام الضرب بالسيوف والرمي بالرماح (بضرب يُرى من وقعه الجوُّ أغبرا) (أنا ابن الضاربين الهام قِدما) (سقينا بالرماح بني قشير) ، كما وصف السيوف بالصوارم والرماح بالأسنة . أما البارودي فقد استخدم في معاركه الضَّرب بالسيوف والرمي بالرماح والمِدَافِع (والتهب الضَّربُ) (ولا عاصم إلا الصَّفيح المشطَّبُ) (إذا اشتجرت فيه الرماح) (مدافعنا نُصبَ العِدا) ، كما وصف السيف بالصَّفيح المشطب وبِبِيضِ الظُّبا وبالمِنَاصِل، كذالك وصف الرماح بالقنا ، وقد تقارب وصف الشاعرين في هذه الناحية من حيث الضرب بالسيوف والرمي بالرماح ، وأضيف إليهما استخدام النار في وصف الشاعرين إما بطريقة إشعالها عند أبي فراس ، أوبطريقة رمي الحِمم المشتعلة عن طريق المِدَافِع كما عند البارودي . وصف كل من الشاعرين جثث القتلى وهيئتها أثناء المعركة وبعدها ، فأبو فراس يُشبِّهُ الجثث التي طعنتها الرماح ونفذت منها بالعِقد المنظوم (كما نُظِم العِقدُ) ، كما أنَ هذه الجثث غدت طعاما للطيور الجارحة (فأشبع من أبطالها كُل طائرٍ) والوحوش المفترسة(وذئب غدا يطوي البسيطة أعفرا) ، وصارت الخيل تطؤها وتمزقها (يطأن بها القتلى) .أما البارودي فيصف صراخ القتلى عندما يسقطون متأثرين بضرب السيف ورمي الرماح بالعجول التي ترفع أصواتها بالخُوار (يخورون حولي كالعُجول) ، وتنقضُّ على جثثهم النُّسور (ينقض نسره) ، كما أنَّ أرض المعركة أمست وهي جداول من الدماء (بالدماء جداول) . وبهذا نجد أنَّ أبا فراس أشرك في قتل الأعداء ثلاثة : الأبطال يضربوهم بالسيوف ويطعنوهم بالرماح ، والخيول تطؤهم

وتمزقهم ، والوحوش تنهش من لحومهم وتتغذى عليهم . أما البارودي فوصف حالهم وهم يصرخون من شدة الموت ، ووصف أرض المعركة وهي تجري بالدماء و كأنها الجداول ، حتى رويت منها الوحوش وشبعت من لحومهم ؛ وأرى أنَّ وصف أبي فراس يدلنا على الإبادة التامة للأعداء ، بينما يدلنا وصف البارودي على كثرة القتلى الذين أثخنتهم وأوهنتهم الجِراح ، وكِلا الصورتين في قمة الجمال وحُسن الوصف . وقد وصف الشاعران نتائج المعركة مع أعدائهم ، فأبو فراس قسم حال أعدائه بعد المعركة إلى أربعة أقسام: منهم من قتل، ومنهم من أُسر (ألم تُفنهم قتلا وأسرا سُيُوفُنا) ، ومنهم من أُحكم بالقيود (ما بين مصفد) ، ومنهم من أثخنته الجراح (وبين مكلوم) . أما البارودي فقسم حال أعدائه بعد المعركة إلى ثلاثة أقسام:منهم من قتل(فهم بين مقتول طريح) ، ومنهم من تمكَّن من الفرار والهروب (وهاربٍ طليح) ، ومنهم من أُسر (ومأسور يُجاذبه القِدُّ) ، ووصف أبي فراس يدل على تمكنهم من الأعداء فليس للفرار مجال لديهم ، أما البارودي فَذِكْرُهُ لفرار بعض الأعداء ليس من باب ضعف جيشه و إنما من هلع الأعداء ورعبهم من جيشه ، كما أن الأعداء المصفدين عند أبي فراس هم من الأسرى ، لكنه أراد أن يبن حالهم بعد الأسر ، أو أنَّ تصفيدهم زيادة في إذلالهم . وأرى أنَّ أبا فراس قد تفوق في وصفه هذا على البارودي من حيث التفصيل والبيان . مما تفرد بوصفه أبو فراس تشريد الأعداء ، فاستخدامهم لتشريد الأعداء وطردهم والاستيلاء على أملاكهم من الأمور المتبعة في الحرب لدى أبي فراس (وشرَّدنا إلى الجولان طيئا) . كذلك من الأوصاف التي تفرد بها أن وصف السباع و الطيور الجارحة بالأضياف ، حيث أكرمهم بالطعام من جثث القتلى ، والشراب من دمائهم :(قَرينا بالسماوة من عُقيل *** سباع الأرض والطير السِّغابا) .ومما تفرد بوصفه البارودي ؛ أنْ قسَّم لنا الجيش في أرض المعركة إلى أربعة أقسام :المدافع في أول الجيش ، ثم يليها المشاة من الجنود المسلحين، ثم يليهم الفرسان الممتطون ظهور الخيل ، ثم يليهم ساقة الجيش ومؤخرته :

مدافعنا نُصبَ العِدا ومُشـــاتنا قيامٌ تليها الصافنات القـــوارحُ

ثلاثة أصنافٍ تقيهنّ ساقـــةٌ صيالَ العِدا إنْ صاح بالشر صائحُ

والأصل في الجيش عند العرب أنَّه يتكون من خمسة فِرقٍ : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساق(١) ، لذا جاء تقسيم البارودي قريبا لما كان عليه العرب .

---

١. مصطفى،إبراهيم وآخرين:المعجم الوسيط ، ٢٥٦/١ .

الفصل الثاني :(الدراسة الفنية)

الخصائص الفنية لشعر الحرب و وصفها عند الشاعرين و الموازنة بينهما فيها ، و فيه ثلاثة مباحث :

١. **المبحث الأول :**

المعجم الشعري لشعر الحرب عند الشاعرين .

٢. **المبحث الثاني :**

العاطفة .

٣. **المبحث الثالث :**

الصورة الفنية في شعر الحرب عند الشاعرين .

٤. **المبحث الرابع :**

الموسيقى الشعرية .

المبحث الأول :

المعجم الشعري لشعر الحرب عند الشاعرين

أولا : المعجم الشعري لشعر الحرب عند الشاعرين

لقد فطن الشعراء البارعون لاختيار الألفاظ المعبرة والدالة على مرادهم المتمثل في قصائدهم التي نُظمت في أغراض الشعر المختلفة ، كما أدركوا أهمية اللفظ الذي يُعد بوابة تفتح أمام الشاعر الطريق الموصل للتعبير عن تجاربهم العملية وأحاسيسهم الداخلية ، وصار ديوان كل شاعر يحمل ألفاظا تتكرر حينا وتختلف حينا آخر لتبين للمتلقي مدى علاقة الشاعر بتلك الألفاظ وارتباطه بمدلولاتها ، ومن خلال بحثي في صورة الحرب لدى الشاعرين – أبي فراس و البارودي – وجدت أنَّ لغة الحرب وألفاظه قد ضربت بأطنابها على شعرهما ، فلا تكاد تلمح بيتا من أبيات شعرهما الحربي إلا وأدوات الحرب وعُددها ماثلة فيه ، أضف إلى ذلك استخدامهما للألفاظ المتعلقة بالكون والزمن التي تمَّ توظيفها لخدمة شعرهما الحربي ، فصورة المعركة تستلهم عناصرها الفنية من تلك الألفاظ المتعلقة بالزمان والمكان والعُدة والعتاد ، وبهذا نجد أنَّ المعجم الشعري لدى الشاعرين –الذي استخدمت ألفاظه بغزارة – ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولا : ألفاظ مرتبطة بالحرب .

ثانيا : ألفاظ مرتبطة بالمكان .

ثالثا : ألفاظ مرتبة بالوقت والزمان .

أولا : ألفاظ مرتبطة بالحرب .

من خلال دارستي لصورة الحرب بين أبي فراس الحمداني والبارودي تبين لي :

أنَّ أكثر الألفاظ التي استخدمها أبو فراس هي تلك الألفاظ المتعلقة بـ(السيف والرمح والخيل والجيش) ، فاستخدم لفظ الحسام والبِيض والصارم والمهند ، واستخدم إلى الرمح لفظ السمر والقنا والأسنة والقسي والعوالي والأسهم ، كما استخدم للخيل لفظ الجُرد والخُوص والفَرس والجُرشع ، أما الجيش فأضاف إليه لفظ الخميس والكتيبة .

وبهذا نجد أنه استخدم لفظ السيف مفردا منسوبا إلى ياء المتكلم في موطن الفخر حيث يقول (١) :

ولا أعود برمحي غير منحطم ولا أروح بسيفي غير مُختضبِ

وقوله (٢) :

وقائم سيفي فيهم اندقَّ نصله وأعقاب رمحي فيهم حُطِّمَ الصدرُ

كما استخدم لفظ السيوف عندما وصف فصاحته إذ يقول (٣) :

صبور ولو لم تبق مني بقية قؤول ولو أنَّ السيوف جوابُ

كذلك استخدم للسيف الألفاظ التالية (الحسام والبِيض والصارم والمهند) ، فالحسام ذكره في أبياته التي نظمها في الأسر حيث يقول (٤) :

وإنْ تفتدوني تفتدوا لعلاكـــم فتى غير مردود اللسان أو اليدِ

يُطاعن عن أعراضكم بلسانه ويضرب عنكم بالحسام المهندِ

كما استخدمه في حالة الفخر و التغني بشجاعته حيث يقول (٥) :

لاعزَّ إلا بالحسام المِخذمِ وضِراب كلَّ مدجج مستلئمِ

وقراع كلَّ كتيبة بكتيبـــة ولقاء كُلَّ عرمرمٍ بعرمـــــرمِ

كذلك استخدم هذا اللفظ في حالة المدح حيث يقول (٦) :

يا ابن العم قد أتانا ابن عمٍّ في طلاب العلا صعود لجوجُ

مِحربٌ همهُ حسام صيقـــل وجواد مطهَّمٌ عُنْجُـــــوجُ

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . ت:الدهان . ص ٤٤ .
٢. السابق . ص ٢١٣ .
٣. السابق . ص ٢٢ .
٤. السابق . ص ٨٠ .
٥. السابق . ص ٣٧٧ .
٦. السابق . ص ٥٨ .

أما البِيض فقد ذكرها في أبيات المدح حيث يقول (١) :

لله درك من قَرْمٍ أخي كـــرمٍ لا ينطق المال إلا في تشكيهِ

فالخيل يمنحها والبِيض يثلمها والسُّمرُ يحطمها والقرن يُرديهِ

كذلك في حالة الفخر (٢) :

فأظمأ حتى ترتوي البِيض والقنا وأسْغبُ حتى يشبع الذئب والنَّسرُ

وأيضا في وصف المعركة (٣) .

ويومٍ تخال الرعد في جنباتـــه لشدة أصوات القنا والهماهمِ

شفيت بعزمٍ صادق غيرِ كاذبِ ورمحٍ رُدينيٍّ وأبيض صـــارمِ

أما لفظ المهند فقد استخدمه عندما كان في الأسر إذ يقول (٤) :

تمنيتمُ أنْ تفقدوني وإنمـــــــا تمنيتمُ أنْ تَفقدوا العِزَّ أصيـــدا

إلى الله أشكو عُصبةً من عشيرتي يُسِيئون لي القول غيبا ومشهدا

إنْ حاربوا كنت المجنَّ أمامهـــم وإنْ ضاربوا كنتُ المهند واليـدا

كما استخدم أبو فراس لفظ الرمح مفردا ومجموعا وذلك في الأمثلة الآتية :

اللفظ المفرد في قوله (٥) :

وعُدْتُ أجرُّ رمحي عن مقام تُحدِّثُ عنه ربات الحجالِ

ولفظ الرماح والقنا في قوله (٦) :

وأهنت نفسي للرماح و إنَّه من لم يَهُنْ بين القنا لم يَكْرُمِ

ثم استبدل الرمح بالسمر وذلك في قوله (٧) :

فالخيل يمنحها والبِيض يثلمها والسُّمرُ يحطمها والقرن يُرديهِ

---

١. السابق . ص ٤٣٠ .
٢. السابق . ص ٢١٢ .
٣. السابق . ص٣٨٣ .
٤. السابق . ص٨٥ .
٥. السابق . ص ٢٨٤ .
٦. السابق . ص ٣٧٧ .
٧. السابق . ص٣٧٧.

كذلك استخدم لفظ الأسنة مجموعة في قوله (١) :

وكم ليلة خضت الأسنة نحوها وما هدأت عين ولا نام سامــرُ

يصاحبني فضفاضتان وصــارمٌ وقلب على خوض الحُتُوفِ مؤازرُ

ولفظ السنان مفردا في قوله (٢) :

ما أنسَ قولتهنَّ يوم لقينني أزرى السنان بوجه هذا البائسِ

كما استخدم لفظ القسي بدلا من الرماح في قوله (٣) :

عتادي لدفع الهم نفس أبيـــةٌ وقلبٌ على ما شئتُ منه مُصاحبُ

وجُرْدٌ كأمثال السَّعالي سلاهبٌ وخُوصٌ كأمثال القِسيِّ نجائـــــبُ

وبهذا يتضح لنا أنَّ الشاعر قد وظف الألفاظ المتعلقة بالرمح في صورها المختلفة من حيث المسمى تارة ومن حيث الإفراد والجمع تارة أخرى . أما الخيل فقد جاءت منسوبة إلى ياء المتكلم وذلك في موطن الفخر حيث يقول (٤) :

ألم تخبرك خيلي عن مقامي بـ(بالسَ) يوم ضاق بها المِقامُ

وجاءت من غير نسبتها إلي ياء المتكلم في مواطن الفخر والمدح ومن أمثلة ذلك (٥) :

وحيٍّ رددتُ الخيل حتى ملكْتُهُ هزيما وردَّتني البراقع والخُمرُ

ثم استخدم الشاعر الألفاظ التي تصف هذه الخيل وذلك في قوله (٦) :

وفتيان صدقٍ كالنجوم طوالعٌ على شُزْبٍ جردٍ كرامٍ سواهمِ

كذلك قوله (٧) :

وكلبٌ غداة استعصموا بحبالهمْ رماهم بها شُعثا شوازبَ ضُمَّرا

---

١. السابق . ص ١٠٥ .

٢. السابق . ص ٢٣٢ .

٣. السابق . ص ٣١ .

٤. السابق . ص ٣٦١ .

٥. السابق . ص ٢١٢ .

٦. السابق . ص ٣٧٤.

٧. السابق . ص ١٣٤.

وبهذا استطاع الشاعر أنْ يُوظف الألفاظ الدالة على الخيل وصفاتها . كذلك من الألفاظ المتعلقة بالحرب استخدام الشاعر للفظ الجيش حيث استخدمه معرفا بـ(أل) وذلك في مواطن الفخر ، ومجردا من (أل) وذلك عند وصفه للمعركة ، بالإضافة لاستخدامه للفظ الخميس الذي يُبين الترتيب المعهود عند العرب لمجموعات الجيش وذلك عند وصفه للجند ، كذلك استخدم لفظ الكتيبة التي تُعدُّ جزءا من الجيش وقد استخدم هذا اللفظ عند استنهاضه لهمم الأبطال وكذلك عندما كان يفخر بنفسه ، ومن أمثلة ذلك (١) :

وساحبة الأذيال نحوي لقيتها فلم يلقها جهم اللقاء ولا وعـرُ
وهبت لها ما حازه الجيش كلَّهُ ورُحتُ ولم يُكشف لأثوابها سِتْرُ

فالسياق اقتضى أنْ يكون لفظ الجيش معرفا بـ(أل) حتى يُعلم أنَّ كلَّ ما حازه الجيش من غنائم وُهبت لتلك الفتاة التي بلغت من الحياء أعلى قمته . وقوله (٢) :

ولاخافتني الأملاك إنْ لم أُصبِّحها بُملتفِّ الغُبارِ
بجيش لا يَحِلُّ بهم مُغـيرٌ ورأيٍ لا يَغِبُّهُمُ مُغـارِ

فالشاعر وظَّف لفظ (جيش) من غير (أل) لأن السياق يتطلب منه تخويف الأعداء والحاسدين بجيش لا يعرفون عن إمكاناته ولاعن جنوده شيئا ، وهذا التنكير يبعث في نفوسهم الخوف والهلع . وقوله أيضا (٣) :

وفتيان صدق من غطارف وائل إذا قِيل رَكْبُ الموت قالوا له انزلِ
يسوسهم بالخير والشر ماجـدٌ جرورٌ لأذيال الخميس المذيَّـلِ

فلفظ الخميس يُبين تقسيمات الجنود في أرض المعركة وفي الوقت نفسه يدل على جاهزية هذا الجيش وكثرة جنود ، وهذا السياق ازداد قوة عندما اختار الشاعر هذا اللفظ . كذلك نجد الشاعر يُحدد لنا جزءا من أجزاء الجيش وذلك في قوله (٤) :

وإني لجرارٌ لكل كتيبة مُعوَّدةٍ ألَّا يَحِلُّ بها النَّصرُ

---

١. السابق . ص ٢١٢.
٢. السابق . شرح عبد الرحمن المصطاوي . ص ١٥٢ .
٣. السابق .ت: الدهان . ص ٢٨٦.
٤. السابق . ص ٣٧٧ .

فالشاعر عندما افتخر بنفسه اختار لفظ الكتيبة التي تُعد من تقسيمات الجيش ، فالجيش يتكون من عدة كتائب وكلُّ كتيبة لها لواء يحمله قائدٌ من سادة القبيلة ، وبعض تلك الكتائب لا يحالفها النصر أو تضعف أمام العدو ، فالشاعر لا يقود إلا من تعودت النصر والتمكين ، وبهذا فالشاعر لم يتنقل بين الألفاظ السابقة للجيش من باب التنوع فحسب ؛ بل وضع كل لفظة في مكانها المناسب الذي يتطلبه السياق و يتقوى به . هذا ، ومما تفرد به أبو فراس في معجمه الشعري المرتبط بألفاظ الحرب استخدامه لفظ (الجُرشُع) وهو الحصان الضخم و ذلك في قوله (١) :

وجرشعٍ عالي التلِيلِ آفِقُـــهْ خاظي مَجالِ الدَّفَّتينِ ناهقهْ
عَبْلِ الشَّوى تقاربت مرافقهْ أنجبهُ وَجِيهُهُ ولا حقـــــهْ

أما البارودي فألفاظ الحرب التي استخدمها في شعره تشبه إلى حد كبير تلك الألفاظ التي تناولها أبوفراس في معجمه لشعر الحرب ، فقد دارت ألفاظ البارودي حول(السيف والرمح والخيل والجيش)، فأضاف للسيف لفظ (الظُّبا والمهند والبيض والباترات) ، وأضاف للرمح لفظ (القنا والأسنة) ، وأضاف للخيل لفظ (الطِّرف الأعوجي والجُرد العناجيج والمضمر) ، وأخيرا استخدم للجيش لفظ (الكتائب والسرية) ، فمن الأمثلة على استخدامه للفظ السيف قوله (٢) :

لايدرك المجد إلا من إذا هتفـــــت به الحمية هزَّ الرمح وانتصـــبا
تستسهل الصعب إنْ هاجت حفيظته ولا يشاور إلا السيف إنْ غضبا

لذا نجد الشاعر وظف لفظ السيف باسمه العلم في موطن الحديث عن صفات القائد الشجاع ، وعند فخره بنفسه استخدم لفظ الظُّبا وذلك في قوله (٣) :

أنا ابن الأولى جلوا الغيابة بالظُّبا وسدوا بأطراف القنا مطلع الشمسِ

وعندما أُغرم بالحرب والتطلع إلى معالي الرِّفعة والشرف استخدم لفظ المهند الذي يُعد من خير سيوف العرب ، لأن السياق يتطلب من الشاعر الإيتيان بأقوى الألفاظ وأمتنها ، وعندما يغلب على السيف هذا

---

١. السابق . شرح عبد الرحمن المصطاوي . ص ١٧٦ .
٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي .٦٨/١ .
٣. البارودي،محمود سامي:أوراق البارودي.ص ٨٠ .

الوصف ؛فإن الشاعر تغلب عليه معاني الشجاعة والقيادة الحربية ، ومثال هذا قوله (١) :

وإنَّ التي يشتاقها القلب غادةٌ لها الرمح قدٌّ والمهندُ مِعصمُ

وعندما يقتحم الشاعر أرض المعركة ويفخر بنفسه فإنَّ لفظ الباترات يحل محل السيف في قوله (٢) :

وقد أسير أمام القوم ضاحية والجوُّ بالباترات البيض مُشتعلُ

فاستطاع الشاعر أنْ يوظف لفظ الباترات بدلا من السيف ثم يصفها بالبيض زيادة في تأكيده على كونها من أجود السيوف وأحكمها صُنعا . أما الرمح فأغلب توظيفه في مجال الفخر والتغني بمعالي الأمور ، ومن ذلك قول البارودي (٣) :

لا يدرك المجد إلا من إذا هتفت به الحمية هزَّ الرمح وانتصبا

وعندما يصف الشاعر الجند ويذكر أمجادهم فإن لفظ القنا يحُل محل الرمح في قوله (٤) :

رجالٌ أولو بأس ونجـــــــــدةٍ فقولهمُ قولٌ وفعلهمُ فعـــــــلُ
إذا غضبوا ردوا إلى الأفق شمسهُ وسال بِدُفَّاع القنا الحزن والسهلُ

كذلك عندما تحدث الشاعر عن الغزل وأنَّ إصابة الشخص بالحب و العشق أقوى من إصابته بأدوات الحرب القاتلة ، استطاع أنْ يُوظف لفظ السنان بالجمع و الإفراد في هذا السياق وذلك في قوله (٥) :

ما كنت أعلم قبل وحي جفونها أنَّ العيون الجُؤذرية تَسْـــحَرُ
ظلموا الأسنة خاطئين وليتهـــم علموا بما صنع السنانُ الأحورُ

فالعين الحوارء عندما تصيب القلب أشدُّ من السنان الذي ينفذ من الجسم و يصيب المقاتل .

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ،/٥٤٦ .
٢. السابق ، ١٥٨/٣ .
٣. السابق ،٦٨/١ .
٤. السابق ، ٥١/٣ .
٥. السابق ، ٦٧/٢ .

أما الخيل فقد وظف الشاعر هذا اللفظ في مجال الفخر وذلك في قوله (١) :

أنا ابن الوغى والخيل والليل والظُّبا وسمر القنا والرأي والعقد والحلُّ

وعندما يذكر الشاعر الأصناف التي تصحبه في المعركة فإنَّ لفظ الخيل يستبدله بلفظ طِرف أعوجي وذلك في قوله (٢) :

ويصحبني في كلِّ روع ثلاثة: حسام وطِرف أعوجي ولهذمُ

وهذا اللفظ انفرد به البارودي في شعره الحربي عن أبي فراس الحمداني ، كما نجد توظيف لفظ الجُرد بدلا من الخيل وذلك عندما وصف البارودي المعركة في قوله (٣) :

فلست ترى إلا كماةً بواسلا وجُردا تخوض الموت وهي ضوابحُ

وعندما ذكر الشاعر خيله وصفها بالخيل المُضمَّرةِ وذلك في قوله (٤) :

ولقد هبطت الغيث يلمع نَوْرُهُ عن مثل حاشية الراء المُجْسَدِ

بمُضمَّرٍ أرنٍ كأنَّ سَراتـــــــهُ بعد الحميم سبيكة من عسجدِ

فالبارودي استطاع أنْ يوظف لفظ الجُرد ليدل على صفتها الجسمية وأنَّ كثرة رعيها من أجل تضميرها وتدريبها على السباق و خوض المعارك . ثم بعد ذلك يتناول الشاعر الألفاظ المتعلقة بالجيش فيختار لفظ الكتائب في قوله (٥) :

وإنَّا أُناسٌ لا تهاب نُفُوسُنا لقاء الأعادي أو قِراع الكتائبِ

---

١. السابق ، ٦٧/٢ .
٢. السابق ، ٧٧/٣ .
٣. السابق ، ٥٥١/٣ .
٤. السابق ، ١١٢/١ .
٥. السابق ، ١٥٥/١ .

فاستخدام الشاعر للفظ الكتائب ليبين أنه لا يهاب لقاء الأعادي مهما كثرت أعدادهم وعُددهم ، ثم يستخدم بعد ذلك لفظ السرية في قوله (١) :

نردُّ على الأعقاب كلَّ سريةٍ ونَعجِزُ عن نيل العيون الصوائبِ

فالسرية تُعد من أجزاء الجيش الصغيرة وانتقال الشاعر من أجزاء الجيش الكبير إلى الصغير دلالة على أنَّ جنوده يُلحقون الهزيمة بكل جزء من أجزاء الجيش فلا يفلت منهم أحد بل ينال جزاؤه إما بالقتل أوالأسر أوالتشريد . وبهذا يظهر للباحث أنَّ الشاعرين قد تناولا في معجمهما الشعري لشعر الحرب ما قد تناوله الشعراء الأقدمون من الألفاظ المرتبطة بالحرب إلا أنَّهما يختلفان أحيان في استخدامهما لبعض الألفاظ المتعلقة بالحرب ، كاستخدام أبي فراس للفظ (الجُرشع) ، واستخدام البارودي أيضا للفظ (الباترات والمدافع والطِرف الأعوجي) .

---

١. السابق .

ثانيا : ألفاظ مرتبطة بالكون .

لقد استطاع أبو فراس أن يُوظف الألفاظ المرتبطة بالكون ليخدم بها صورة الحرب في شعره ، فاستخدم لفظ النجوم والمجرات ، كما استخدم لفظ الأرض وترابها ، وكذلك لفظ البحر وما يحمله من معان عِظام ، ولا شك في أنَّ هذه الألفاظ تزيد في معاني الشعر الحربي وتلبسه حلة قشيبة مختلفت الألوان والصفات ، فمن أمثلة ما يتعلق بألفاظ الكون العلوي قول أبي فراس (١) :

ولقومي الشرف المنيع محلَّهُ فوق المجرة والسِّماك المرزمِ

فعندما أراد الشاعر الفخر بقومه لم يجد إلا أنْ يُوظف الألفاظ الدالة على العلو والإرتفاع كالمجرة التي تُعد أُمًّا للنجوم وكذلك استخدم لفظ السَّماك الذي يُعرف بعلوه وارتفاعه (٢) ، وعندما وصف جند المعركة وما وصلوا إليه من أعلى رتب الشجاعة والفتوة استخدم لفظ النجوم ليدل على علو مكانتهم وأنهم القدوة التي يُحتذى بها في مواطن الموت والقتال ، نجد ذلك في قوله (٣) :

وفتيان صدقٍ كالنجوم طوالعٍ على شُزبٍ جردٍ كرامٍ سواهمِ

كذلك عندما وصف الشاعر أصوات المعركة وجلبة الأبطال والتحام السيوف لم يجد لفظا يزيد في تهويل الصورة سوى لفظ الرعد وذلك في قوله (٤) .

ويوم تخال الرعد في جنباتـــــه لشدة أصوات القنا والهماهمِ
شفيت بعزمٍ صادقٍ غيرِ كاذبٍ ورمح رُدينِيٍّ وأبيض صـــارمِ

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس.ت:الدهان . ص ٣٧٧ .
٢. ابن سيده:المحكم و المحيط الأعظم ،٥٧٦/١٠ .
٣. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس.ت:الدهان.ص ٣٨٤ .
٤. السابق .ص ٣٨٣ .

كما استخدم الشاعر لفظ الأرض لبيان سعة أرض المعركة التي ازدحمت بالخيل وذلك في قوله (١) :

أم تخبرك خيلي عن مقامي بـ(بالس) يوم ضاق بها المقامُ
وولت تتقي بعضا ببعـضٍ لهم والأرض واسعة زحـــامُ

كما أضاف للأرض ترابها في قوله (٢) :

ومهري لا يمس الأرض زهوا كأنَّ ترابها قطب النِّبـــالِ
كأنَّ الخيل تعرف من عليها ففي بعضٍ على بعضٍ تُعالي

كذلك استخدم الشاعر لفظ البحر في شعره الحربي ، كما يقول أبو فراس (٣) :

علونا جوشنا بأشد مـــنه وأثبت عند متشتجر الرماحِ
بجيش جاش بالفرسان حتى ظَننتَ البر بحرا من سـلاحِ

وبهذا نجد أنَّ أبا فراس قد تناول في شعره الحربي ألفاظا متعلقة بالكون العلوي والسفلي ، وقد وظفها تبعا لما يتطلبه السياق ، وقد امتاز شعره "بحسن اختيار الألفاظ وجمال التعبير ، ففيها الجزالة وشدة الأسر في موضوع الشدة ، وفيها الرقة والسهولة في موضع الحنو "(٤) .

وعندما نتناول الألفاظ المتعلقة بالكون لدى البارودي في شعره الحربي نجد أنَّه تناول تلك الألفاظ العامة الدالة على الكون بسمائه وأرضه وبحره ، ولم يختلف عن وصف أبي فراس في غالب توظيفه لهذه الألفاظ ، فقد استخدم لفظ الأفلاك عندما وصف جند المعركة وما اكتسبوه من هيبة وشجاعة وذلك في قوله (٥) :

إذا استلَّ منهم سيدٌ غرب سيفه تفرَّعت الأفلاك والتفت الدهرُ

---

١. السابق . ص ٣٦١ .
٢. السابق . شرح: المصطاوي .
٣. السابق . شرح الفاضل . ص ٥٣ .
٤. بدوي،أحمد:شاعر بني حمدان . ص ١٧١ .
٥. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٤٣/٢ .

كما استخدم لفظ الأفق والشمس عند وصف هؤلاء الجند حال غضبهم حيث يقول (١) :

إذا غضبوا ردوا إلى الأفق شمسهُ وسال بِدُفَّاع القنا الحزن والسهلُ

أما استخدامه للألفاظ المتعلقة بالأرض فاختلف استخدامه لها وذلك حسب سياق الكلام ، فقد استخدم لفظ الأرض نكرة عندما هوَّل في شجاعة جنده حيث يقول (٢) :

إنْ حلَّ أرضا حمى بالسيف جانبها وإنْ وعى نبأةً من صارخ ركبا

فهؤلاء الجند قد تساوت عندهم الأرض التي تدور عليها المعركة ، لا تؤثر فيهم الأماكن ولا الأقاليم ولا تُقلل الغربة من شأنهم ، فهم شجعان فوق أي أرض وتحت أي سماء . كما يتناول الشاعر النقع والعجاج الذي يُثار من الأرض و ذلك في أغلب وصفه عن أحداث المعركة ، بالإضافة إلى ذكره للبحر ومن ذلك قوله(٣) :

ونقع كلُجِّ البحر خُضتُ غمارهُ ولا معقل إلا المناصل والجُـردُ
صبرتُ له والموت يحمرُّ تـــارةً ويتغلُّ طورا في العجاج فيسودُّ

كذلك استخدم الشاعر لفظ الراسيات ليُكمل بها الألفاظ المتعلقة بالكون السفلي ، وذلك عندما وصف أحداث المعركة وصهيل الخيل وهي تقتحم أرضها وتطأ الفرسان وتُثير العجاج ويزداد صهيلها وفي هذا المعنى يقول البارودي (٤) :

ومعترِكٍ للخيل في جنباتـــه صهيل يهُدُّ الراسيات وئِيـــدُهُ
بعيدِ سماء النَّقع ينقضُّ نسرهُ على جُثث القتلى ويتغلُّ سِيْدُهُ

هذا وقد تبين لي أنَّ الشاعرين قد تناولا الألفاظ المتعلقة بالكون بحيث استخدما الألفاظ العامة للكون ولم يتعمقا في ذكر مرادفات لها من الألفاظ التي تحتاج إلى تفسير و بيان .

---

١. السابق ، ٥١/٣ .
٢. السابق ، ٦٨/١ .
٣. السابق ، ١٦٩/١ .
٤. السابق ، ١٨١/١ .

ثالثا : ألفاظ مرتبطة بالزمن .

لاشك في أنَّ ألفاظ الزمن تُعدَّ من الألفاظ الهامة بل الأساسية في الشعر عامة وفي الشعر الحربي لدى الشاعرين خاصة ، فعليه تحدد بداية المعارك ، وبه تعرف نهاية المعركة ، وبه أيضا تُحدد أوقات الغارات، وقد وظف الشاعران ألفاظ الزمن لخدمة شعرهما الحربي توظيفا دقيقا ، وسنبين ذلك فيما يأتي :

- أبو فراس عندما وصف توجه الجند إلى أرض المعركة بين وقت انطلاقهم بالخيول في ظلام الليل، وفي الصباح كانت بداية المعركة ، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس (١) :

سروا والليل يجمعنا ولكن يبوحُ بهم ويكْتُمُنا الظلامُ
إلى أنْ صبَّحتهم بالمنايـا كرائمُ فوق أظهرها كِـرامُ

كما نجد أنَّ الشاعر قد بَيَّن لنا أوقات المعركة وعادة ما تكون في الصباح ، فأغلب معاركه بدأت في هذا الوقت ، لذلك نجده يذكر لنا وقت الفجر مرة والصبح تارة والضحى أخرى ، وهذا التوظيف له مايؤيده ، وأرى أن استخدامه للفظ الفجر يدل على اقتحامه للقرى على حين غفلة من أمر أهلها الذين ادَّعو أنهم لايخافونه فكان لابد من أنْ يفاجئهم مع طلوع الفجر ويدل على ذلك قوله (٢) :

ويا رُبَّ دارٍ لم تَخَفْنِي منيعةٍ طلعتُ عليها بالردى أنا والفَجْرُ

أما وقت الصباح و وقت الضحى فعادة ما يكون فيه الجيشان على أهبة الاستعداد ، وفي هذا المعنى يقول أبو فراس (٣) :

إذا التفَّتْ عليَّ سَرَاة قومـي ولاقينا الفواس في الصبـــاحِ
أقود بهم إلى الغمرات سعيا بنات السبقِ تحت بني الكِّفاحِ

وأيضا قوله عند الحديث عن خيل العدو وكيف تم محاصرتها واغتنامها (٤) :

وكم بلدٍ شَتَتْناهُنَّ فيه ضحىً وعلا منابره الغبارُ

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس . ت:الدهان . ص٣٦١ .
٢. السابق . ص ٢١٢ .
٣. السابق . ص ٦٤ .
٤. السابق . شرح:المصطاوي . ص ١١٨ .

مما سبق يتضح لنا أنَّ الشاعر قد بين أوقات بداية المعركة منذ انطلاق الفرسان إلى أنْ يتقابل الجيشان ، ولم أجد وقتا محددا ذكر فيه الشاعر نهاية المعركة ؛ وذلك لأنَّ تحديد وقت نهايتها يعد أمرا صعبا فقد تستمر الحرب أياما متتالية وقد تستمر فترة زمنية وجيزة ، وهذا مرتبط بالمكان والقوة التي يعتمد عليها كلا الجيشين .

- أما البارودي فقد وظف ألفاظ الزمن لخدمة شعره الحربي ، فقد أكثر من تناول لفظ الليل والصبح في شعره الحربي ، فجعل الليل وقتا لإكرام الضيوف وعابري السبيل وكذلك وقتا لإختفاء الجند عن أعين الأعداء وكذلك وقتا لنهاية المعركة وأخيرا جعله وصفا لسماء المعركة التي حُجبت بكثافة الغبار ، أما لفظ الصبح فقد وظّفه لبيان وقت بداية المعركة وغالبا ما جعله مرتبطا بلفظ الغارة التي تحمل بين أكنافها القوة والغلبة والنصر . فمن الأمثلة التي تبين أنَّ الليل من الأوقات التي يُكرم فيها الأضياف وأنَّ الصبح وقت لبداية المعركة قوله (١) :

أغيرُ على الأبطال والصبح أشهبٌ وآوي إلى الضيفان والليل أدهمُ

وقوله (٢) :

نُغير على الأبطال والصبح باسمٌ ونأوي إلى الأدغال والليل جانحُ

فالليل يأوي فيه الجنود إلى الاختفاء ليتمكنوا من مباغتة الأعداء والنيل منهم وسلب ما لديهم من سلاح . كما أنَّ وقت الليل غالبا ماتنتهي فيه المعركة وذلك في قوله (٣) :

فما زلت حتى بيَّن الكرُّ موقفي لدى ساعة فيها العقول تُغَيَّبُ

لدُن غُدوةٍ حتى أتى الليل والتَقَى على غيهب من ساطع النقع غيهبُ

كذلك جعل الليل وصفا لجو المعركة وكيف أظلمت بسبب الغبار الذي حجب ضوء النهار وحَوَّلَهُ إلى ظلمة وسواد كما في قوله عندما وصف المعركة (٤) :

ينُمُّ بها صُبحٌ من البِيضِ أزهرٌ ويكتُمها نقعٌ من الليل مظلمُ

وبهذا نجد أنَّ البارودي قد جعل الليل وقتا لنهاية المعركة ، كما جعل الصبح هو الوقت الذي تبدأ فيه المعركة ، وقد اختلف أبو فراس معه من حيث عدم بيانه للوقت الذي تنتهي فيه المعركة .

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٥٥٠/٣ .
٢. السابق ، ١١٣/١ .
٣. السابق ، ٤١/١ .
٤. السابق ،٥٤٦/٣ .

المبحث الثاني :

العاطفة

ثانيا : العاطفة .

لا شك في أنَّ المشاعر والأحاسيس النابعة من وجدان الشاعر التي تنقل للمتلقي صدق التجربة وحقيقة الوصف ؛ تُولد لنا العاطفة الشعرية الصادقة ، وعندما نتحدث عن العاطفة في شعر الشاعرين فإننا نتحدث عن نفسية الشاعر وانفعالاته الوجدانية وأحاسيسه ومشاعره التي أثرت فيها مواقف وأحداث مختلفة ، كما تُعدُّ الانفعالات النفسية الطريق الموصل للعاطفة ، فالانفعال "مرحلة تسبق العاطفة بمعنى أنَّ موضوعا أوفكرة أومشهدا أثار الشاعر فانفعل به فتتولد حياله حينئذ عاطفة تخضع لنوعية هذا الانفعال ، فإذا كان الانفعال حادا كانت العاطفة حادة ، وإذا كان هادئا كانت هادئة هي الأخرى"(١) .

وقد تناول النقاد القدامى العاطفة بمعان مختلفة ، فابن رشيق يرى أنَّ "قواعد الشعر أربع : الرغبة ، والرهبة ، والطرب ، والغضب ، فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع"(٢) ، أما ابن قتيبة فيرى أن العاطفة الشعرية لها "دواع تحثُّ البُطئ وتبعث المتكلف ، منها الطَّمعُ ، ومنها الشوق ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب"(٣) ، وبهذا نجد أن النقاد القدامى كان من دورهم الاهتمام بهذه الظاهرة وكانوا يحكمون على ما يقدمه الشعراء بالصدق أو الكذب ، أو بالقوة والضعف ، ولم يخصصوا فصولا بالحديث عن العاطفة ومجالاتها ، بل نجد أن تطور هذا المفهوم لم يكن إلا في العصر الحديث كما يقول الدكتور : أحمد أمين بأنَّ "العاطفة هي عنصر هام في الأدب ، ومع علم الأقدمين بها فإنَّ اسمها لم يستعمل في الأدب العربي إلا حديثا كالذي قالوا عن الأدب الألماني فيه عشق كثير ، ولكن ليس فيه كلمة عشق ، فأنت تقرأ طبقات الشعراء لابن قتيبة مثلا فتجد فيه قول الشعر للرغبة أو للرهبة ، ولكن لا تجد فيه كلمة العاطفة لأنها لم تُخترع إلا في العصر الحديث ، وكذلك في كتاب العمدة لابن رشيق و في غيره من الكتب" (٤) .

---

١. الحداد،عبد الوارث:من صحائف النقد الأدبي. دار الطباعة المحمدية . القاهرة . ط١/١٩٨٩م . ص ٢٥٢ .

٢. ابن رشيق:العمدة . ١/١٢٠ .

٣. ابن قتيبة:الشعر والشعراء . ١/٧٨ .

٤. أمين،أحمد:النقد الأدبي . ١/٣٨ .

ويمكن أنْ نُعرف العاطفة بأنها "حالة شعورية ترتبط باستعداد نفسي ، تتولد عن انفعال بشيئ ما سواء كان هذا الشيئ حدثا أومشهدا أومعنى مجردا أو أثرا فنينا في القارئ أو المتلقي تلك الحالة الشعورية التي كان عليها الأديب أوقريبا منها " (١) ، أوأنها "الحالة التي تتشبع فيها نفس الأديب بموضوع أو فكرة أو مشاهدة يُؤثر فيه تأثيرا قويا يدفعه إلى التعبير عن مشاعره والإعراب عما يجول في خاطره"(٢) ، وبهذا تكون العاطفة هي حالة الشاعر النفسية المتأثرة بأحداث مختلفة تلك التي كان لها الدور البارز في معرفة ما يدور بخلده من مشاعر وأحاسيس تكشف لنا سِرَّ معاني الأبيات التي نظمها وسرد لنا أحداثها ، وهذه العاطفة لابد أن تكون صادقة في جميع أحوالها بحيث "تنبعث عن سبب صحيح غير زائف ولا مصطنع حتى تكون عميقة تهب الأدب قيمة خالدة ، فموت الابن يبعث الحزن العميق والرثاء الحار ، وانتصار الحق يثير فرحا قويا وشعرا مطربا ، والمنظر الجميل يوقظ الإعجاب الحق والوصف البديع . وهكذا متى كان هناك داع أصيل طبْعيٌ هاج انفعالات أصيلة صحيحة تجعل الأدب مؤثرا وباعثا في نفوس القراء عواطف كالتي في نفوس الأدباء ، أما إذا كان الباعث تافها أوخداعا زائفا كان الأدب سطحيا لا أثر له يبقى"(٣) ، كما أنَّ كثرة التجارب وتتابع الأحداث التي خاضها الشاعر تمده بعواطف متنوعة لأنَّ كثرة التجارب التي مرت بالشاعر "تجعل في استطاعته إذا تعرض لنوع من العاطفة أنْ يستوفي الكلام فيها كما يستطيع أن ينوع في كتابته أوشعره ، ويتفاعل مع هذه الأحاسيس كلما عاود النص ولو بعد حين" (٤) ، ولابد للعاطفة أن تستقر وتثبت في نفس المتلقي من خلال إبداع الشاعر في نظمه "بحيث يجذبه إليها ويتفاعل بها وينفعل معها ويظل مشدودا إليها منجذبا نحوها ، ولا ينبغي أنْ تفقد العاطفة تأثيراتها هذه على المتلقي بمعاودة التجربة مرة بعد مرة بل يظل يشعر بهذه المشاعر وينفعل ويتفاعل مع هذه الأحاسيس كلما عاود النص ولو بعد حين"(٥) .

---

١. الحداد،عبدالوارث عبدالمنعم:من صحائف النقد الأدبي . ص ٢٥٢ .

٢. أبو كريشة ،طه:في ميزان النقد الأدبي. مطبعة المليجي بالجيزة . القاهرة . ط١/١٣٩٦هـ . ص ٦٠٦ .

٣. الشايب،أحمد:أصول النقد الأدبي. مكتبة النهضة المصرية . ط١٠/١٩٩٩م . ص ١٩٠-١٩١ .

٤. أمين،أحمد:النقد الأدبي . ص ٤٩ .

٥. بدوي،ناجي فؤاد:التجربة الشعرية بين النظرية النقدية والتطبيق النصي . ص ٢٨ .

ومما سبق يتضح لنا أنَّ العاطفة عنصر مهم من عناصر التجربة الشعرية (١) ، ووجودها في النص هو ما يكسبه الخلود (٢) ، لأنها تربط "الأديب نفسيا بالموضوع الذي يتكلم فيه ، حبا أو كرها "(٣) .

وعندما نتحدث عن العاطفة في شعر الحرب لدى الشاعرين فإنَّ عاطفة الفخر والإعجاب بالنفس والتباهي بحسن القيادة وإدارة الجيش وسداد الرأي ذلك كله يحيط بأغلب شعرهما في هذا المجال الحربي ، فأبو فراس استولت عاطفة الفخر على غالب قصائده ، فمن أمثلة ذلك قوله (٤) :

إني امرؤ ببني حمدان مفتخـــــرٌ خير البرية أجدادا وأسلافـــا
إني لمن معشر ما ضِيم جارهُـــمُ ولا رأى عندهمْ بُؤسا ولا خافا
إن حالفتنا المعالي فهي قد علمت كانت لآبائنا من قبلُ أحلافـا

فعاطفة الفخر والتغني بأمجاد أسلافه واضحة في هذه الأبيات ، حيث افتخر بأجداده وأسلافه ، ثم أعقبه بالفخر الذي يشمل قبيلته جمعاء ، ثم يذكر بأنَّ سبب فخره هذا ما وصل إليه أسلافه من المجد والسؤدد الذي يُعدُّ ميراثا يتوارثه الأجيال ، وهذا العاطفة قويت معانيها في هذه الأبيات وتأكد صدقها عندما استخدم الشاعر حرف التوكيد الذي كرره في البيتين السابقين ، حيث أكد فخره ببني حمدان الذين وصفهم بخير البرية وكذلك عندما افتخر بنسبه الذي عُرف بالأصالة والمَنَعة ، كذلك من الأمثلة الدالة على العاطفة القوية النابعة من الفخر بالنفس والأهل والعشيرة قول أبي فراس (٥) :

وقد علمت ربيعة بل نـــزارٌ بأنَّا الرأس والناس الذُّنـابَي
فلما أنْ طغت سفهاء كعبٍ فتحنا بيننا للحرب بابـــا
منحناها الرغائب غيرَ أنَّـــا إذا شئنا منحناها الحِرابـــا
ولما ثار سيف الدين ثُرنـــا كما هيَّجْتَ آسَادا غِضابا
أسنتهُ إذا لاقى طعانـــــا صوارمهُ إذا لاقى ضِرابـــا
دعانا والأسنة مشرعـــاتٌ فكُنَّا عند عودته الجوابـــا
وكُنا كالسهام إذا أصـــابت مراميها فراميها أصابـــا

---

١. هلال،محمد غنيمي:النقد الأدبي الحديث. دار العودة . بيروت . ط/١٩٨٧م . ص ١٢٩ .
٢. أمين،أحمد:النقد الأدبي . ص ٢٣ .
٣. شعيب،محمد عبد الرحمن:في النقد الأدبي الحديث. دار التأليف . مصر . ط١/١٩٦٧م . ١٢٩ .
٤. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .ت: الدهان . ص ٢٦٠ .
٥. السابق . ص ١٣ .

ففي الأبيات السابقة نجد عاطفة الفخر والشعور بالكبرياء واحتقار الأعداء هو المهيمن على معانيها والمتمكن من جميع نواحيها ، وهذه العاطفة يعلوها الكبرياء والغرور الذي ينبع من نفس الشاعر الأبية ومشاعره القوية ، فالحرب ميدان الشجعان ومدرسة الأبطال ، كما وصف الشاعر قومه بصفة شجاعة عند استعدادهم للحرب فهم كالأسود الضارية التي ملئت قلوبها بالحقد والغضب فما إنْ يستثيرها الأعداء حتى تبصر قوما أشداء بأفئدة غاضبة تقضي على الكبير والصغير في حالة هيجانها ، وهذا الوصف الذي يصفه لنا أبو فراس يرسم في ذهن المتلقي صورة الفخر الممزوج بثبات النفس ورباطة الجأش ، كما يمزج لنا بين عاطفة الفخر والغضب .كذلك من الأمثلة على عاطفة الفخر والتغني بالشجاعة عند أبي فراس قوله (١) :

ولقومي الشرف المنيع محلُّهُ فوق المجرة والسِّماك المِـــــرزمِ
ورثوا الرئاسة كابرا عن كابرٍ من عهد عادٍ في الزمان وجُرْهُمِ
ظفروا بها بالسيف أول مرة وبقاؤها بالسيف أصبح فيهــمِ

فالفخر بالقبلة التي ينتسب إليها الشاعر من الأمور التي تجعل صدق العاطفة واضحا في هذه الأبيات ، فالعرب تَعُدُّ الفخر بالأهل والعشيرة من الأمور المؤدية إلى رفعتها وعلو مكانتها بين القبائل ، وخاصة عندما تكون القبيلة لها قصب السبق في الرئاسة والسيادة ، كما نجد عاطفة الفرح والسرور بالنصر والظفر في الأبيات التالية لأبي فراس (٢) :

عبرنَ بماسح والليل طِفـــــلٌ وجئنَ إلى سليمة حين شابـــــا
فما شعروا بها إلا ثباتـــــا دُوَين الشَّدِّ تصطخبُ اصطخابا
تَنَاهبنَ الثناءَ بصبر يـــــومٍ به الأرواحُ تُنتهبُ انتهابـــــا
تنادوا فانبرت من كل فـــجٍ سوابق يُنتَجَبْنَ لها انتجـــابـا
فما كانوا لنا إلا أَسَـــــارى وما كانت لنا إلا نِهـــابـــــا
ولما اشتدت الهيجاءُ كنـــــا أشدَّ مخالبا وأَحَدَّ نـــابـــــا
وأَمْنَعَ جانِبا وأَعزَّ جـــــارا وأوفى ذِمةً وأقلَّ عـــــابـــــا
سقينا بالرماح بني قشـــــيرٍ ببطن الغُنْثُرِ السُّمَّ المذابـــــا
وسُقناهم إلى الحَيرانِ سَوقـــا كما نَستاقُ آبَالًا صِعـــــابـا

---

١. السابق . ص ٣٧٧ .

٢. السابق . ص ١٤-١٥ .

فأبو فراس يُعبر عن حال المعركة التي آلت إلى النصر والظفر بمعانٍ بليغة رائعة نستشف من ثناياها المشاعر والأحاسيس الدالة على فرحه واستبشاره بالنصر المبين ، وقد مزج في هذه الأبيات بين عاطفة الفخر التي تصف الشجاعة والإقدام و بين عاطفة الفرح والسرور الذي حصل بعدما صار الأعداء أحد شخصين ؛ شخص قتيل وآخر أسير ، ولا شك في أنَّ نهاية المعركة الرابحة تبعث في نفوس الأبطال الفرح والسرور وتذكي همم الشجعان لتصل إلى قمة البسالة وتحدي الأعداء . كذلك نجد عاطفة الفخر والفرح بالنصر في قول أبي فراس (١) :

ديارهمُ انتزعناها انتزاعـــا وأرضهمُ اغتصبناها اغتصابا
ولو شئنا حميناها البــوادي كما تحمي أسودُ الغاب غابا
إذا ما أنفذ الأمراء جيشــا إلى الأعداء أنفذنا كِتابـــا
أنا ابن الضاربين الهامَ قِدما إذا كره المحامون الضِّرابـــا

فهذه الأبيات عبَّرت عن عاطفة الفخر في أروع صورها و أعلى رتبها ، فالديار تُنتزع من أهلها عُنوة ، والأرض تُؤخذ غصبا من أهلها ، فلا يملكون ديارا يأوون إليها ، ولا أرضا يفترشوها ، حيث يُجردون من مقومات الحياة وأساسياتها بالإضافة إلى نفاذ حكم القتل فيهم ، وبهذا الفخر الدال على الشجاعة والبسالة يمتزج بالفرح والسرور لما حققه هؤلاء الأبطال من انتصار على الأعداء ، فالعاطفة في هذه الأبيات تتسم بالثبات والسمو وتبعث في نفوس المتلقين الإعجاب بما فيها من معان وألفاظ قوية متماسكة تنقل الوصف في صورةٍ محسوسةٍ لدى المتلقين . كذلك من الأمثلة العاطفة الدالة على تعالي الشاعر واعتزازه بنفسه واحتقاره الأعداء ما نستشفه من الأبيات الآتية(٢) :

وإني لجرارٌ لكل كتيـبـــــة مُعوَّدةٍ ألَّا يخِلَّ بها النصـــــرُ
وإني لنزَّالٌ بكل مخـــــوفـــةٍ كثيرٌ إلى نُزَّالها النَّظر الشـــــزرُ
فأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسْغبُ حتى يشبعَ الذِّئب والنَّسرُ

---

١. السابق . ص ١٥ .
٢. السابق . ص ٢١٢ .

فالشاعر تَحْدُوهُ ثِقَتُهُ بنفسه وعلوه على أعدائه أنْ يُعَبِّرَ بهذه الأسلوب ، وما الفخر بالنفس ومدحها إلا نتاج من نتاج الثقة وعلو الهمة ، وفخر أبي فراس بنفسه فخر في محله ؛ لأن تاريخه الحربي يشهد له بذلك ، وهذا الشعور يبعث في نفوس جنوده الفرح والسرور والأمل الذي يَعِدُهُم بالنصر والتمكين تحت قيادة مثل هذا البطل الشجاع ، كما أنَّ هذا الفخر والتعالي على الأعداء يبعث في نفوسهم الخوف والهلع المؤدي إلى الهزيمة والفرار من أرض المعركة ، فالشاعر بأبياته السابقة الذكر جعل من عاطفة الفخر والشجاعة ثلاثة أمور: التغني بصفاته القيادية ، وإدخال الفرح والسرور على جنوده بذكر رباطة جأشه والثقة بنفسه ، وأيضا الرعب والخوف الذي ينتاب أعداءه عندما يرون قائدا مثل هذا يقود الجيوش إليهم ، فكانت العاطفة في هذه الأبيات ذات معان سامية قوية .كذلك من صور العاطفة عند أبي فراس في شعره الحربي تلك العاطفة التي تبعث في نفوس جنده وقبيلة الفرح والسرور بما يحققه من انتصارات عظيمة ، كما تخيف الأعداء حتى يشهدوا له بالشجاعة والسيادة حيث يقول (١) :

ولا أعود برمحي غير منحطـــم ولا أروح بسيفي غير مختضـــــبِ
حتى تقول لك الأعداء راغمةً "أضحى ابن عمك هذا فارس العربِ"

فعودته بالرمح المنحطم والسيف المخضوب بالدماء من علامات النصر التي يفرح بها هذا الفارس وتبعث البهجة في نفوس أهله وجنده ، حتى يشهد الأعداء بمكانته وشرف قيادته ، وبهذا يجمع بين الفخر الباعث للفرح والسرور وبين خوف الأعداء واستسلامهم واعترافهم بشجاعته وفروسيته . كذلك تظهر أحاسيسه ومشاعره الغاضبة في حديثه مع (الدُمستق)حيث يقول (٢) :

أتزعم يا ضخم اللغادِيدِ أنَّنـــــا ونحنُ أسودُ الحرب لانعرفُ الحَرْبَـــا
فويلك من للحرب إن لم نكن لهـــا ومَنْ ذا الذي يُمسي ويُضْحي لها تِربا
ومَنْ ذا يَلُفُّ الجيش مِنْ جنباتـــه ومَنْ ذا يقودُ الشُّمَّ أويصدِمُ القلبـــا
وويلك مَنْ أردى أخاك بمرعـــشٍ وجلَّلَ ضربا وجه والِدِكَ العَضْبَـــــا
وويلك من خَلَّى ابن أُختك مُوثقا وخلاَّك باللَّقَانِ تبتدِرُ الشِّعبـــــــا
أتوعِدُنا بالحرب حتى كأنَّنـــــا وإياك لم يُعصَبْ بها قلبنا عصبـــــا
لقد جمعتنا الحربُ مِنْ قبلِ هـــذه فكُنَّا بها أُسدا وكُنتَ بها كَلبـــــا

---

١. السابق . ص ٤٤ .
٢. السابق . ص ٣٦ .

فمشاعر الغضب وثوران الفؤاد وغيظه يُخيِّمُ على الأبيات السابقة ، لذا استخدم أبو فراس الهجاء ليصب على الدمستق وابلا من الألفاظ الجارحة و المؤذية ، ولم يقتصر أبو فراس على هجاء الدمستق وحده بل هجا والده وجميع أقاربه ، وتميزت هذه العاطفة الغاضبة بصدقها وثبات معانيها ، كما مزج الفخر مع الهجاء ليعرف أعداؤه قيمته وليوضِّح لهم سبب علو مجده وارتفاع مكانته ومكانة قبيلته ، والمتلقي يلحظ من بداية الأبيات قوةً في الألفاظ الجارحة التي تنبي عن غضب الشاعر الشديد وأنه لا يرضى الذل ولا المهانة ، فغضبه لا يقتصر على المهجو نفسه بل يتعداه إلى أقاربه وأعوانه لينال كل منهم نصيبه من الهجاء والتهديد ، وهذا يشبه فعله في الحرب الذي يقضي على الأخضر واليابس ولا يفرق بين شيء منهما . كذلك من العواطف التي عبَّر عنها الشاعر بأبياته عاطفة الحزن والشكوى التي أرسلها إلى قومه من بين أروقة السجن الذي حُبس فيه عندما تمكن الروم من أسره ، وفي هذا يقول أبو فراس (١) :

تَمنيتُمُ أنْ تفقدوني و إنَّـــمـــــا تمنيتُمُ أنْ تفقدوا العِزَّ أصيـــــــدا
أَمَا أنا أعلى من تعُدُّون هِمَّـــــةً وإنْ كُنْتُ أدنى مَنْ تَعُدُّون مَوْلِـدا
إلى الله أشكو عُصبةً مِنْ عشيرتي يُسِيئون لي في القولِ غيبا ومشهدا
وإنْ حاربوا كُنتُ المِجَنَّ أمامهـم وإنْ ضاربوا كُنتُ المهنَّدَ واليـــدا
وإن ناب خطبٌ أوألمتْ مُلِمَّـــةٌ جعلت لهم نفسي وما ملكتْ فِدَا
يودُّون أنْ لا يُبصروني سفاهـــةً ولو غبتُ عن أمرٍ تركتُهُمُ سُـدى
فِعَالي لهم لو أنصفوا في جَمالِهـا وحظٌ لنفسي اليومَ و هولَهُمْ غَـدَا
تَعِدُونني نِعمة فمتى غَـــــــدتْ فأهلي بها أولى وإنْ أصبحوا عِـدا
وإنِّي بخيرٍ إنْ لقيتُ بهم فـــــتىً كريما مُطاعا في العَشِيرَةِ سيِّـــــدا

فالأبيات تجسد عاطفة الحُزن المخيمة على أجوائها، وقد امتازت بصدقها وامتزجت بعاطفة الفخر وذِكرِ مآثر الشاعر ، وتذكير قومه بتاريخه المجيد الذي حفظ لهم العزَّ والشرف بين القبائل ، لكن حُساده الذين يلومهم كانوا سببا في طول زمن الأسر ؛ لعلمهم بما سيؤول إليه من مكانة عالية بعد خروجه من السجن ،

---

١. السابق . ص ٨٥-٨٦ .

كما جمعت هذه العاطفة الحزينة بين العتاب الصارم الذي وجهه أبو فراس إلى قومه ومحبيه الناسين لحاله والمقصرين في افتدائهم له ، وبين عاطفة الشكوى التي خالطتها المشاعر الدينية المتوجهة إلى الله الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، وإننا لنشعر من خلال قراءة هذه الأبيات بالحرقة والألم الذي كان يعتصر قلب الشاعر في أسره والغربة التي أضافت مع الحزن أحزانا لانظير لها ، وبخاصة عندما يكون الأسر في بلاد الروم الذين هم أعداء المسلمين منذ القِدم ، فألفاظ هذه الأبيات توحي بالقوة وتشد المتلقي بمتانة أسلوبها كقوله (العِزَّ أصيدا . وغيبا ومشهدا . وكنتُ المِجَنَّ أمامهم . وكنتُ المهنَّد واليدا) وغيرها من الألفاظ التي تدلنا على مشاعر الشاعر الحزينة التي حاول معها أنْ يبعث الأمل ويُسلي نفسه بذكر مآثره وما خلده له التاريخ ، كما أنَّنا نجد أنَّ الإحساس بعِزَّة النفس والكبرياء كان مصاحبا لهذه العاطفة الحزينة . كذلك نجد أنَّ عاطفة الاستسلام والرضا بالقدر مما تناوله أبو فراس في شعره الحربي ، وذلك في قوله(١) :

أُسرت وما صحبي بِعُزلٍ لدى الوغى ولا فرسي مُهرٌ ولا ربُّهُ غِمـــــرُ
ولكن إذا حمَّ القضاءُ على امـــرئٍ فليس له بَرٌ يَقيهِ ولا بحـــــــرُ
وقال أصيحابي: الفرار أوالـــــردى فقلتُ: هما أمران أحلاهما مُـــرُّ
ولكنني أمضي لما لا يَعِيبُنـــــــــي وحسبك من أمرين خيرهما الأَسْـرُ

فأبو فراس يُسلم أمره لله عندما وقع في الأسر بنفس راضية مؤمنة بقضائه وقدره ، كما يستسلم للأسر الذي يرى أنَّه خير من الفرار والموت ، ومشاعره وأحاسيسه في هذه الأبيات أهدأُ منها في الأبيات السابقة ، لوقوعه في أيدي الأعداء الذين يُحتملُ منهم الشرُ أكثر من أنْ يُرجَى منهم الخير والإحسان ، وتوقف الشاعر عند حدَّ التسليم بالمُقدَّرِ دليل على بداية حياة يجهل مصيرها ، فدخول السجن وعدم معرفته بما سيصير ليس كدخوله أرض المعركة وكُله أمل بالنصر والظفر على الأعداء . ومن العواطف التي حملتها أبيات أبي فراس في شعره الحربي تلك العاطفة الدالة على الشكوى والاستعطاف وطلب الفداء من قومه وذلك إبان وقوعه في الأَسْرِ ، حيث يقول (٢) :

وإنْ تَفتدوني تفتدوا لعلاكـم فتىً غيرَ مردودِ اللسان أواليـدِ
يُطاعن عن أعراضكم بلسانه ويضربُ عنكم بالحسام المهندِ
وما كُلُّ وقَّافٍ له مثلُ موقفي ولا كُلُّ ورَّادٍ له مثلُ مـــوردي

---

١. السابق . ص ٢١٣ .

٢. السابق . ص ٨٠ .

فالشكوى والاستعطاف وطلب الفداء من الحالات النفسية التي أَقَضَّتْ مضجع الشاعر ، كما أن هذه الحالة الحزينة قد طغى الفخر عليها ، فكلما ضَعُف الشاعر نفسيا أذكى ذلك الضعف بذكر أفعاله وتضحياته ، وهو يُريد بهذا الاستعطاف أن يعود إلى ما كان عليه قبل الأسر من إغاثة ملهوف ونُصرة مظلوم وقتل عدو ، فَمَطالبُهُ التي تَحملُ لأهله وقبيلته طلب فكاك أسره لم تكن إلا مِنْ أجل أن يُكْمِلَ مسيرته الحربية المؤدية إلى أعالي قمم العِزِّ والمجد . كما نجد أنَّ عاطفة الحُبِّ تخللت أبيات أبي فراس الحربية ، حيث يقول (١) :

ما أَنْسَ قولَتَهُنَّ يوم لقيننـــــي أزرى السِّنان بوجه هذا البائسِ
قالت لهنَّ وأنكرت ما قُلنَـــــهُ أجميعُكُنَّ على هواه منافســـي
إني ليعجبني إذا عاينتُـــــــهُ أَثَرُ السِّنان بصحن خدِّ الفارسِ

فمحبوبة هذا الفارس يعجبها خده الذي جَرحهُ السنان عندما كان في أرض المعركة ، وهنا نجد أنَّ الشاعر يجعل النساء معجبات به وبما عُرف عنه من شجاعة وفروسية ، فكل واحدة منهنَّ تَعُدُّهُ فارس أحلامها وبطل حياتها ، كما نجد أنَّ عاطفة الفخر قد صاحبت عاطفة الحُبِّ والإعجاب الذي تناولته معاني الأبيات السابقة . ومن أمثلة أبي فراس الدالة على العاطفة الحزينة الصادقة ما نظمه في رثاء جابر بن ناصر الدولة الذي عُرف بفروسيته وشجاعته في الحرب مع الأعداء ، حيث يقول أبو فراس في هذه المرثية (٢) :

الفِكر فيك مُقصِّرُ الآمـــــــــالِ والحرص بعدك غاية الجُهـالِ
لو كان يَخْلُدُ بالفضائل فاضـــــلٌ وُصِلَتْ لك الآجالُ بالآجالِ
أوكُنتَ تُفدى لافتدتك سَرَاتُنـــــا بِنَفائِس الأرواح والأمـــوالِ
أوكان يُدفع عنك بأسٌ أقبلـــــت صَرعى تُكَدَّسُ بالقنا العَسَّالِ
أَعْزِزْ على ساداتِ قومك أنْ تُـرى فوق الفراش مُقَلَّبَ الأوصـالِ
والسُّمرُ عندك لم تُدقُّ صُدُورُهـــا والخيل واقفةٌ على الأطـــوالِ
والسابغاتُ مصونةٌ لم تُبتـــــذلْ والبِيْضُ سالمةٌ مع الأبطـــالِ
وإذا المنية أقبلت لم يَثْنِهـــــــا حِرصُ الحريصِ وحِيلةُ المحْتالِ
ما للخُطُوبِ؟وما لأحداثِ النَّوى أَعْجلْنَ"جابر"غاية الإعْجـالِ؟

---

١. السابق . ص ٢٣٢ .
٢. السابق . ص ٣٠٠-٣٠١ .

يُعدُّ رثاء أبي فراس لمثل هؤلاء الأبطال من المواضع التي تميزت بصدق العاطفة ، فالفروسيةُ والإقدامُ وبذلُ النفس من أجل النصر والوصول إلى المجد من الأمور المحببة بل من المسِلَّمَاتِ لدى أبي فراس ، فعندما يبكي مثل هؤلاء الأبطال فإنما يبكي المجد والعِزَّ و عُلُو الهمة ، فأبو فراس قد أُشرب حُبَّ هذه الخِصال وأولع بها ، وهنا نجد العاطفة الصادقة قد استولت على هذه الأبيات حيث إنها "تنبعث من سبب صحيح غير زائف ولا مصطنع"(١) ، وبهذا تكون العاطفة في رثاء الأبطال والقادة أشدَّ حضورا وأقوى أثرا ، أضف إلى ذلك استخدامه للقافية المكسورة التي توحي بانكسار النفس و حسرتها على الفقيد ، وكذلك استخدامه للألفاظ الدالة على شدة الحزن والأسى كقوله : (لو كان ـ أوكُنتَ . أوكان) ، كما أنَّ بكاء الآلات الحربية لهذا البطل تدل على أنَّ فقده أمر جلل ، كل هذه المعاني والألفاظ المعبرة عن هذا المصاب تدلنا على عاطفة الشاعر الصادقة والثابتة في وصفها لهذا المشهد المؤثر الحزين .

والعاطفة في شعر الحرب عند البارودي تميزت بما تميزت به عاطفة أبي فراس في شعره الحربي في الغالب ، فعاطفة الفخر هي المهيمنة على أجواء شعر الحرب عند البارودي ؛ إذ "للفخر والحماسة نار لا تخبو في أشعاره ، وهي نار كان يمدها دائما بحطب جزل من قوة نفسه وطموحه إلى المجد ، وسَعَرَتْهَا شجاعته وفروسيته وقتاله في كريت والقرم والبلقان ، ومن ثَمَّ كان فخره وحماسته يتوهجان توهجا لأنهما ينفصلان من نفس أبلت في الحروب بلاء رائعا ، نفس قوية صلبة ، ملئت طموحا ومضاء لا يعرف ضعفا ولا فتورا ، وهي نفس ظلت لها قوتها وظل لها مضاؤها حتى بعدما صَلِيَ صاحبها من السياسة ونزل به من المنفى ، وكأنها الصخرة تتحطم عليها الأحداث والخطوب"(٢) ، ومن أمثلة ذلك قول البارودي (٣):

ونقع كلج البحر خضت غمـــاره ولا معقل إلا المناصل والجُـــــردُ
صبرت له والموت يَحْمَرُّ تـــــارةً وينغلُّ طورا في العَجاجِ فَيَسْـــــودُّ
فما كُنتُ إلا الليثَ أَنْهضهُ الطَّوى وما كُنتُ إلا السيفَ فارقه الغِمـــدُ
صؤولٌ وللأبطال همسٌ من الــونى ضروبٌ وقلب القِرنِ في صدره يَعْدو
فما مهجة إلا ورمحي ضميرهـــا ولا لَبَّة إلا وسيفي لها عِقـــــــدُ

---

١. الشايب،أحمد:أصول النقد الأدبي . ص ١٩٠ .

٢. ضيف،شوقي:البارودي رائد الشعر الحديث. دار المعارف . ط٢٠٠٦/٧م . ص ١٥٨ .

٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١٧٠/١ .

فهذه الأبيات التي افتخر بها البارودي وهو في ساحة القتال قد اشتملت على صفات الفارس الشجاع ، فهو لا يهاب الموت ولا يخشى الفِرار ، بل تراه كالليث يجول في ساحة المعركة طلبا لفريسة تسُدُّ رمقه . أوتراه كالسيف الذي عُريَ من غمده قد حمله في كفه ذلك الشجاع الذي يثبت عند النزال ويتحدى الأهوال، وهذه العاطفة التي تناولت الفخر في هذه الأبيات نجدها تقوى في الأبيات الآتية(١) :

ولست ممن إنْ دجا حـادثٌ ألقى زمام الأمر أو فوَّضـــا
جرَّدتُ نفسي لِطِلاب العُلا والسيف لا يُرْهبُ أو يُنتضى
سلْ عنِّيَ المجدَ ولا تحتشـــم فالمجدُ يَدْري أَيَّ سيفٍ نَضَـا

فشدة الحوادث لا تزعجه ولا تهون من عزيمته ، فهو كالسيف يخافه الأعداء عندما يرونه مسلولا من غمده ، وبذلك يجمع في فخره هذا بين كرمه وجوده في السراء وبين شدة بأسه وقوته في الضراء ، كما نجد أنَّ معاني هذه العاطفة لم تضعُف بل تزيد وتثبت تدريجيا ، كما نلحظ ثباتها وقوتها في الأبيات الآتية حيث يقول البارودي مفتخرا بفروسيته (٢) :

قلدت جِيد المعالي حِلية الغـــزل وقلت في الجِدِّ ما أغنى عن الهـــزلِ
يأبي ليَ الغَيَّ قلبٌ لا يميلُ بـــه عن شِرعة المجد سِحرُ الأعين النجلِ
أهيم بالبيض في الأغماد باسمـة عن غرة النصر لا بالبيض في الكللِ
لم تلهني عن طِلاب المجد غانيـــة في لذة الصحو ما يغني عن الثمـــلِ
كم بين منتدب يدعو لمكرمـــة وبين معتكف يبكي على طلـــــلِ
لولا التفاوت بين الخلق ما ظهرت مزية الفرق بين الحلى والعطـــــلِ
فانهض إلى صهوات المجد معتليـــا فالباز لم يأو إلا عالي القلـــــلِ

فعاطفة الفخر جلية في هذه الأبيات وكل بيت فيها يزيد في ثبات سابقه ، فالبارودي يهيم حبا في السيوف اللامعة الباسمة بفرح النصر في المعارك الحربية وقتال الأعداء ، كما يؤكد على أنَّ حبه للأمجاد والآمال العالية شيء يميزه عن غيره من الناس ، وهذا الفخر بالذات يتطور ليكون فخرا بأمجاد أجداه العرب

---

١. السابق ، ١٨٠/٢ .
٢. السابق ، ٦/٣-١٥ .

الذين حكموا الدنيا بكل قوة وشجاعة ، وهذه العاطفة التي تناولت الفخر امتزجت بعاطفة الحُزن والأسى ، فقد نظم هذه الأبيات وهو في المنفى إذ يقول (١) :

عرفت الليالي قبل معرفتي نفســـــي وشاهدت في يومي مخائل من أمسِـــي
أنا ابن الألى جلوا الغيابة بالظُّـــــبى وسدوا بأطراف القنا مطلع الشمـــسِ
تدور الليالي كيف شاءوا مطيعـــة لأمرهم في الناس بالسعد والنحـــــسِ
ترى الناس أفواجا يطوفون حولهـــم كما طاف أهل الحج بالبيت ذي الأسِ
أفاءوا على الدنيا بوارف ظلهـــم ودانت لهم سيارة الجن والإنـــــــسِ
وكانوا ملوكا قادرين على الـــــورى فأنستهم الأيام والدهر قد يُنسِـــــي
أقاموا وساروا مثل من سار قبلهـــم وقد تنفذ الأقدار في كل ذي نفـــسِ
فلولا اعتقادي بالقضاء و حكمـــه لمزقت أثواب الحياة من اليـــــأسِ
ولكنني راض بمـــا لا أريـــــده رضا ذليل القوم بالصفقة البـــخـــسِ

فالفخر هنا ينتقل من كونه مقصورا على الذات إلى أنْ يصل إلى من هم سبب في تأثر الشاعر بهم ، فآباؤه وأجداده من العرب لم تكن الدنيا قاهرة لهم بل ذلت لهم الأمم ودانت لهم الشعوب ، حيث حكموا الأرض فكانوا سادة في أزمانهم ، وهذا الفخر ترتفع نبرة ألفاظه ومعانيه إلى مستوى عال من وصف مكانتهم وأمجادهم ، حتى إنَّ تتابع الألفاظ التي يُقوي بعضها بعضا لتبعث في نفس المتلقي القوة والعزة والإعجاب ، كل ذلك كانت تحمله أغلب ألفاظ الأبيات السابقة كقوله :(أنا ابن الألى جلوا الغيابة ـ سدوا بأطراف القنا ـ تدور الليالي كيف شاءوا ـ ترى الناس أفواجا يطوفون حولهم ـ أفاءوا على الدنيا ـ كانوا ملوكا ـ أقاموا وساروا)، وهذه الألفاظ الرائعة تقوي عاطفة الفخر والتغني بأمجاد السابقين ، إلا أنَّ الأبيات الأخيرة تحكي حالة الشاعر الحزينة في منفاه حيث تركه الأهل والخلان وأضحى وحيدا لا يملك من الدنيا شيئا ، فكانت نبرة ألفاظه حزينة بل أصابه اليأس إلى درجة كان يُفضل فيها الموت على الحياة لولا أنَّ إيمانه بقضاء الله كان رادعا له عن ذلك ، وبهذا نجد أنَّ العاطفة الحزينة اليائسة كانت سببا في إذكاء عاطفة الفخر التي كثرت

---

١. البارودي،محمود سامي:أوراق البارودي المجموعة الأدبية . ص٨٠ .

أبياتها لتكون سلوانا له وفضاء واسعا يقطع فيه همَّ الظلم والنَّفي ، وامتازت العاطفة السابقة بالصدق والثبات لأن البارودي"في كل فخره يستهوينا بصدق لهجته وما يملؤ بها قلوبنا من القوة والطموح البعيد"(١) ، كما نجد هذه العاطفة التي تملأ القلب قوة وطموحا واضحة في الأبيات الآتية(٢):

وإني لثبت الجأش مستحصد القـوى إذا أخذت أيدي الكماة الأفاكـــلُ
إذا ما اعتقلتُ الرمح والرمح صاحبي على الشر قال القِرنُ إني هـــــازلُ
لطاعنتُ حتى لم أجد من مطاعـــن ونازلت حتى لم أجد من ينـــــازلُ
وشاغبت هذا الدهر مني بعزْمـــــةٍ أَرتْنِي سبيل الرُّشدِ والغَيُّ حائِـــــلُ

كذلك من الأبيات التي تميزت بوضوح العاطفة وصدقها ما نجده في الأبيات التي عبَّر بها الشاعر عن فرحه وسرور بالنصر والتمكين وذلك في قوله (٣) :

إذا نحن سرنا صرَّح الشَّرُ باسمـــه وصاح القنا بالموت واستقتل الجُندُ
فأنت ترى بين الفريقين كبَّـــــةً يُحدّثُ فيها نفسه البطلُ الجَعـــدُ
على الأرض منها بالدماء جداولٌ وفوق سَراةِ النجمِ من نقعها لِبــدُ
فهم بين مقتولٍ طريحٍ وهـــاربٍ طليحٍ ومأسورٍ يجاذِبهُ القِـــــدُّ

وهنا نجد أنَّ التباهي بذكر الشاعر لانتصاراته تبعث في النفس الفرح والسرور ، وتزيد من قوة العزيمة وتمجيد البطولات الحربية ، فالشاعر يزداد طربا عندما يخشاه الأعداء ويتقيه الفرسان ، ووصفه لما آلت إليه المعركة زيادة في تأكيد النصر والفرح به ، كما نجد أن الشاعر عبَّر عن مراسم هذا الفرح بقوله (٤) :

في كُل مربأة وكل ثنيـــــة تهدار سامرة وعزف قِيـــانِ
ملأوا الفضاء فما يبين لناظرٍ غير التماع البيض والخرصانِ

---

١. ضيف،شوقي:البارودي رائد الشعر الحديث . ص ١٥٨ .
٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٣/٦٥-٦٧ .
٣. السابق ، ١/١٦٨-١٦٩ .
٤. السابق ، ٤/٤٤-٤٥ .

كذلك نجد أنَّ البارودي عبَّر عن عاطفة المدح عندما وصف جنده وأثنى عليهم وذلك في قوله (١) :

إذا غضبوا ردوا إلى الأفق شمسه فقولهمُ قولٌ وفعلهمُ فِـــعـــــلُ
مساعيرُ حربٍ لا يخافون ذلـــةً ألا إنَّ تِهْياب الحروب هو الـذُّلُ
إذا أطرقوا أبصرت بالقوم خيفة لإطراقهم أوبينوا ركد الحفـــــلُ
وإنْ زلَّتِ الأَقْدَام في درك غاية تحارُ بها الألبابُ كان لها الخَصْـلُ

فهؤلاء الجُند يهابهم الأعداء ويتقون شرهم ، لا يهابون الموت ولا يذلون لأعدائهم ، إذا أبصرهم الأعداء أطرقوا هيبة وإجلالا لهم ، وبهذا المدح ينتقل البارودي ليصف أفعالهم التي دعته ليفيض عليهم المدح والثناء ، وذلك في قوله (٢) :

وفتية كأُسود الغاب ليس لهـــــم إلا الرماح إذا احمرَّ الوغى أجمـــوا
كالبرق إن عزموا والرعد إن صمدوا والغيث إنْ رخموا والسيل إن هجموا
إنْ حاربوا مَعْشَرا في جحفلٍ غلبـوا أوخاصموا فئة في محفلٍ خصمـــوا
لايرهبون المنايا أنْ تَلُمَّ بهـــــم كأنَّ لقيا المنايا عندهم حَـــــرَمُ
مرفَّهون حسانٌ في مجالسهـــــم وفي الحرب إذا لاقيتهم بُهَـــــمُ

فعاطفة الإعجاب بهؤلاء الجند جعلت الشاعر ينسج أروع وأجمل الألفاظ ليصف هذا الإعجاب مستخدما المبالغة في دعمه وتسلسل أفكاره ، فقد استخدم لهذه العاطفة الألفاظ المستوحاة من الطبيعة ، وخزلها في العناصر المؤدية إلى نزول الغيث الذي تحيا به الأرض وتستمد منه الخضرة والجمال ، فالبرق والرعد والغيث الذي يعقبه السيل من الأمور التي يستبشر بها الناس ، وكأنه يقول : إنَّهم من العناصر الأساسية التي تحيا بهم الأمم والشعوب من حيث قتالُهم و ردُّ الأعداء عن الظلم المؤدي إلى هلاك الحرث والنسل .كذلك نجد عاطفة الحنين والشوق واضحة في شعر الحرب لدى البارودي ، وذلك عندما يذهب مع جنده لقتال

---

١. السابق ، ٣/٥٣-٥٧ .
٢. السابق ، ٣/٥٣٧-٥٣٨ .

الأعداء خارج بلده ، فإنَّ شوقه لبلده وحنينه يعصر فؤاده ، وفي هذا المعنى يقول(١) :

فيا روضة المِقياس حيَّاك عارضٌ مِنَ المزنِ خفَّاقُ الجناحين دالحُ
ضحوك ثنايا البرق تجري عُيُونُهُ بِوَدْقٍ بهِ تحيا الرُّبَى والصَّحاصِحُ
تَحُوكُ بخيط المزن منه يدُ الصَّبَا لها حُلَّةً تختال فيها الأباطحُ
منازل حلَّ الدهر فيها تمائمي وصافحني فيها القنا والصفائحُ
وإنَّ أحقَّ الأرض بالشكر منزلٌ يكون به للمرء خِلٌّ مناصحُ
فهل ترجع الأيام فيه بما مضت ويجري بوصلٍ من أُميمة سانِحُ
لعمري لقد طال النوى وتقاذفت مهامه دون الملتقى ومطارحُ
وأصبحتُ في أرضٍ يحار بها القطا وترهبُها الجِنانُ وهي سوارحُ

فالشاعر عندما شارك في حرب الروس سنة ١٢٩٤هـ اشتاق لوطنه وجعلت روضة المقياس تراود مخيلته ، فما كان منه إلا أنْ نظم هذه الأبيات التي تشكل عاطفة الشوق والحنين كل أجزائها ، فقد دعا لها بالغيث على طريقة القدماء كما "اختار من بين الرياح الصَّبا ، ولاصبا هناك لأنَّ الصبا وهي الرياح الشرقية لا تُسقط في مصر المطر ، ولكن جاء بها لأنها الريح التي طالما حمَّلها المحبون من العرب تحياتهم وأقوالهم إلى محبوباتهم"(٢) ، وبهذا نجد أنَّ عاطفة هذه الأبيات جاءت صادقة مؤثرة في نفوس المتلقين . كذلك من العاطفة الصادقة التي عبَّر عنها البارودي تلك الأبيات التي رثا بها الأبطال الذين عُرف بالشجاعة والإقْدام ، أصدق تعبير كان في رثاء والده الفارس الشجاع حيث يقول (٣) :

لافارس اليوم يحمي السرح بالوادي طاح الرَّدى بشهاب الحرب والنادي
مات الذي ترهب الأقران صولتهُ ويَتَّقي بأسه الضِّرغامةُ العادي
هانت لميتَتِهِ الدنيا وزهَّدنا فرْطُ الأسى بعدهُ في الماء والزادِ
فلتمرح الخيل لهوا في مقاودها ولتصدأ البيضُ ملقاةً بأغمادِ

---

١. السابق ، ١/-١٠٩-١١٠.وروضة المقياس جزيرة في النيل شرق الجِيزة ومعنى دالح أي:كثير المطر ، والصحاصح :ما استوى من الأرض ، والمطاوح: المقاذف والمهالك .انظر هامش الأبيات .
٢. ضيف،شوقي:البارودي رائد الشعر الحديث . ص ١٥٣ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٢٠٤/١ . و المراد بالضرغامة أي: الأسد .

فالأبيات السابقة تحمل عاطفة حزينة صادقة تملؤها الحسرة و يُحْرِقُها ألم الفراق ،"فالرثاء من أصدق العواطف الإنسانية تعبيرا ، وأجلها تصويرا"(١) ، ولذلك بدأ الشاعر قصيدته بالنفي المطلق المتبوع بالنكرة وكأنه ينفي وجود مثل هذا الفقيد في قومه ، بل مما دعا الشاعر لهذه المبالغة قُرب الفقيد منه ومنزلته العالية التي لا تُعذر الكلمات في أن تتسابق لرثائه ، فهذا الفقيد كان حاميا لقبيلته مناضلا عن أهلها ، وفي ساحة القتال لاتراه إلا شهابا ينزل على الأعداء فيحرقهم ، كما أنَّ فقده مِنَ الأسباب الداعية للزهد في الدنيا وتفضيل الموت على الحياة ، وبهذه العاطفة الصادقة يُعد الرثاء في مثل هذه الأحوال"من أروع ما ندب به الأبطال في حومات القتال"(٢) ، كما أنَّ رثاء الفرسان الأبطال يُعدُّ تمجيدا لبطولاتهم وبيانا لصفاتهم وأخلاقهم الحميدة ، وإظهار اللوعة والحزن والأسى عليهم (٣) . وعندما يتغير الزمن بأهله وتضطرب أخلاق الأصحاب وينكر الصاحب خليله فإنَّ فروسية البارودي تأبى ذلك كله ، بل تأنف من حياة الذل والمهانة بين من غيرت أخلاقهم الدنيا ، فأنكروا الصحبة والأخوة ، وفي هذا المعنى نجد عاطفة الشكوى هي المسيطرة على الشاعر الذي يقول (٤) :

دع الذل في الدنيا لمن خاف حتفهُ فلَلَموتُ خيرٌ من حياةٍ على أذى
ولا تصطحب إلا امرأً إنْ دعوتـــهُ لدى جمرات الحرب لبَّاك واحتذى
يسُرُّك عند الأمن فضلا وحكمـــةً ويُرضيك يوم الروع نَبلا مُقـــذَّذا
فيا حبذا الخلُّ الصفِيُّ وهـــل أرى نصيبا من الدنيا إذا قلتُ حبـــذا؟
فحتى متى يا دهر أكتُمُ لوعـــــةً تُكلِّفُ قلبي كُلفةَ الريح بالشَّـــذا؟

فعاطفة الشكوى والحسرة واضحة في الأبيات السابقة ، فهذا الفارس يشكو من تغير الأصحاب وتلون الخلان ، ويرى أنَّ الموت خير من حياة الأذى والذلة ، فعندما تنكر له الأصحاب لم يجد شجاعا يلبي نداء الحرب بكل شجاعة ، ولم يجد منْ تُسرُّ به النفس في حالة الأمن والسراء وتأنس بصحبته .كما تميزت هذه

---

١. أبو ناجي،محمود حسن:الرثاء في الشعر العربي. دار مكتبة الحياة . بيروت . لبنان . ط٢/١٤٠١هـ . ص ١١.
٢. القيسي:الفروسية في الشعر الجاهلي . ص ٢٦٥ .
٣. السيد،طلعت صبح:شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية .مكتبة ومطبعة الرضا.ط/١٩٩٠م.ص ١٣١ .
٤. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي. ١/٢٥٨-٢٥٩ .

العاطفة بصدقها وثبات معانيها وتسلسل أفكارها . أما عاطفة الحُبِّ لدى البارودي الذي عُرف بفروسيته فقد دلت عليها قصائده الغزلية ، وعندما نحكم على عاطفة الحب لديه فلا بد أنْ نعلم أنَّ البارودي"إنما كان يتغنى بالحب محاكاة للأقدمين ، وهو قد أحبَّ حقا حبًا لم يُورطه في إثمٍ ولا فُسوق ، لأنه لم يكن حُبا جسديا تدفع إليه الغرائز ، وإنما كان حُبا عفيفا كحُبِّ فرسان العرب من أمثال عنترة ، حُبا لا تَثُور فيه نفسه ولا تجمح عواطفه لما يجري في ضميره ، من سمو ونبل وشعور بالكرامة"(١) ، لكن لمحمد حسين هيكل في مقدمته على ديوان البارودي رأي يرى بأنَّ عاطفة الحُبِّ لدى البارودي لم تكن صادقة وبعيدة عن الحقيقة حيث يقول :"ومن تكن هذه حاله لم يكن غزله ولم يكن لهوه صادرين عن عاطفة ألهبها الحُبُّ أوحركتها الخمر بمقدار ما حرَّكها الحرص على التفوق في حلبة الفحول الأولين"(٢) ، ومما يدل على هذا أبياته التي تنفي تعلقه بالغرام والعشق المؤلم وتؤكد على سمو همته والبعد عما يدنسها حيث يقول (٣) :

وإني عفيـــــف الهـــــوى وما كُـــــــل صبٍّ يَعِفُّ

وقوله (٤) :

والعشق مكرمة إذا عفَّ الفتى عما يهيمُ به الغوي الأصــورُ
يقوى به قلب الجبان ويرعوي طمع الحريص ويخضعُ المتكبرُ

وقوله (٥) :

وإني وإنْ كنت ابن كأس ولذة لذو تُدرإٍ يوم الكريهة والأزلِ

مما سبق يتبن لنا أنَّ عاطفة الحب والعشق واضحة في غزل البارودي ولم تكن الشجاعة والإقدام ومشاركته في الحروب مانعة له من أنْ يبث أشجانه ويناجي محبوبته بعاطفة حقيقية صادقة ، وليس من الصحة أنْ يُقال إنَّ البارودي" لم يَصدر في حبه أولهوه أوخمره عن عاطفة حقيقية بمقدار ما صدر عن معارضة القدماء فإنَّ في ذلك انحرافا تبين حقائقه العاطفية ومجاوزة للقصد ، وما كان الحُبَّ إثما حتى ندفعه عن

---

١. ضيف،شوقي:البارودي رائد الشعر الحديث . ص ١٦١ .
٢. البارودي،محمود سامي:ديون البارودي .مقدمة الديوان لمحمد حسين هيكل . ص ١٩ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٢/٢٧٥ .
٤. السابق ، ١/٧٠-٧١ .
٥. السابق ، ٣/٧٧ . و معنى لذو تُدْرَإٍ أي : ذو عزة ومنعة .

البارودي وحتى نبرئه منهو من آثاره"(١) ، ونلحظ هذه العاطفة القوية في هذه الأبيات التي يقول فيها (٢) :

ويا رُبَّ ليلٍ لفَّنا بِردَائـــــــــــه عِناقا كما لفَّ الصَّبا البانَ والرندا
ولثم توالى إثر لثم بثغرهـــــــــا كما شافَهَ البازي على ظَمَـأ وِرْدا
فياقلب ماأشجى إذا الدارُ باعدت ويا دمعُ ماأجرى ويابَيْنُ مـاأردى
حلفتُ بما استولى عليه نِقابُـهـــا ويالك حلفا ما أرقَّ وما أنـــدى
بألا تَفيء العين عن سُنَّة البُكـــى وألا تَرِيعَ النَّفسُ إنْ لم تمتْ وجدا
وكيف يفيق القلب من سَوْرَةِ الهوى ومدَّهُ سِحرُ العُيُونِ بما مـــــدَّا

ومما سبق من الحديث عن العاطفة في شعر الحرب لدى الشاعرين نتبين أنَّ عاطفتي الفخر والتغني بالصفات الحميدة والتطلع إلى آفاق المجد وغيرها من الصفات التي تحيط بالفارس المحارب كانت هي المتمكنة من أبيات شعرهما الحربي ، بيد أنَّ العواطف الأخرى لم تكن معزولة عن أبياتهما الخاصة بشعر الحرب ، فقد برزت لنا عاطفة الحزن والفرح والحُب والشكوى والعتاب من خلال الأبيات السابقة ، كما لاحظنا صدقها في الأبيات المعبرة عن الفخر الذاتي والمعبرة عن رثاء الأبطال ، كذلك وجدنا صدقها وثباتها في الأبيات التى عبر بها الشاعران عن حالهما في الأسر والمنفى حيث بلغت أعلى قمة الصدق والثبات ، وفي رأيي أنَّ الشاعرين تقاربا في صدق العاطفة وثباتها وخاصة عندما نتأمل في أبيات البارودي التي قلَّد فيها الأقدمين "لأن رسالته لم تكن تجديد الشعر العربي في حياته المتدفقة الفياضة ، بل كانت بعث الشعر العربي من مرقده وتمزيق الأكفان التي احتوته مئات السنين ، وما وفق له البارودي من هذا البعث لا يزال حتى اليوم أعظم تجديد تم في حياة الشعر العربي منذ نهض البارودي به "(٣) ، كما نجد أن الشاعرين استخدما لغة واضحة ومعبرة عن جميع العواطف التي أظهرتها أبياتهما إلا أنَّ استخدام الألفاظ القوية والمتينة قد تميز بها أبو فراس في تعبيره عن عاطفة الفخر .

---

١. ضيف،شوقي:البارودي رائد الشعر الحديث . ص ١٥٩ .
٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١/ ٢٢٢-٢٢٣ .
٣. السابق.مقدمة الديوان لمحمد حسين هيكل . ص ٣١ .

المبحث الثالث :

الصورة الفنية في شعر الحرب عند الشاعرين

ثالثا : الصورة الفنية في شعر الحرب عند الشاعرين

لاشك في أنَّ الشعر لوحة تصويرية لما يدور في نفس الشاعر من مشاعر وأحاسيس ، يؤيدها فكره القائم على التجارب التي خاضها الشاعر ، والظروف المختلفة في أحوالها وأثرها على النفس ، والصورة الشعرية "هي الجوهر الثابت في الشعر ، ويظل الاهتمام بها قائما مادام هناك شعراء مبدعون ، ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه وإدراكه والحكم عليه"(١) ، فهي من الأساسيات الهامة والركائز التي يرتكز عليها العمل الأدبي ، لأنها"عنصر عمدة لا يخلو منه العمل الأدبي ، وطابع أصيل في أي إبداع شعري ، وهي وعاء الأديب الذي ينقل به مشاعره و أحاسيسه " (٢) ، وقد ملئت أشعار العرب بالصور والروائع التي تبث الحياة في القصيدة وتجعلها حية بألفاظها ومعانيها ، فالعرب" أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحِكَمِ ما أحاطت به معرفتها ، وأدركته عيانها ، ومرت به تجاربها "(٣) ، حتى ظهر لنا ديوان يحمل أروع الصور وأنفس الأوصاف ببلاغة لا نظير لها ولا مثيل ، وكان الإدراك الحسي من عوامل صورها لأنه "يتدخل كثيرا في بناء الصورة الشعرية ، وما أكثر ما نرى في الشعر العربي من صور شعرية تروق لحاسة البصر أوالسمع أوالذوق أوالشَّمِّ أواللمس ، أومن صور تروق لحاستين أوأكثر من الحواس"(٤) ، فكيف يخاطب الشاعر مشاعر الآخرين ويؤثر في نفوسهم ؟ إلا إذا رسم لنا صورة ذات إطار يوحي بحياة القصيدة ويحرك ساكنها ، فلا يقوم الشعر بوظيفته الفنية إلا حينما"يقدم صورا يدركها المتلقي إدراكا حسيا ، فتؤثر في وجدانه ، وتنفذ إلى مشاعره، فالحَوَاسُّ هي أبواب المشاعر والنوافذ الطبيعية إليها " (٥) .

---

١. الزواوي ،خالد:تطور الصورة في الشعر الجاهلي. مؤسسة حورس الدولية . الإسكندرية . ط١/. بدون تاريخ . ص ١٨ .

٢. الغنيم،إبراهيم بن عبد الرحمن:الصورة الفنية في الشعر العربي –مثال و نقد–. الشركة العربية للنشر . ط١/١٤١٦هـ . ص ١٨ .

٣. ابن طباطبا،محمد بن أحمد:عيار الشعر.تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام.المكتبة التجارية الكبرى.القاهرة.ط/١٩٥٦م .ص ٢٠.

٤. عتيق،عبدالعزيز:في النقد الأدبي. ط٢/١٣٩١هـ . ص ٦٨ .

٥. عبد المهدي،عبد الجليل حسن:الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري. مكتبة الأقصى . عمان . ط١/١٣٩٧هـ.ص ٣٩٥.

ويمكن أنْ نُعرف الصورة الشعرية بأنها "تلك اللوحة التي يرسمها الشاعر بحذق ومهارة ليبرز من خلالها مكنون أفكاره ، وصادق مشاعره ووجدانه"(١) ، أوأنها تعبير عن نفسية الشاعر ، وتشبيه الصورة التي تتراءى في الأحلام ، والتي عن طريقها يتم الكشف عن معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة (٢) ، بل إنَّ وجود الخيال أمر هام في الصورة الفنية حيث يُعد "العنصر الجوهري من عناصر الصورة الأدبية ، ولكي ندرك إلى أي مدى يُعدُّ الخيال أساسا في النقد الأدبي يكفي أنْ نشير إلى أنَّ من بين من عَرَّفوا الأدب عَرَّفوه بأنه لغة الخيال ، أوالتعبير عن الخيال . وإذا خلا الكلام من ألوان الخيال فهو بعيد كل البعد عن المجال الفني عند كثير من النقاد"(٣) ، وبهذا نجد أنَّ الصورة الفنية هي "الوسيلة الجيدة و الدقيقة لإظهار التجارب الشعورية ، بما تحوي من أفكار وخواطر ، ومشاعر وأحاسيس ، وبدونها لا نعرف شيئا عن تجارب الغير"(٤) . وقد تناول كل من أبي فراس الحمداني والبارودي في شعرهما الحربي كثيرا من الصور الفنية الرائعة التي تجسد لنا تلك التجارب التي خاضها كل منهما ، فمن هذه الصور التي تُجسد لنا شجاعة أبي فراس وبأسه في الحرب ، وأنَّ همة لا يزعزعها شيء قوله (٥) :

أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مُهرٌ ولا ربُّهُ غِـمْـــرُ
ولكن إذا حُمَّ القضاءُ على امـــرئٍ فليس له بَرٌّ يَقيهِ ولا بَحـــــرُ
وقال أصيحابي الفرارُ أوالـــــردى؟ فقلت هما أمران خيرهما الأســـرُ
يقولون لي بِعتَ السلامة بالـــردى فقلت أما والله ما نالني خُســـرُ
وهل يتجافى عنِّي الموتُ ساعـــــة إذا ما تجافى عنِّي الأسرُ والضُّـــرُ
هو الموت فاختر ما علا لك ذِكـــرهُ فلم يمتِ الإنسان ما حَيِيَ الذِّكـرُ
يمُنُّون أنْ خلَّوا ثيابي وإنمـــــــا عليَّ ثيابٌ من دمائهمُ حمـــــرُ
وقائم سيفي فيهمُ اندق نصلـــــهُ وأعقاب رُمحي فيهمُ حُطِّمَ الصدرُ
سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهُـــــم وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البـــدرُ

---

١. بدوي،ناجي فؤاد:التجربة الشعرية بين النظرية النقدية والتطبيق النصي.ص ٢٤ .
٢. عباس،إحسان:فن الشعر. دار الشروق . عمان . الأردن . ط/٥.بدون تاريخ . ص ٢٠٠ .
٣. عبد الرحمن، منصور :اتجاهات النقد في القرن الخامس الهجري. الأنجلو المصرية . القاهرة . ط/١٩٧٧م . ٣٧٢ .
٤. صبح،علي علي:الصورة الأدبية تاريخ ونقد.دار إحياء الكتب العربية ، ط١٩٩١م . ص ١٠٩ .
٥. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني . شرح عبد الرحمن المصطاوي . ص ١٤٥ .

وفي الأبيات السابقة صور لنا الشاعر شجاعته وعلو مكانته أمام الروم التي ترغب في أسره ، وقد ضم إلى هذه الصورة الكاملة صورا جزئية لترسم لنا لوحة فنية رائعة ، فعندما أسره الروم لم يأسروه وهو من غير سلاح ، بل كافح وناضل وبذل كل الأسباب من أجل النجاة وإنقاذ نفسه من الهلاك ، لأنَّ أمنيته أنْ يُقتل في أرض المعركة شريفا عزيزا ، لكنه يعلم علم اليقين أنَّ ما أصابه لم يكن إلا بقضاء الله ، وقد رسم لنا صورة الشخص الهارب من قضاء الله والباحث عن مأوى يؤويه فلم يجد أرضا تضمه أوبحرا يقيه من أمر الله ، بل ضاقت به الحال حتى علم أنَّ الأمر كله بيد الله ، وفي هذه الصورة كناية عن ضعف هذا الفارس أمام قدرة الله و حكمته ، كما صور لنا الحوار الذي دار بينه وبين أصحابه وهم يُخيرونه بين الفرار من الوقوع في أيدي الروم أوأنْ يهلك على أيديهم فيختار الأسر لعلمه بمرارة كل منهما ، إلا أنَّ الأسر يحفظ له بطولته وشجاعته ويرفع من شأنه ، ثم يصور لنا فِعل سيفه بالأعداء حتى إنَّه يملأ أذن السامع بصوته وهو يتكسر في رؤوس أعدائه بقوله :(اندق نصله) ، ويصور الرماح وهي تتحطم على الأعداء بصورة تكاد تسمع أصواتها وكأنك حاضر في أرض المعركة ، ثم يصور لنا مستخدما الصورة البصرية المعتمدة على التشبيه الضمني حالة أصحابه وأهله يوم الحرب وقد فقدوه فأظلمت الدنيا في وجوههم ، وكأنه في هذه الحال كمن فقد ضوء البدر في الليلة الظلماء ، وبهذه الصور يجمع بين تصوير حالتهم النفسية الباطنية وبين حالتهم الجسمية الظاهرية ، وبهذا نجد أن أبا فراس استخدم الصورة البصرية والحوارية والصوتية في الأبيات السابقة .كذلك من الصور البصرية التي رسمها أبو فراس تلك الصورة التي تصور لنا بعض المعارك التي خاضها مع الدمستق حيث يقول (١) :

ولما برزنا للدمستق مـــــــرة ورأى بوادر خيلنا كالأسهـــمِ
طلب النجاة لنفسه فتحكمت في جيشه الأسياف أيُّ تحكـــمِ
ما كان بعضُ قُلُوبِنا في جِسمهِ فيكون أثبت من هضاب يلملمِ
لولا الجواد الأدهم الناجي بـــه أضحت قوائم رجله في الأدهـــمِ
ولئن نجا فرجاله وحُماتـــــــه ما بين مصفودٍ وبين مُكلَّـــــمِ
لبسوا الحديد برغمهم وبودهـم إنْ لم يكن ذاك الحُليُّ عليهـــمِ

---

١. السابق،ت: الدهان . ص ٣٧٧ .

ففي الأبيات السابقة نجد أنَّ أبا فراس رسم لنا صورة بصرية رائعة ، حيث صور خروج الفرسان إلى الدمستق وكأنهم السهام في سرعتهم،وصور لنا الدُّمستق وقد ولى هربا وترك جيشه في قبضة هؤلاء الفرسان ، كما رسم لنا صورة جند الدمستق ما بين أسير وجريح ، وصورة من صُفد بالقيود وأحاطت به القيود ، وبهذه الصورة نجد أنَ الشاعر قد أضاف إليها عنصر الحركة فالفرسان ينطلقون كالسهام ، والدمستق يفر هربا بجواده، والأسرى يُسحبون وتوضع في أيديهم وأرجلهم القيود ، والجرحى يئنون من ألم الجراح ولا مغيث ، وبهذا استخدم الشاعر الصورة البصرية المتحركة لوصف هذا المشهد الرائع .كما صور البارودي جنوده الأبطال الذين يخشاهم الأعداء بصور رائعة جمعت بين الصور الحسية والمعنوية حيث يقول (١) :

وفتية كأسود الغاب ليس لهـــــــم إلا الرماح إذا احمرَّ الوغى أجمـــــمُ
كالبرق إن عزموا والرعد إن صدموا والغيث إن رحموا والسيل إن هجموا
لايرهبون المنايا أن تلُمَّ بهـــــــــم كأنَّ لقيا المنايا عندهم حرمـــــمُ

فاستخدام التشبيه يرسم لنا الصورة البصرية التي تبين مدى قوة هؤلاء الأبطال ، فتشبيههم بالأسود كناية عن الشجاعة التي لا تهزم ولا تخضع لإهانة الأعداء وبطشهم ، كما نجد أنَّ تشبيه عزمهم بالبرق المحرق ورحمتهم بالغيث المبارك واقتحامهم لأرض المعركة بالسيل الذي يغمر الأرض ويدمر الممتلكات ؛ كل هذه الصور البصرية الرائعة والمدعمة بما يحدث في الطبيعة أضفت على المعنى صفة الدقة وتكامل أجزاء الصورة ، كذلك أضاف الشاعر للصورة السابقة اللون حيث استخدم اللون الأحمر الذي يوحي بشدة بأسهم حيث يجعل الأعداء فريسة سهلة بين مخالب هؤلاء الأبطال ، وهنا نجد أنَّ الخيال زاد من تماسك هذه الصورة وأظهر ترابطها وتكامل أجزائها . كذلك من وصف البارودي في هذا المجال قوله (٢) :

ولما تداعى القوم واشتبك القنا ودارت كما تهوي على قطبها الحــربُ
وزين للناس الفرار أوالـــــــردى وماجت صدور الخيل والتهب الضَّربُ
ودارت بنا الأرض الفضاء كأننا سُقينا بكأس لا يفيقها شُـــــــــربُ

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٥٣٨/٣ .

٢. السابق ، ٦٧/١ .

فاشتباك القنا ، ودوران الحرب والتحامها ، وفرار الناس ، وما حصل للخيل من حِدة واضطراب في الحركة ، والتهاب الضرب ؛ كل ذلك يصور لنا صورة مرئية تتحرك عناصرها في كل الاتجاهات ، فاشتباك القنا يحتل الصورة من أعلاها ، ودوران الحرب يستولي على وسطها ، وحركة الخيل ومطاردة الأعداء بالسيوف تحيط الصورة بأكملها ، وبهذا نجد أنَّ الشاعر قد تناول هذه الصورة بدقة عالية وألفاظ تبعث الحركة في جميع عناصرها ، ومما سبق يتضح لنا أهمية الصورة البصرية وما تحويه من مدلولات عميقة ،"فالصورة البصرية هي مخاض جميع الحواس ، وثمرة كل الملكات ، فهي الإلهام الذي يأتي الشاعر اتفاقا نتيجة قراءاته ومشاهداته وتأملاته ، بل تجربته التي يحياها بعمق ، فيثير عن طريقها خياله وذاكرته على السواء ؛ ليسوقا تعبيرا مفعما بالحركة "(١) .

ومما تناوله الشاعران في هذا المجال الصورة التشخيصية بحيث يبرزان ما تناولاه من وصف في صورة كائن حيٍّ يتحرك ويحس ويتنفس ويتحدث ، وهذه الصورة تندرج عند القدماء من البلاغيين والنقاد تحت مسمى الاستعارة المكنية ، وبهذا جُمِّدت هذه الصور تحت هذا المسمى حيث ظلوا منجذبين إلى علاقة المشابهة في الصورة الشعرية ، وظلت معالجتهم للصورة التشخيصية محصورة في ذلك الإطار الجامد الذي أطلقوا عليه اسم الاستعارة المكنية ، على الرغم مما كان يتناثر في تراثنا الشعري من نماذج بارعة لهذا التشخيص (٢) ،وهي تُعد من العناصر الأساسية لتشكيل الصورة الشعرية ، ومن أمثلة ذلك ما صوره أبو فراس عندما رثى ابن أخته أبا المكارم المقدام الذي حاز صفات الشجاعة والإقدام ، حيث يقول على لسان الموت الذي أظهر ضعف كل من حوله (٣) :

أين الليوث التي حوليك رابضـــة؟ أين الصنائع؟ أين الأهل؟ ما فعلوا!
أين السيوف التي يحميك أقطَعُها؟ أين السوابق؟ أين البيض والأسلُ؟
ياويح خالك بل يا ويح كل فـتى أَكُلَّ هذا تخطى نحوك الأجـــلُ!

---

١. عسران،محمود:موسيقى الشعر . مكتبة بستان المعرفة . الإسكندرية . ط/٢٠٠٧م . ص ٣٤٥ .
٢. زايد،علي عشري:بناء القصيدة العربية الحديثة. مكتبة الشباب . القاهرة . ط/١٤١٧هـ . ٧٤ -٨٦ .بتصرف.
٣. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني . ص ٢٧٦ .

فالموت صُوِّر في هيئة شخص يتحدث ويسائل الميت الذي عُرف بشجاعته وشدة بأسه ، حيث سأله عن عناصر القوة التي كانت تحيط به ، ما فعلته عندما قَدِم الموت واختطف نفسك من بينهم ؟! هل استطاعت منعك من الموت أوتأخير أجلك ؟ ثم يخاطب الموتُ الأبطالَ الذين يحيطون به والأموال والعطايا المبذولة للخلق والأهل الذين أحاطت بهم رعايته ؛ ما فعلوا تجاه الموت وفجأته ! ثم ينتقل لمخاطبة العُدد والآلات الحربية التي ما انفكت ملازمة له طيلة حياته ، هل كانت منجية له من الموت ؟ كل هذه الأمور جعلت الموت في صورة كائن حي يخاطب من أمامه باستفهام تعجبي ، ويقتحم كل قوة أحاطت بالفقيد ، من غير خوف ولا تردد ، كما أضافت للصورة تصوير المحامين عنه وهم في حالة صمت وذُل أمام هذا الموت القاهر ، فأضافت للصورة قوة في المعنى ووضوحا في الوصف .كما نجد البارودي قد تناول هذا التشخيص في صور عديدة ، فالشَّرُ الذي يلحق الأعداء يناديهم ويحذرهم من عاقبة أمره ، والقنا تصيح وتتعالى أصواتها مبشرة الأعداء بالموت القادم ، كما في قول البارودي (١) :

إذا نحن سِرنا صرَّح الشر باسمه وصاح القنا بالموت واستقتل الجُندُ

فهاتان الصورتان التي جعلت الشَّر والقنا في هيئة كائن حيٍّ يمتلك القدرة على الحديث ورفع الصوت ؛ قد رسمت لنا شخصيتين يهابهما الأعداء ويفر منهما ، حيث حوَّل الشاعر صورة الشَّر المعنوية وصورة القنا الحسية إلى أشخاص تدب فيهما الحياة ويَسمع الأعداء كلامهما . كما صور لنا البارودي سيفه وقد صار قاضيا يحكم بقتل الأعداء وتُنفذُ أحكامه ، وذلك في قوله (٢) :

في قائم السيف إنْ عزَّ الرضا حَكَمُ فالحُكم للسيف إنْ لم تصدع الكلمُ

فحدُّ السيف إليه يحتكم الأبطال عندما تلتهب المعركة ليوجههم بتنفيذ أحكامه على الأعداء ، فالسيف قد لبس حلة الحاكم العادل ، وعلا محياه السمت والوقار ، وأصغى المتحاكمون إلى أمره وأحكامه ، ثم نُفِّذت فور صدور حكمه . كذلك من الصور التي جسدها البارودي قوله في تصوير فعل سيفه بقوله (٣) :

يمُرُّ بالهام مرَّ البرق في عجلٍ وقت الضِّراب ولم يعلق به بللُ

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١٦٨/١ .

٢. السابق ، ٥٣٥/٣ .

٣. السابق ، ١٦٣/٣ .

فصوره في هيئة البرق حين يمر سريعا ليفلق هام الأعداء ، فالسرعة والعجلة من خصائص البرق ، لذا أضيفت للسيف زيادة في وصفه بالبتر والقطع السريع .كذلك من الصور التي استخدمها الشاعران الصورة الصوتية التي تخاطب حاسة السمع وترسم في الذهن لوحة خيالية تغني عن الصورة البصرية ، ومن أمثلة هذه الصورة عند أبي فراس قوله (١) :

ألم تخبرك خيلي عن مقامي بـ(بالسَ) يوم ضاق بها المقَامُ

فصور الخيل وهي تتحدث وتخاطب الناس فيسمعون حديثها ، وتخبرهم بما أبلت من بلاء حسن في تلك الواقعة التي كان النصر حليفها ، وبهذا نجد أن الشاعر استخدم الصورة المعتمدة على حاسة السمع لعدم رؤية المخبر للواقعة التي خاضها هذا الجيش ، وأضاف للخيل صفات البشر لكثرة مشاركاتها في الحرب واصطحاب الفرسان لها حتى صار الفارس وخيله كالجسد الواحد الذي تتحدُ أحاسيسه ومشاعره .كذلك من الصور المخاطبة لحاسة السمع قول أبي فراس (٢) :

ويومٍ تخال الرعد في جنباته لشدة أصوات القنا والهماهِمِ

فأصوات الرماح وهي تنهال على الأعداء وتخترق أجسادهم كأصوات الرعود المدوية في الأفق . وهذه الرماح التي تشبه أصواتها أصوات الرعود تُبشِّرُ بإمطار أرض المعركة بالدماء كما تُبشر الرعود بنزول الغيث ، وهذه الصورة السمعية الرائعة لهذه المعركة كناية عن شجاعة فرسانها وشدة بأسها ، كما أنَّه استخدم صوت الرعد لأنَّ صوته يملأ السمع والأفق ، فلا يشُكُّ سامعه في صوته ولا يختلط بغيره من الأصوات . كما استخدم البارودي الصورة السمعية في شعره الحربي ، ومن تلك الصور قوله (٣) :

ومعترك للخيل في جنباتـــــه صهيل يَهُدُّ الراسيات وئيـــدهُ
بعيدً سماءِ النَّقعِ ينقضُّ نسره على جُثث القتلى وينغلُّ سِيدُهُ

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني . شرح الدهان . ص ٣٦١ .
٢. السابق . ص ٣٨٣ .
٣. البارودي، محمود سامي:ديوان البارودي ، ١٨١/١ .

فالخيل عندما تتقابل فإنَّ حمحمتها تملأ جو المعركة وصهيلها يهدُّ الجبال الراسية التي لايزعزعها شيء فكيف بمن خاض المعركة ، كما أنَّ أيديها وأرجلها عند خوضها لأرض المعركة تُصدر أصواتا تضاف لصهيلها فتملأ الجوَّ وئيدا يكسوه اللون الأغبر الناتج عن إثارتها للأتربة والغبار .كذلك صور البارودي صهيل خيله في أرض المعركة بصورة سمعية أعم وأشمل من الصورة السابقة ، حيث يقول (١) :

وخيل يعم الخافقين صهيلها نزائعُ معقودٌ بأعرافها النَّصرُ

فالخافقان يطلقان على المشرق والمغرب ؛ لأنَّ الليل والنهار يخفقان فيهما ويختلفان ، فصهيل الخيل يسري ويشتد حتى يصل إلى الخافقين فيملأ السماء وتسمعه جميع الأقطار ، وهو بهذه المبالغة يرسم صورة سمعية مرعبة تُنبئ عن كثرة الخيل وارتفاع صهيلها في ساحة المعركة .

مما سبق يتضح "أنَّ الصورة السمعية تنقل لنا ما يحدث في أرض المعركة من أصوات ناتجة عن الفرسان والعُدد الحربية في إطار مدعَّم بالخيال لأنَّ للمسموع حضورا ذهنيا أسمى من مما يدرك بالنظر ، والسمع قد ينفع المرء حين لا ينفع البصر ، واستشعار الجَمال يكمن في السمع كما يكمن في البصر تماما"(٢) .

ومن الصور الكليلة التي تناولها أبو فراس هذه الصورة التي صور فيها إحدى حروبه ضد أعدائه وأعداء سيف الدولة ، حيث يقول (٣) :

سلِي عنا سَراةَ بني كِلابٍ بـ(بَالِسَ)عند مشتجر العوالي
لقيناهم بأسياف قصار كَفَيْنَ مَؤُونة الأسَلِ الطِّوالِ
وولى بـ(ابن عَوْسَجَةٍ كثيرٍ) وَسَاغُ الخطوِ في ضَنْكِ المِجالِ
يرى (البرغُوث)إذ نجَّاهُ منا أجَلَّ عَقِيلَةٍ وأَحَبَّ مالِ
تدور به إماء من قُريظٍ وتسألهُ النساءُ عن الرجالِ
يقلنَ له السلامة خيرُ غُنمٍ وإنَّ الذُّلَّ في ذاك المقالِ
و(جُهمانٌ)تجافتْ عنه بيضٌ عدلنَ عن الصَّريحِ إلى المِوالي

---

١. السابق ، ٤٥/٢ . مع الشرح في هامش رقم ١ .
٢. أنيس،إبراهيم:موسيقى الشعر . ص ٣٥٠ .
٣. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني . شرح الدهان . ٣٠٦-٣٠٧ .

ففي الأبيات السابقة نجد أنَّ الصورة اشتملت على جميع عناصرها المؤدية إلى تكاملها وتماسك أجزائها ، فقد صور الشاعر أحداث المعركة وما آلت إليه ، كما صور الآلات التي اعتمد عليها الأبطال أثناء النزال والتحام الصفوف ، كما صور هروب الأعداء وفرارهم من المعركة ومن بينهم قائدهم ، وقد ربط الشاعر بين عدد الصور لتكتمل الصورة المراد التعبير عنها ، فاستخدم الصورة السمعية عند ذكره لأسئلة النساء ، واستخدم الصورة الحركية عند تصويره لتشابك الرماح وبريق السيوف وفرار الأعداء والتفاف النساء حول قائدهم الذي فرَّ ومن معه من المعركة ، كذلك استخدامه للصور البصرية التي تُعدُّ إطارا لهذه الصورة المتكاملة في عناصرها وألفاظها وجرسها الموسيقي .

كذلك من الصور الرائعة التي صورها أبو فراس قوله (١) :

ومَلَكْتَ حصن عيون جَيحانٍ وقد أعيا الورى في دهره المتقدمِ
وأخذتهُ فرأيت أحسنَ منظـــــرٍ مِنْ سُورِهِ المتهتكِ المتهــدمِ

فهذه الصورة تُحلق بخيال المتلقي إلى مجالات أوسع مما تحويه الألفاظ ، فصوَّر لنا تلك الغزوات التي خاضها سيف الدولة وما طوت بين أسفارها من أفراح وأتراح حتى تمكن من الاستيلاء عليه ، كما أنها ترسم لنا صورة السابقين من الأجيال لزمن سيف الدولة الذين حاولوا الوصول إلى هذا الحصن ولكن بغير جدوى ، ومع هذا التصوير يتحدث الخيال ويصف كل لحظة من تلك اللحظات التي لم يكن النصر حليفا لها ، حتى أتى عهد سيف الدولة فكان انتصاره على الأعداء وامتلاكه لهذا الحصن مما يُخلد ذكره التاريخ . كذلك من الإيحاءات التي نقرؤها في تصويره هذا ؛ تلك الصورة التي صورت لنا سُور ذلك الحصن وحائطه العظيم وقد تهالكت أجزاؤه ، وتهدمت أركانه ، كناية عن طول عمره وعدم استطاعة السابقين من الأبطال الوصول إليه لما يحظى به من حماية يقوم بها الأعداء تجاهه على مدى الدهور المتقدمة ، وينطبق على هذه الصورة قول الآمدي"ليس العمل على نية المتكلم ، وإنّما على توجيه معاني ألفاظه"(٢) .

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس الحمداني . شرح الدهان . ص ٣٧٩ .

٢. ، الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر :الموازنة بين أبي تمام و البحتري . تحقيق أحمد صقر . دار المعارف . ط/١٩٦١م . ص ١٩ .

كذلك من الصور التي تكاملت أجزاؤها في شعر الحرب لدى البارودي تلك الصورة التي حملت بين ثناياها عناصر اكتمال الصورة ، حيث جمعت بين الصوت والحركة واللون ، تلك العناصر التي تجعل الصورة متماسكة الألفاظ مترابطة المعاني ، نجد ذلك في قوله (١) :

وبحر من الهيجاء خضت عُبابـــه ولا عاصم إلا الصفيح المشطَّـــبُ
تظل به حمرُ المنايا وسودهـــــا حواسر في ألوانها تتقلـــــــــبُ
توسطنه والخيل بالخيل تلتقـــي وبيض الظُّبا في الهام تبدو وتَغـــرُبُ
فما زلتُ حتى بَيَّنَ الكَّرُّ موقفـــي لدى ساعة فيها العقولُ تغيـــــبُ
لدن غدوة حتى أتى الليل والتقـى على غيهب من ساطع النَّقع غيهـبُ

فتشبيه خوضه للحرب بمن خاض البحر الذي تلاطمت أمواجه رسم لنا صورة بصرية توحي للمتلقي هول المعركة وشدة بأسها ، وزاد من وصفه لهول المعركة أنْ استخدم تصويره للسيف وقد تشطب حدُّهُ وتشقق من كثرة ضربه الأعداء ، فجمع بين الصورة البصرية ولون السيف المشطب ، بالإضافة إلى أصوات السيوف وهي تضرب هام الأعداء .

كما صَبغ الصورة السابقة بالألوان المناسبة للمعركة ، حيث استخدم اللون الأحمر الدال على الدماء النازفة واللون الأسود الدال على الموت ونهاية الحياة ، وهذان اللونان خاصان بإبراز نهاية الأعداء، أما لون سماء المعركة الداكن فأبرز لنا الشكل الخارجي للمعركة ، كما يظهر لنا أنَّ الشاعر جسَّدَ المنايا في شكل كائن حيٍّ حاسر الرأس لتكون الصور التشخيصية من عناصر الصورة الرابطة بين أجزائها ، كذلك نجد أنَّ تصوير الفرار والردى اللذين مالت إليها نفوس الأعداء قد رُسما في صورة تحسين القبيح الذي كان يُراود الأعداء عندما رأوا هول المعركة وأنَّ الهزيمة لاحقة بهم لا محالة ، كما يظهر لنا أن الصورة الصوتية قد حفلت بها أجزاء الصورة ، حيث نسمع الصوت في خوض المعركة و ضرب السيوف واقتحام الخيول والكَرِّ والفَرِّ ، كل هذه العناصر الرائعة التصوير رسمت لنا لوحة فنية تخاطب الحواس وتذكي الخيال لينطلق إلى أبعد مما أراده الشاعر .

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١/٤٠ .

كذلك من الصور الفنية عند الشاعرين استخدامهما للصور البيانية المتمثلة في التشبيه ، فمن أمثلة تلك الصور قول أبي فراس (١) :

إن حاربوا كنتُ المِجنَّ أمامهم وإن ضاربوا كنتُ المهند واليدا

فقد استخدم الشاعر التشبيه من أجل تضخيم الصورة وتجسيمها ، حيث شبه نفسه بالمِجنِّ وهو"الترس الذي تُتَّقى به أسلحة العدو في الحرب"(٢) ،كما شبه نفسه بالسيف القاطع عند الضرب والتلاحم ، وبهذا يعطي الصورة شكلا يجمل الرعب والهيبة ،كذلك من صور التشبيه عند البارودي قوله (٣) :

وجُدْ بما ملكت يداك من نشبٍ فالجود كالبأس يحمي العِرض والنَّسبا

فلأهمية الجود والعطاء والبذل استخدم البارودي الصورة البيانية ليشبهه بالحرب واقتحام الصفوف من أجل النصر والتمكين ، فبالجود والبذل السخي تُصان الأعراض وتُبرم العهود والمواثيق ويُدحر الشر والمكروه ، وهذه الصورة تحمل بين دفتيها أهمية الجود والكرم وأنه من أشرف الأخلاق وأنبل الصفات الإنسانية . كذلك نجد أنَّ الشاعرين قد استخدما الصورة الفنية المتمثلة في الاستعارة بشكل واسع في شعرهما الحربي ، فمن أمثلة تلك الصورة عند أبي فراس قوله (٤) :

بخيل لاتُعاند من عليها وقومٍ لا يرون الموت عارا

فقد شبه الشاعر الخيل بالشخص البعيد عن العناد ثم حذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه وهو عدم العناد ، ويريد بهذه الصورة أنْ يُبين مدى طاعتها وانقيادها للفارس وهذا ناتج عن كرمها وأصالتها .

---

١. الآمدي ديوان أبي فراس ، شرح الدهان . ص ٨٥ .

٢. ابن مالك ،محمد:إيجاز التعريف في علم التصريف. دراسة وتحقيق محمد المهدي عبد الحي عمار سالم .عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . ط١/١٤٢٢هـ . ص ٤٥ .

٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٦٨/١ .

٤. الحمداني،أبو فراس: ديوان أبي فراس ، شرح المصطاوي . ص ١٢٦ .

ومن أمثلة الاستعارة عند البارودي قوله (١) :

أنا من معشر كرام على الدهـ ـر أفادوه عزة وصلاحـــــا
فرعوا بالقنا قِنان المعـــــالي وأعدوا لبابها مفتاحـــــا

فقد شبه المعالي بالبيت أوالقصر ثم حذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو الباب والمفتاح ، فهذه الصورة تدلنا على المنعة والقوة التي نال شرفها أهل الشاعر وعشيرته ، وقد استطاع الشاعر أنْ يُغذي هذه الصورة باستخدامه للاستعارة المكنية .

ومن الصور التي استخدمها الشاعران تلك الصورة الفنية المتمثلة في الكناية ، فمن أمثلة تلك الصورة عند أبي فراس قوله (٢) :

يمنون أن خلوا ثيابي وإنمـــــا عليَّ ثيابٌ من دمائهم حمـــــرُ
وقائم سيفي فيهم اندقَّ نصلُهُ وأعقاب رمحي فيهم حُطِّمَ الصدرُ

فشدة القتل وكثرة القتلى بالإضافة إلى تجسيم الشجاعة التي يتصف بها الفرسان من صور الكناية البليغة .كذلك استخدم البارودي الكناية في صوره الفنية حيث يقول (٣) :

إذا وُلِد المولود منا فدَرُّهُ دم الصِّيدِ والجُردُ العناجيجُ مهدُهُ

ففي هذا البيت كناية عن تربية أبنائهم على الشجاعة والثقة بالنفس وتخطي عقبات الخوف والمذلة ، وبالكناية استطاع الشاعر أن يرسم هذه الصورة مستخدما ألفاظ الطفولة (وُلِدَ – المولود – درُّهُ – مهده) يقابلها ألفاظ القوة والشجاعة (دم الصِّيد – الجُردُ العناجيج) . ومما سبق نستطيع القول: أنَّ الشاعرين قد استخدما الصورة الفنية على أكمل وجهها ، وقد تنوعت ما بين الصور الكلية والبيانية ، كما أنني وجدت أنَّ أبا فراس قد تفوق على البارودي في استخدامه للصور البيانية .

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١٣٠/١ .
٢. الحمداني،أبو فراس: ديوان أبي فراس ، شرح الدهان . ص ٢١٣ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ١٤٦/١ .

المبحث الرابع :

الموسيقى الشعرية في شعر الحرب عند الشاعرين

رابعا : الموسيقى الشعرية في شعر الحرب عند الشاعرين

مما لا شك فيه أنَّ الموسيقى الشعرية تُعد عنصرا جوهريا من عناصر الشعر ، لا قوام له بدونها حيث تتعلق بالوزن والقافية ، فالقصيدة "تميل إلى تحقيق ذاتها أولا باعتبارها إيقاعا مستقلا قبل أن تصل إلى التعبير بالكلمات فالإيقاع سابق على اللغة"(١) ، وبهذا تكون القصيدة الموسيقية هي القصيدة التي لها نمط موسيقي من الأصوات ، ونمط موسيقي من المعاني الثانوية للكلمات التي تؤلفها ، وأنَّ هذين النمطين هما شيء واحد لا ينفصلان (٢) ، كما أنّها تُميز الشعر عن النثر فقد "كان القدماء من علماء العربية لا يرون في الشعر أمرا جديدا يميزه عن النثر إلا ما يشتمل عليه من الأوزان والقوافي ، وكان قبلهم أرسطو في كتاب الشعر يرى أنَّ الدافع الأساسي للشعر يرجع لعلتين ، أولاهما غريزة المحاكاة أو التقليد ، والثانية غريزة الموسيقى والإحساس بالنغم ، ثم بدأ النقاد في العصور المتأخرة يرون في الشعر أمورا أخرى يعبرون عنها بالصور و الأخيلة حينا ، ويصفونها بالعاطفة والانفعال النفسي حينا آخر"(٣) ، ولذلك "اكتفى الفارابي وابن سينا بأنْ يعتبرا اقتران الوزن بالتخييل الشعري أوالمحاكاة مميزا للشعر" (٤) وذلك في العصور المتقدمة ، ولا شك أنَّ موسيقى الشعر تزيد من انتباه القارئ والسامع وتزيد من رغبته في إنشاد الشعر وتكراره مرات عديدة ، كما تُعين على سهولة حفظ الأبيات الشعرية ، وفهم معانيها فهما دقيقا ، بالإضافة إلى أنَّها تُضفي على الكلمات حياة فوق حياتها ، وتهب الكلام مظهرا من مظاهر الجلال والعظمة ، وتجعله مصقولا مهذبا تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه (٥) ، كما أنَّ صلة الموسيقى بالشعر "أقوى منها بالتصوير ؛ فكلاهما فن سمعي ومادة الموسيقى الأصوات ومادة الشِّعر الألفاظ وهي تنحل إلى الأصوات"(٦) .

---

١. إليوت،توماس ستيرنز:في الشعر والشعراء .ترجمة محمد محمد جديد . دار كنعان . بيروت . بدون تاريخ . ص ٤٢ .
٢. السابق . ٣٥ .بتصرف.
٣. أنيس،إبراهيم:موسيقى الشعر. ص ١٤ .
٤. عصفور،جابر:مفهوم الشعر.الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط/١٩٩٥م . ص ١٩٢ .
٥. أنيس،إبراهيم:موسيقى الشعر . ص ١٦ .بتصرف.
٦. ضيف،شوقي:في النقد الأدبي. دار المعارف . مصر ، ط٥/١٩٦٢م . ص ٩٥ .

وعندما نتحدث عن الموسيقى الشعرية فإنَّا نقصد بها كل ما يحتويه الشَّعر من "جرس الألفاظ وانسجامٍ في توالي المقاطع وتردد بعضها بقدر معين منها"(١) ، وبهذا فإنَّ الموسيقى الشعرية ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى لأن إيقاعها يُبين للمتلقي مشاعر الشاعر وأحاسيسه وما يدور بداخله ، بل تجعل المتلقي يشارك الشاعر في أفراحه وأحزانه ، ولولا جمال الإيقاع الموسيقي في الأبيات الشعرية لما تميز الشعر عن الكتابة النثرية ، لذلك نجد أنها "جعلت الشعر محببا إلى النفس أكثر من النثر ، فتيسر حفظه ومداولته وانتقاله بين الأجيال في عصر انعدمت فيه الكتابة أوكادت"(٢) ، كما نجد أنَّ الإيقاع "يصبح ذا فاعلية في تمييز التجربة الشعرية عن تجارب كاتب المقال والقصة والمسرحية سواء في التشكيل ، أوالمحتوى ، أوالتأثير على المتلقي"(٣) ، ولا يمكن وصف التجربة الشعرية إلا من خلال تناسق الإيقاع الموسيقي المعتمد على الألفاظ المترابطة ؛ لأن الشِّعر "صعب المأخذ على من يريدُ اكتساب مَلَكَتِهِ . ولصعوبة منحاه وغرابة فنِّه كان مِحَكا للقرائح في استجادة أساليبه ، وشحذ الأفكار في تنزيل الكلام في قوالبه ، ولا تكفي فيه مَلَكَةُ الكلام العربي على الإطلاق ، بل يُحتاجُ إلى تلطُّفٍ ومحاولةٍ في رعاية الأساليب"(٤) .

وبهذا نجد أن الإيقاع الموسيقي "الذي يسيطر على الشاعر ليس من خَلْقِهِ أوابتكاره وليس نتيجة انفعال لحظي عند الإبداع ، فهو إيقاع سبق التعبير عنه ؛ لأنه يتفق مع إيقاع نفسي وفكري وحيوي للإنسان بوجه عام"(٥) ، فتوظيف الإيقاع الموسيقي للقصيدة توظيفا جيدا يصل بالقصيدة إلى قمة الصَّدارة الدالة على قوتها وصدق تجربتها ووضوح إمكاناتها الغنائية ، وذلك عندما يقوم الشاعر بتوظيفها "توظيفا عميقا في أعماله الفنية ، بحيث يصبح الشِّعر بنية متميزة لها خصوصيتها ، تلك الخصوصية التي تميزه عن النثر ، لابوصفه نظما لأفكار ، وإنما بوصفه خَلْقا جديدا متفردا أي بوصفه شِعرا"(٦) .

---

١. أنيس،إبراهيم:موسيقى الشعر . ص ٨ .

٢. الحداد ،عبد الوارث عبد المنعم:من صحائف النقد الأدبي الحديث . ص ٣٦٩ .

٣. يوسف،حسني عبد الجليل:موسيقى الشعر العربي – دراسة فنية وعروضية. دار الهيئة المصرية للكتاب . ط/١٩٨٩م ، ٢٥/١ .

٤. ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون . ص ٥٦٨-٥٦٩ .

٥. يوسف،حسني عبد الجليل:موسيقى الشعر العربي . ص ٢٥ .

٦. المرجع السابق . ص ٢٧ .

هذا وقد اشتملت صورة الحرب بين أبي فراس والبارودي على نوعين من الموسيقى :

النوع الأول : الموسيقى الخارجية .

النوع الثاني : الموسيقى الداخلية .

أولا : الموسيقى الخارجية .

١. الأوزان و البحور الشعرية :

فالوزن هو "مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت"(١) ، كما أنَّه "أعظم أركان حدِّ الشعر ، وأولاها خصوصية ، وهو مشتمل على القافية وجالب لها"(٢) ، لذلك نجد أنَّ "الوزن الشعري يحصل نتيجة تلاقي مجموعة أصوات الحروف وتناسقها على مختلف درجاتها الصوتية ، فتحدث وحدات تتكرر يحدث منها الوزن في البيت ثم في القصيدة ، وأي إخلال بالوزن في أي بيت من القصيدة إخلال بموسيقى الشعر"(٣) ، وعلى هذا فأوزان البحور الشعرية تُعد من أهم أركان الشعر الأساسية التي تُعرفُ بها صحة بناء القصيدة من خطئها، حيث إنَّ بناء القصيدة قائم على أساسها وكذلك هدم القصيدة منوط بها .

وقد قسم النقاد الموسيقى إلى موسيقى خارجية وأخرى داخلية ووضعوا لها ضوابط محددة ؛ إلا أنَّ بعض النقاد لايرى ذلك إطلاقا كما يقول الدكتور حسني عبدالجليل يوسف: "فإنني أرى أنَّه ليس هناك موسيقى داخلية ، وأخرى خارجية ، بل إنَّ هناك موسيقى واحدة تتراكب فيما بينها ليس منها خارج وداخل ، لأنَّ عناصرها الصوتية والمعنوية تُمثِّل مَعْزُوفةً ذات نسيج مُتداخل . أما مصطلح الموسيقى الظاهرة والخفية ، فيبدو لي أنَّ هناك خلطا بينهما من ناحية ، وبين الموسيقى الهادئة والموسيقى الخفية من ناحية أخرى ، فالموسيقى الهادئة نوع من أنواع الموسيقى الظاهرة التي تقوم على التشكيل والتنسيق الصوتي وتخضع لقانون التوافق والتماثل الصوتي ، أما الموسيقى الخفية فإنها تقوم على التنسيق المعنوي وتأتي في المقام الأول من علاقات

---

١. هلال،محمد غنيمي:النقد الأدبي الحديث . ص ٤٣٦ .

٢. ابن رشيق:العمدة. ١٣٤/١ .

٣. عبدالرحمن،منصور:اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري . ص ٢٢٩ .

التوافق والتضاد بين المعاني دون المباني ، من حيث تشكيلها الصوتي . فالوزن الموسيقي إطار ينتظم ألفاظا وتراكيب من خلال إيقاع متميز يمكن التَّعرُّفُ عليه مجردا من خلال رصد الحركات والسَّكنات مطلقة ، ثم استخدام التفاعيل للتمييز بين كل وزن وآخر . أما الموسيقى الظاهرة سواء أكانت عالية الجرس أم هادئة هامسة فإنَّها تقوم على الإيقاع الصوتي ، في حين تقوم الموسيقى الخفية على علاقات المعاني بين الألفاظ أوالتراكيب" (١) ، وفي رأي الباحث أنَّ الموسيقى منها ما هو خارجي ومنها ما هو داخلي وعليها تكون دراسة هذا المبحث .

وهناك سؤال يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن موسيقى الشعر " هل اتخذ القدماء لكل موضوع من الموضوعات وزنا خاصا أوبحرا خاصا من بحور الشعر التي رُويت لنا ؟ إنَّ استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لا يكاد يُشعرنا بمثل هذا التخير ، أوالربط بين موضوع الشعر ووزنه . فهم كانوا يمدحون ويُفاخرون أويتغزلون في كُلِّ بحور الشعر التي شاعت عندهم . ويكفي أنْ نذكر أنَّ المعلقات قد نُظمت على أوزان الطويل والبسيط والخفيف والوافر والكامل ، لنعرف أنَّ القُدماء لم يتخيروا وزنا خاصا لموضوع خاص . بل حتى ما سماه صاحب المفضليات بالمراثي جاءت من الكامل والطويل والبسيط والسريع والخفيف ... على أنَّنا نستطيع ونحن مطمئنون أنْ نقرر أنَّ الشاعر في حالةاليأس والجزع يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع يَصُبُّ فيه من أشجانه ما يُنَفِّسُ عنه حزنه وجزعه . فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النَّفسي ، وتَطَلَّبَ بحرا قصيرا يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية ، ومثل هذا الرثاء الذي قد يُنظم ساعة الهلع والفزع لا يكون عادة إلا في صورة مقطوعة قصيرة لا تكاد تزيد أبياتها على عشرة . أما المراثي الطويلة فأغلب الظن أنها نظمت بعد أنْ هدأت ثورة الفزع ، واستكانت النفوس باليأس والهم المستمر"(٢) .

---

١. يوسف،حسني عبد الجليل:موسيقى الشعر العربي . ص ١٤-١٥ .

٢. أنيس ،إبراهيم:موسيقى الشعر .ص ١٧٧-١٧٨ .

وفي رأي الباحث أنَّ هناك علاقة متينة بين البحور الشعرية وبين الأغراض "فالطويل يتسع لكثير من المعاني وإكمالها فلذلك يكثر في الفخر والحماسة والوصف والتاريخ ، ومنه معلقات امرئ القيس وزهير وطرفة ولامية الشنفري ،والبسيط يقرب من الطويل وإن كان لايتسع مثله لاستيعاب المعاني ولايلين لينه للتصرف بالتراكيب مع تساوي أجزاء البحرين ، ولكنه يفوقه رِقَّةٍ وجزالة ،ولهذا قَلَّ في الجاهلية وكثُر في شعر المولدين"(١) .

مما سبق يتضح لنا أنَّ كُلا من أبي فراس والبارودي قد سارا في نظمهما على ما سار عليه الأقدمون في التقيد ببحور الشعر التي وضع أُسُسَها الخليل بن أحمد الفراهيدي ، فأبو فراس نظم قصائده الحربية على غالب هذه البحور ، فقد استخدم البحر الطويل لأربع عشرة قصيدة والوافر لاثنتي عشرة قصيدة والكامل لأربع قصائد والبسيط لثلاث قصائد والخفيف لقصيدة واحدة والرجز لقصيدة واحدة ؛ كل هذه القصائد تناولت شعر الحرب وما يتعلق به من أدوات الحرب وصفات الفارس المحارب و ذلك عند أبي فراس ، وبهذا نجد أن البحر الطويل قد احتل المرتبة الأولى يليه البحر الوافر فالكامل فالبسيط فالخفيف فالرجز . أما البارودي فقد احتلَّ البحر الطويل المرتبة الأولى أيضا حيث نظم ما يزيد على ست عشرة قصيدة تناولت موضوعات الحرب في مجملها ، كذلك نظم بعض قصائده المتناولة لشعر الحرب على وزن البحر الكامل الذي يحتل المرتبة الثانية ، ثم يليه الوافر فالبسيط فالخفيف .

ولا شك في أنَّ البحر الطويل "أخذ من حلاوة الوافر دون انبتاره ، ومن رِقَّة الرَّمل دون لينه المفرط ، ومن ترَسُّلِ المتقارب دون خِفَّتِهِ وضيقه ، وسَلِمَ من جلبة الكامل وكزازة الرَّجز ، وأفاده الطُّول أُبَّهَةً وجلالة ، فهو البحر المعتدل حقا ، ونَغَمُهُ من اللطفِ بحيث يَخْلُصُ إليك وأنت لا تكاد تشعر به ، وتجد دندنته مع الكلام المصُوغ فيها بمنزلة الإطار الجميل مِنَ الصورة ، يزينها ويشغل الناظر عن حُسنها شيئا"(٢) ، كما نجد أنَّ هذا البحر قد "نُظِم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي ، وأنه الوزن الذي كان القدماء يُؤثِرُونه على غيره ، ويتخذونه ميزانا على أشعارهم ، ولاسِيما الأغراض الجِدِّيَةِ ، الجليلة الشأن ، وهو لكثرة مقاطعه ؛

---

١. الشايب،أحمد:أصول النقد الأدبي . ص ٣٢٢ .

٢. الطيب،عبد الله:المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها. دار الفكر . بيروت . ط٢/١٩٧٠م .١٣٦/١ .

يتناسب وجلال مواقف المفاخرة ، والمناظرة"(١) ، لذلك نجد أنَّ البحر الطويل قد احتلَّ المرتبة الأولى في شعر الحرب عند أبي فراس الحمداني ، و قد تناولت أبياته الحربية على هذا البحر موضوعات مختلفة وهي كالآتي :

أولا : الفخر بالقبيلة وتمجيد سادتها .

ومن أمثلة ذلك قول أبي فراس (٢) :

ونحن أناس لا تزال سُراتنـــــــــا لها مشرب بين المنايا ومطعـــمُ
نظرنا إلى هذا الزمان وأهلـــــــهِ فهان علينا ما يَشِتُّ ويَنظُـــمُ
وندعو كريما من يجود بمالـــــــه ومن يبذل النفس الكريمة أَكْـرَمُ
إذا لم يكن يُنجي الفرار من الردى على حالةٍ فالصَّبرُ أرجى وأحــزمُ

ففي هذه الأبيات استطاع الشاعر أنْ يصف قومه ويفخر بمآثرهم معتمدا على البحر الطويل الذي يُناسب هذا المقام ، فاستطاع في هذه الأبيات أنْ يُبين أنهم أهل حرب لا يهابون اقتحامها ، كما أنَّهم لا ترهبهم صروف الزمان ولا تقلب الأحوال ، وعندما يُذكر الكرم والجود فهم أهل لذلك ، بل عندما تضيق الدنيا وتظلم في وجوههم فلا خيار لهم إلا طلب الموت والبحث عن أسبابه ، كما نلحظ في هذه الأبيات كثرة استخدامه لألف المد التي تزيد الألفاظ صوتا عاليا يُنبه المتلقي كقوله :(سَراتُنا – المنايا – نظرنا – علينا) ، كما نجد الشاعر استخدم ألفاظا تتناسب مع هذا الغرض كـ(أناس – سَراتنا – أهله) ، كما ساعده هذا البحر على استخدامه الألفاظ التي تتناسب وشعر الحرب (المنايا – يبذل النفس . الفِرار – الردى) ، كل هذه المعاني وغيرها لم تكن لولا استخدامه للبحر الطويل الذي أعطاه مساحة واسعة يتنقل بالمعاني والألفاظ في أرجائها .

---

١. يوسف،حسني عبد الجليل:موسيقى الشعر العربي . ص ٢١٠ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، ت: الدهان . ص ٣٨٧ .

كذلك نظم البارودي أبياته التي يفخر فيها بأهله وعشيرته على هذا الوزن ومن أمثلة ذلك قوله (١) :

هنيئا لها نفسي على أنَّ دونهـــا فوارس لا خرس الصِّفاح ولا عُـزْلُ
من القوم ضَرَّابي العراقيبِ والطُّلى إذا استنَّت الغارات أوفغر المِحْـلُ
إذا نامت الأضغان عن وَتَرَاتِهـــا فقومي قومٌ لا ينام لهم ذحْـــــلُ
رجالٌ أُولو بأسٍ شديد ونجـــــدةٍ فقولهمُ قولٌ وفعلهمُ فِعـــــــلُ
إذا غضبوا ردوا إلى الأفق شمسـهُ وسال بِدُفَّاع القنا الحَزْنُ والسَّهـلُ
مساعيرُ حربٍ لايخافون ذِلـــــةً ألا إنَّ تَهْيابَ الحروب هو الـــذُّلُّ
إذا أطرقوا أبصرت بالقوم خيفـــةً لإطراقهمْ أوبينوا رَكَدَ الحفـــــــلُ
أولئك قومي أيُّ قوم وعُـــــــدةٍ فلا رَبْعُهُم مَحْلٌ ولا ماؤُهُمْ ضَحْـلُ

فالبارودي استطاع أن يتوسع في وصف أهله و عشيرة ويفيض عليهم من صفات المجد والعز والفروسية وذلك لم يكن إلا باستخدامه للبحر الطويل ، فعندما نتأمل الأبيات السابقة القليلة في عددها الواسعة في معانيه نجد أنه استطاع أنْ يصفهم بالشجاعة والبأس الشديد في حالة الحرب والقتال ، كما أنَّ الأعداء لايستطيعوا مقاومتهم ، فهم مساعير حرب ورجال جود وكرم ، كما استخدم الشاعر ألفاظا مرتبطة بالحرب كـ(الفوارس – الغارات – القنا – الحروب) ، كذلك نجد أنَّ هذا البحر أعطى الشاعر مجالا واسعا للتعبير عما يدور بخلده فوصف أفعالهم و أقوالهم ، و قد استخدم لفظة (قومي) مضافة لياء المتكلم ثم لفظ (رجالٌ) بتنوين الضم الذي يزيد في مستوى الإيقاع الداخلي ويدعو للوقوف والتأمل ثم استخدم لفظ(مساعير حربٍ) معرفا بالإضافة ، وكل هذه الألفاظ تؤكد مدى تعلق الشاعر بقومه وفخره بهم ، كذلك مما زاد في الإيقاع الداخلي تكراره لحرف السين الذي يُعد من حروف الهمس أكثر من عشر مرات ، إلى غيرها من المعني والألفاظ التي عبر عنها الشاعر من خلال هذا البحر الطويل .

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ،٣/٥١-٥٥ .

ثانيا : الفخر بالذات .

ومن أمثلة ذلك قول أبي فراس (١) :

وإني لجرارٌ لكل كتيبـــــــــــة مُعوَّدةٍ ألَّا يخِلَّ بها النصـــــــرُ
وإني لنزَّالٌ بكل مخوفـــــــــةٍ كثيرٌ إلى نُزَّالها النَّظر الشـــــــزرُ
فأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسْغبُ حتى يشبعَ الذِّئب والنَّسرُ
ولا أُصْبِحُ الحيَّ الخلوف بغـارة ولا الجيش ما لم تأته قَبْلِيَ النُّـــذْرُ

فالشاعر استطاع بهذا البحر أنْ يُعبر عن مناقبه وفروسيته التي أَهَّلَته لقيادة الجيش ، فهو يقود الكتائب التي لا ينفك عنها النصر ، ويقتحم المخاوف والمخاطر ، ولا يفارقه السيف والرمح في أي غارة من غاراته ، كل هذا التعبير الواسع بفضل استخدامه للبحر الطويل ، كما نجد أنَّ الألفاظ المتعلقة بالحرب قد كثرت في هذه الأبيات كـ(الكتيبة – النصر – النِّزال – البِيض – القَنا – الغارة – الجيش) ، كذلك مما زاد هذه الأبيات موسيقى قويه استخدامه للحرف المشدد في أكثر من خمسة عشر حرفاً ، وكذلك استخدامه لصيغ المبالغة التي أضافت للموسيقى الخارجية موسيقى داخلية رائعة . كذلك من الأمثلة الدالة على الفخر بالذات وذِكرِ مناقبها قول أبي فراس (٢) :

صبور ولو لمتبق مني بقيـــــة قؤولٌ ولو أنَّ السيوف جوابُ
وقورٌ وأحداث الزمان تنُوشني وللموت حولي جِيئة وذهـابُ

فاستطاع أنْ يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة والحلم والأناة مستخدما صيغة المبالغة المنونة بالضم لتضيف موسيقى داخلية للأبيات ، كما نجد أن الصفات التي ذكرتها لم يقتصر الشاعر على ذكرها فحسب بل بين مواطن التحلي بها ، فالصبر يكون على الموت في ساحة الموت ، والفصاحة بالشعر وغيره لا تخيف من الموت ، والحلم والأناة في حالة تقلب الأحوال وتكالب الأعداء ، وبهذا التعبير الواسع نجد أنَّ البحر الطويل أعطى الشاعر فرصة للتعبير عما في داخله من غير تقييد .

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، ت: الدهان . ص ٢١٢ .
٢. السابق . ص ٢٢ .

كما نجد أنَّ البارودي استخدم هذا البحر ليُعبِّر عن فخره بذاته حيث يقول (١) :

أنا المرء لا يثنيه عما يرُومُـــــــهُ نَهِيْتُ العِدا والشرُ عُريانُ أشـأمُ
أُغيرُ على الأبطال والصبح أشهبٌ وآوي إلى الضيفان والليلُ أدهمُ
ويصحبني في كلِّ روع ثلاثـــــة: حسام وطِرفٌ أعوجيٌّ ولهـــذمُ
وينصرني في كل جمع ثلاثـــــة: لسان وبرهانٌ ورأي محكَّـــــمُ

فالبارودي استطاع أنْ يتوسع في فخره بنفسه مُعتمدا على سعة هذا البحر ، حيث وصف شجاعته وكيفية تعامله مع الأعداء و كذلك الضيفان والفرق بينهما ، كما استخدم الألفاظ الدالة على فروسية وقيادته للجيوش كقوله :(حسام – طِرفٌ أعوجيٌّ – لهذمُ _ أُغيرُ على الأبطال) .

ثالثا : وصف الجُند .

فقد استخدم الشاعران هذا البحر للتعبير عن الجنود الأبطال الذين حققوا النصر والتضحية ، ومن أمثل ذلك عند أبي فراس قوله (٢) :

وفتيان صدق من غطارف"وائل" إذا قيل رَكْبُ الموت قالوا له انزِلِ
يسوسهم بالخير والشر ماجـــدٌ جَرورٌ لأذيال الخميس المذيَّـــلِ
له بطش قاسٍ تحته قلب راحـــمٍ ومنعُ بخيلٍ بعدهُ بذلُ مُفْضِـــلِ

فأبو فراس استخدم هذا البحر ليتمكن من وصف هؤلاء الجند ويمنحهم أوفر الثناء وأحسنه ، فوصفهم بـ(فتيان صدق) ووصف قائدهم بـ(بالماجد) ومنحه صفات الخير والشر ، فمن صفاته البطش بالأعداء والرحمة بالضعفاء ومنع الأعداء من العطايا والهبات وبذل المال للفقراء والمحتاجين ،كذلك استطاع أنْ يضيف إيقاعا داخليا للأبيات في قوله : (إذا قِيل رَكْبُ الموت:قالوا له:انزِلِ) . كما نجد أنَّ البارودي قد استخدم هذا البحر في وصف الجند وإظهار صفاتهم الحربية حيث يقول (٣) :

من النفر الغُرِّ الذين سيوفهـــم لها من حواشي كلِّ داجية فجرُ
إذا استلَّ منهم سيدٌ غَربَ سيفهِ تفرَّعتِ الأفلاك والتفت الدهرُ
لهم عَمَدٌ معروفةٌ ومعاقـــــلٌ وألوية حُمْرٌ وأفنيةٌ خضـــــرُ

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٦٥/٣ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، ت: الدهان . ص ٢٨٦ .
٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٤٣/٢-٤٤ .

فهم سادة في أقوامهم قد قدموا التضحيات ونالوا أعالي الرُّتب في قيادتهم للجيوش ، كما استخدم الألفاظ الدالة على قيادتهم للحرب والمرتبطة بالحرب كـ(سيوفهم – استَلَّ – غرب سيفه – ألوية حمر) ، كل هذه الألفاظ أعطت الأبيات قوة في تماسكها وزادت من متانتها ، كما استخدام الشاعر الحروف المشددة والمنونة ليزيد من إيقاع الأبيات الداخلي إضافة على الإيقاع الخارجي .

رابعا : وصف المعركة .

لاشك في أنَّ وصف المعارك يحتاج إلى سعة في الألفاظ وزيادة من الأدلة والبراهين ، وقد استطاع الشاعران أنْ يختارا البحر الذي يلبي هذا الغرض فكان البحر الطويل مساعدا لهما في ذلك ، فمن أمثلة ذلك عند أبي فراس قوله (١) :

ويوم تخال الرعد في جنباتـــــه لشدة أصوات القنا والهماهمِ
شفيت بعزمٍ صادق غيرِ كـاذبِ ورمح رُدينيٍّ وأبيض صـــارمِ

فاستطاع الشاعر أنْ يصور لنا أصوات المعركة التي شبهها بصوت الرعد القاصف ، ثم يُبين سبب هذا الضجيج من الأصوات الذي كان صادرا عن ضرب السيوف ورمي الرماح ، فهذا البيت اشتمل على تسع كلمات وصفت أصوات المعركة وبينت منشأ الأصوات ، ولولا اتساع الوزن لما استطاع الشاعر أن يرسم هذه الصورة الكاملة . كما نجد هذا التعبير الواسع لوصف المعركة عند البارودي حيث يقول (٢) :

ومعترك للخيل في جنباتـــــه صهيل يَهُدُّ الراسيات وئِيـــدُهُ
بعيدِ سماءِ النَّقعِ يَنْقضُّ نسرُهُ على جُثث القتلى ويَنْغَلُّ سِيدُهُ

فالبارودي استطاع أنْ يبين أنَّ المعركة يَصدُرُ منْ جنباتها أصوات تكاد الجبال الراسية تَنْهَدُّ من ضجيجها ، ثم يُبين لنا أنَّها صادرة عن صهيل الخيل في ساحة المعركة ، ثم يُبين لنا أجواء المعركة ويرسم

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، ت: الدهان . ص ٣٨٣ .
٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ،١٨١/١.

صورة الجثث وقد أضحت طعاما للنسور والطيور الجارحة ، هذه الصور الرائعة تجعل المتلقي في شوق للمزيد من هذه الأوصاف المترابطة ، كل ذلك يعود لاتساع هذا البحر وسلاسة أوزانه .

ومما سبق نستطيع القول بأن البحر الطويل قد احتلَّ المرتبة الأولى لشعر الحرب عند أبي فراس الحمداني والبارودي ، وأنَّهما استطاعا أنْ يستخدماه لتصوير الحرب وما يتعلق بها من صفات تتعلق بقائد المعركة الشجاع وأخرى تتعلق بالأبطال الذين حققوا النصر والظفر المبين وثالثة تتعلق بوصف المعركة ووصف أصواتها وأرضها وسمائها وقتلاها ، كل ذلك وغيره قد مهَّد طريقه وسَهَّلَ صِعابه ذلك الوزن الذي ارتبط بالبحر الطويل ، أما البحور الأخرى فقد تناولت موضوعات محددة لم تصل إلى ما وصلت إلية الموضوعات في القصائد التي نُظِمت على البحر الطويل ، لذلك اكتفيت بذكر أمثلة على البحر الطويل الذي أرى أنَّه سيد البحور في تناول موضوعات الحروب والمعارك وما يدور فيها .

٢. القافية :

لا شك في أنَّ القافية ركن أساسي من أركان الموسيقى الشعرية لايقل أهمية عن الأوزان والبحور الشعرية ، فهي لازمة "من لوازم الشعر العربي لا تنفك عنه وهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية ؛ ذلك لأنَّها ترتبط ارتباطا قويا بموسيقى الشعر وإيقاعه ، فهي نهاية الموجة الموسيقية التي يبدأ بها النغم في البيت"(١) ، كم أنَّها تُعطي "لونا من الموسيقى الظاهرة إلى القصيدة ، فهي القرار الذي ينتهي إليه كلُّ بيت ، فتحدث مع الوزن وحدة موسيقية في القصيدة"(٢) ، وبهذا تُعدُّ "مرتكزا إيقاعيا يستأنف الشاعر من خلاله موجة جديدة ثابتة للبيت"(٣) . ويمكن أنْ نعرفها بأنها "عدة أصوات تتكرر في أواخر الأبيات من القصيدة وتكرارها يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية . فهي بمثابة الفواصل الموسيقية

---

١. عبدالرحمن،منصور:اتجاهات النقد في القرن الخامس الهجري . ص ٢٤٨ .

٢. عبدالمهدي، عبدالجليل:أبو فراس حياته وشعره . ص ٣٩٣ .

٣. وائلي،كريم:الشعر الجاهلي قضاياه ومظاهره الفنية.دار العالمية للطباعة والنشر . بدون تاريخ . ص ٢٤٥ .

يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة ، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن"(١) ، وبهذا تدلنا القافية على الحالة النفسية التي كان يعيشها الشاعر عندما نظم قصائده وأطلق لها عنان التعبير والتأمل .

ومن خلال دراستي لصورة الحرب عند أبي فراس والبارودي وجدت أنَّ أكثر استخدامهما للقافية قد تمثل في استخدام القافية المطلقة وقل استخدامهما للقافية المقيدة ، كما نجد أنَّ القافية المكسورة عند أبي فراس احتلت المرتبة الأولى في شعره الحربي يليها المضمومة فالمفتوحة فالساكنة ، وقد اختلف ذلك عند البارودي فالقافية المضمومة احتلت المرتبة الأولى في شعره الحربي يليها المكسورة فالمفتوحة فالساكنة ، وقد ارتبطت القافية المكسورة عند أبي فراس بالبحر الطويل والوافر والكامل والبسيط أما البارودي فقد كثرت في البحر الطويل عن غيره من البحور الشعرية ، كما نجد أن القافية المضمومة كثرت في البحر الطويل عند أبي فراس والبارودي معا ، أما القافية المفتوحة فقد كثرت في البحر الوافر عند أبي فراس بينما نجد البارودي استخدمها في البحر الخفيف . فمن أمثلة القافية المكسورة عند أبي فراس قوله (٢) :

وإن تفتدوني تفتدوا لعلاكـم فتىً غيرَ مردودِ اللسان أواليـدِ
يُطاعن عن أعراضكم بلسانه ويضرب عنكم بالحسام المهندِ
وما كُلُّ وقافٍ له مثل موقفي ولا كُلُّ ورَّادٍ له مثلُ مـــوردي

فروي القصيدة حرف الدال المكسورة التي توحي بقرع النفس وهزِّ المشاعر وخاصة عندما تنبعث القصيدة في حالة نفسية متوترة ، حيث نظم الشاعر هذه القصيدة وهو في الأسر فجاء بجرس يوحي بالنفس الحزينة الكسيرة المنبعث من حرف الدال الذي يُعد من حروف الشدة والجهر بالإضافة إلى حركة الكسر ، كما أنَّ البحر الطويل زاد في امتداد ألفاظها وتعبيرها الدال على شجاعة الشاعر وثقته بنفسه .

---

١. أنيس،إبراهيم:موسيقى الشعر . ص ٢٤٦ .

٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، ت:الدهان . ص ٨٠ .

كذلك من أمثلة القافية المكسورة عند البارودي (١) :

وإني لمقدام على الهول والـــردى بنفسي وفي الإقدام بالنفس ما يُرِدِي
وإني لقوالٌ إذا التبس الهـــــدى وجَارَتْ حُلُومُ القوم عن سَنَنِ القصدِ
فإنْ صُلْتُ فَدَّاني الكَمِيُّ بِنفسِـهِ وإنْ قُلْتُ لبَّاني الوليدُ مِنَ المهْـــــدِ

فحرف الروي المكسور أعطى صورة الفخر نبرة تجمع بين الشدة والجهر بالإضافة إلى حركة الكسر التي توحي بانكسار النفس والسعي للوصول إلى قمة المجد .

ومن أمثلة القافية المفتوحة عند أبي فراس قوله (٢) :

ولما لم أجد إلا فـــــــرارا أشدَّ من المنية أوحِمامـــــا
حملتُ على ورود الموت نفسي وقلت لعصبتي:موتوا كرامـــا
ولم أبذل لخوفهم مجنـــــــا ولم ألبس حِذار الموت لامـــا
وعُذتُ بصارم ويدٍ وقلـــــبٍ حماني أن أُلام وأن أضامـــا

فالشاعر استخدم ألف الإطلاق ليُخرج ما في نفسه من آهاتٍ تتعلق بطلب المجد والتعالي عن الصفات الدنيئة ، فما كان من الشاعر إلا أن أطلق صوته ليعانق سماء المجد والطموح . كذلك من أمثلة القافية المفتوحة عند البارودي قوله (٣) :

أنا من معشر كرام على الدهـ ـــر أفادوه عزة وصلاحا
فرعُوا بالقنا قِنان المعـــــالي وأعدوا لبابها مفتاحـــا

فحرف الحاء من الحروف الحلقية و عندما تصاحبه الألف تزيد في امتداد الصوت وارتفاعه ، والبارودي في هذه الأبيات يريد أنْ يُسمع أعداءه و يُعرفهم بأصالته وكرم نسبه ، فما كان منه إلا أن يستخدم هذه القافية التي تنفتح الآذان لسماعها .

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٢١٣/١ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، ت: الدهان . ص ٣٦٣ .
٣. البارودي،محمود سامي.ديوان البارودي ، ١٣٠/١ .

ومن أمثلة القافية المضمومة عند أبي فراس قوله (١) :

وإني لجرارٌ لكل كتيبـــــــــــة مُعوَّدةٍ ألَّا يخِلَّ بها النصـــــــــرُ
وإني لنزَّالٌ بكل مخوفـــــــــةٍ كثيرٌ إلى نُزَّالها النَّظر الشـــــــزرُ
فأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسْغبُ حتى يشبعَ الذِّئب والنَّسرُ

فأبو فراس في هذا الموطن يفخر بنفسه ويتعالى بشجاعته ويعلم في قرارة نفسه أنَّهُ الفارس الوحيد في قومه ، فاستخدم ألفاظا ذات جرس رنان كقوله : (جرارٌ لكل كتيبة – نزَّالٌ بكلِّ مخوفةٍ) مستخدما صيغ المبالغة والتنوين بالضم والأحرف المشددة ، كل هذه جعلت حرف الراء المضموم رويا لهذه الأبيات ، فالراء من حروف الجهر وحركة الضم تبعث القوة والشدة وبها تناسبت هذه القافية مع غرض الشاعر .

كذلك من أمثلة القافية المضمومة لدى البارودي قوله(٢) :

ونَقْعٍ كلُجِّ البحر خضتُ غمارهُ ولا معقلٌ إلا المَناصِلُ والجُـرْدُ
صبرتُ لهُ والموتُ يحمرُّ تـــارةً ويَنْغلُّ طورا في العَجاجِ فيسْوَدُّ

فالبارودي يصف المعركة التي انتهت بانتصاره مستخدما البحر الطويل الذي حَمَل ألفاظا كثيرة للتعبير عنها في البيت الواحد ، وهذا الوصف كثرت فيه الحروف المشددة والمضمومة والمنونة من أجل أن تقرع الآذان وتهز المشاعر ، فكان من المناسب جدا أن يكون حرف الروي هو حرف الدال المضموم ؛ ليجمع بين الجهر والشدة وليقرع به الأسماع .

ومما سبق نجد أنَّ الشاعرين قد استخدما لكل غرض قافية مناسبة واستخدما لكل قافية رويا مناسبا ، فمن خلال دراستي لصورة الحرب بين أبي فراس والبارودي وجدت أنَّ كلا منهما قد أصاب في اختياره للقافية المناسبة للغرض الذي يريده ولم أجد لواحد منهما تقصيرا في ذلك ، كما اتضح لي أنَّ الحالة النفسية والمشاعر والأحاسيس التي تدعو الشاعر لنظم القصيد لها الأثر البارز في اختيار القافية والروي المناسب لها ، كما توصلت إلى أنَّ حركة حرف الروي جزء من حركات وانفعالاته الشاعر النفسية .

---

١. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، ت: الدهان . ص ٢١٢ .
٢. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي . ص ١٦٩/١-١٧٠ .

ثانيا / الموسيقى الداخلية :

لا شك في أنَّ الموسيقى الداخلية تزيد بل تقوي الموسيقى الخارجية فهي "أدق من الموسيقى الأولى ، وإذا فُقِدت في شعرٍ لم يُسمَّ شعرا"(١) ، لأنَّ وراء الموسيقى الخارجية "موسيقى خفية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته ، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات ، وكأنَّ للشاعر أذنا داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمعُ كلَّ شَكْلَةٍ وكلَّ حرف وحركة بوضوح تام ، وبهذه الموسيقى الداخلية يتفاضل الشعراء"(٢) ، لذلك يمكن أنْ نُعرفها بأنها الموسيقى "التي تصدر عن قدرة الشاعر على اختيار الكلمات المناسبة والنظام الذي تتعاقب فيه ، إلى جانب ما في الكلمات من تلاؤم بين حروفها وحركاتها"(٣) ، هذا وقد اشتملت قصائد شعر الحرب عند أبي فراس والبارودي على كل المعاني التي تحمل الموسيقى الداخلية ، فمن ذلك ما نلحظه من تكرار لبعض الكلمات الذي يزيد الأبيات قوة وتأكيدا للمعاني التي يقصدها الشاعر ، وهذا يكون "بتكرير اللفظ أوالمعنى في البيت أوالعِبارة لإحراز فائدة التأكيد والترسيخ"(٤) ، ومِنْ أمثلة ذلك عند أبي فراس قوله (٥) :

ورثوا الرئاسة كابرا عن كابر من عهد عادٍ في الزمان وجُرْهُمِ

فإثبات السيادة والرئاسة في أهله وعشيرته تحتاج لهذا التكرار في قوله (كابرا عن كابر) الذي يبين تأصلها منذ العهود القديمة فيهم ، كما نجد هذا التكرار عندما يهزأ بحاسديه الذين فرحوا بأسره وتمكن الأعداء منه حيث يقول (٦) :

تمنَّيتمُ أنْ تَفقِدوني وإنمـــــا تمنيتمُ أنْ تَفقدوا العِزَّ أَصيـــــدا
أَمَا أنا أعلى من تعُدُّون هِمَّةً وإنْ كُنتُ أدنى مَنْ تَعُدُّون مولدا

فكرر تمني الأعداء والحاسدين لفقده وهلاكه في قوله (تمنيتمُ – تمنيتمُ) وكأنه يقول : لقد طلبتم المستحيل ؛

---

١. ضيف،شوقي:في النقد الأدبي . ص ١١٣ .
٢. السابق . ص ٩٢ .
٣. عبدالمهدي،عبدالجليل:أبو فراس حياته و شعره . ص ٤٠١ .
٤. معطوي،يحي:البديع في علم البديع. تحقيق ودراسةمحمد مصطفى أبو شوارب . راجعه وقدَّم له مصطفى الصادي الجويني.دار الوفاء للطباعة . الإسكندرية . مصر . ط١/٢٠٠٣م . ص ١٨٩ .
٥. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، ت: الدهان . ص ٣٧٧ .
٦. السابق . ص ٨٥ .

والحق أنَّ فقدي فقدٌ لعزكم وسؤددكم ، ثم يعود فيكرر لفظ (تعُدُّون – تعُدُّون) وكأنه يسخر منهم لأنه يرى نفسه عالية الطموح بعيدة المنال بينما يراها أعداؤه دنيئة ساقطة ، وبهذا التكرار يمنح الأبيات إيقاعا يوحي بأهمية الأمر وكشف أسراره ، كما نجد أنَّ لفظ (تمنيتمُ) أعقبها لفظ (أنْ) الساكنة التي أعطت جرسا قويا يحبس الصوت الذي خرج من بين مشاعر الأسى والحسرة على هذا الصنيع ، كذلك نجد (منْ) بنونها الساكنة تسبق لفظ (تعُدون) ليكون الغرض من انحباس الصوت أنْ ينطلق بعده ليبن بل يكشف نوايا أعدائه وحاسديه . وعندما نتأمل في أبيات البارودي الحربية نجد التكرار يُلازم بعضها ومن أمثلة ذلك قوله (١) :

إذا ما اعتقلتُ الرمح –والرمحُ صاحبي– على الشر. قال القِرْنُ: إني هازلُ

فالبارودي أرد من تكرار لفظ (الرمح) أنْ يبن أنَّ رمحه لا ينفك عنه فهو مستعد لأهوال الحرب مناضل من أجل طلب الحق ودفع الظلم ، وبهذا التكرار أضفى للأبيات إيقاعا يستهوي المتلقي وينقله بين معاني الأبيات التي يؤكد بعضها بعضا ، كما نجد هذا التكرار في قوله (٢) :

فإياك أنْ تغترَّ يا صاحِ بالهوى فإنَّ الردى حِلفُ الهوى وعَقِيْدُهُ

فقد كرر لفظ (الهوى) ليؤكد على أنَّ الاغترار بالهوى مدعاة إلى الهلاك والردى ، وعندما نتأمل إيقاع البيت الداخلي بين الكلمات المنتهية بالألف المقصورة (الهوى – الردى – حليف الهوى) التي أطلقت العنان للصوت ولم تحبس النفس عند النطق بها ، فالمغرم بالهوى والعشق تجده منطلقا في فضاء الأحلام والتخيلات بينما ينقل الردى صاحبه إلى عالم الأموات الواسع الذي لا يدرك منتهاه أحد من البشر ، وبهذهالألفاظ التي ترفع من نبرة الصوت وأنفاسه تارة وتخفضها تارة أخرى يزيد ذلك في إيقاع الأبيات الداخلي ويربطها بالموسيقى الخارجية في أوج صورها الجميلة . وهناك أمثلة كُثر ونكتفي بما سبق .

---

١. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٦٥/٣ .

٢. السابق ،١٨٠/١ .

ومن أمثلة الموسيقى الداخلية حصول الجناس بين الكلمات وتناوله الشاعران في شعرهما الحربي ، فالجناس لا يكون إلا عندما يكون هناك اتفاق في اللفظ واختلاف في المعنى ، وسبب تسميته أنَّ "حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد"(١) ، ومن أمثلة ذلك عند أبي فراس (٢) :

وما كُلُّ وقَّافٍ لهُ مثلُ موقفي ولا كلُّ ورَّادٍ لهُ مثلُ موردي

فجناس الاشتقاق بين (وقَّاف) و (موقفي) حيث اشتقَّ من الفعل (وقف) ، وكذلك في (ورَّاد) و(موردي) اشتُقت من الفعل (وَرَدَ) ، ومن أمثلة ذلك قوله (٣) :

فاضل كامل،أديب أريب قائل فاعل،جميل بهيـــــجُ
حازم عازم،حروبٌ سلوب ضارب طاعن،خروج ولوجُ

فأبو فراس استخدم الجناس الناقص بين كلمتي (أديب) و (أريب) والاختلاف في الحرف الأول ، وكذلك بين كلمتي (حازم) و (عازم) جناس ناقص بسب اختلاف الحرف الأول .

ومن أمثلته عند البارودي (٤) :

فمن يكُ بالبيض الكواعب مغرما فإنِّي بالبيض القواضب مغرمُ

فهذا الفارس إذا أغرم أمثاله من الشباب بالبِيض الحسان من النساء ، وهاموا بهِنَّ ، فإنَّه مولعٌ بحب السيوف القواطع ، وبكل سلاح يُهيأ للمعركة ، فبِيضُ النساء والولعُ بهنَّ ليس كالولع بالبِيض القواضب ، وفي هذا البيت جناس تام أعطاه محسنا بديعيا رائعا ، لأنَّ كلا من المغرمين في جهاد مع ما أولع به .

---

١. ابن الأثير،ضياء الدين:المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر. تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة .مكتبة نهضة مصر بالفجالة . ط١/١٣٨١هـ ، ٣٤٢/١ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، ت: الدهان . ص ٨٠ .
٣. السابق . ص ٥٨ .
٤. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٥٤٩/٣.

كذلك من المحسنات التي أثرت في إيقاع الأبيات الداخلي استخدام أبي فراس والبارودي لما يسمى بالطباق في أبيات شعرهما الحربي ، ويُعرف الطباق بأنَّه "الجمع بين متضادين ، سواء أكان بين لفظين من نوع واحد أم من نوعين مختلفين"(١) ، أي أنه الجمع بين معنيين متقابلين ، ومن أمثلته في شعر الحرب بين الشاعرين قول أبي فراس (٢) :

ألفُّهُمُ وأنشرهمْ كأني بهم نَعَمًا أُطَارِدُ أونَعَامَا

فنجد الشاعر قد استخدم الطباق بين كلمتي (ألفُّهُمُ) و (أنشرهمْ) ، ومن أمثلة الطباق أيضا عند أبي فراس قوله (٣) :

يسوسهم بالخير والشر ماجدٌ جَرورٌ لأذيال الخميس المذيَّلِ

فالخير والشر بينهما طباق وبهذا يقوي الشاعر أبياته باستخدامه للمحسنات البديعة التي تتعاون مع الموسيقى الخارجية فتكون إيقاعا منظما مترابطا . كذلك نجد البارودي قد أضاف للإيقاع الخارجي إيقاعا داخليا باستخدامه للطباق بين الكلمات ، فمن أمثلة ذلك قوله (٤) :

إذا غضبوا ردوا إلى الأفق شمسهُ وسال بِدُفَّاع القنا الحَزْن والسهلُ

فكلمتي (الحَزْن و السهل) بينهما طابق . ومن أمثلة ذلك أيضا قوله (٥) :

توسَّطتُهُ والخيلُ بالخيل تلتقي وبيض الظُبا في الهام تبدو وتغربُ

فكلمتي (تبدو و تغرب) بينهما طباق ، ولا شك في أنَّ هذا المحسن يزيد من قوة الإيقاع الداخلي والخارجي لدى الشاعرين .

---

١. ابن رشيق:العمدة. ١٥/٢ .
٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس .ت:الدهان . ص ٣٦٣ .
٣. السابق . ص ٢٨٦ .
٤. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٥١/٣ .
٥. السابق ، ٤٠/١ .

وأيضا من المحسنات البديعة التي تناولها الشاعران ما يسمى بالمقابلة التي أدت إلى إيجاد إيقاع متناسب مع الإيقاع الداخلي ، ويقصد بها أنْ يؤتى بمعنيين أوأكثر ثم تؤتى بما يُقابل ذلك على الترتيب لأنَّ "أصلها ترتيب الكلام على ما يجب ؛ فيُعطى أول الكلام على ما يليق به أولا ، وآخره ما يليق به آخرا ، ويأتي في الموافق بما يوافقه ، وفي المخالف بما يُخالفه"(١) ، ومن أمثلة ذلك عند أبي فراس قوله(٢) :

له بطشُ قاسٍ تحته قلبُ راحمِ ومنعُ بخيلٍ بعدهُ بذلُ مُفْضِلِ

فاستطاع أبو فراس أنْ يستخدم هذا الصفات (بطشُ قاسٍ - قلبُ راحمِ) وكذلك (منعُ بخيلٍ - بذلُ مُفْضِلِ) بإيقاع داخلي معتمد على المقابلة ليضيف تدفقا موسيقيا يتوقف على نبرة التنوين التي تُحدث توقفا صوتيا رائعا بين فواصل الكلمات ، كذلك من أمثلة المقابلة عند البارودي قوله (٣) :

رجالٌ أولو بأسٍ ونجدةٍ فقولهمُ قولٌ وفعلهمُ فِعل

فالبارودي استطاع أن يُقابل بين صفات الأبطال في قوله (فقولهمُ قولٌ - فعلهمُ فِعل) بهذا التناسق الذي قدم فيه القول قبل الفعل الذي دلت عليه حكمه الأبطال في الحرب ؛ لأن الحرب منشؤها الكلام بين الطرفين . وبهذا نجد أنَّ الشاعرين قد استخدما المحسنات البديعة كإيقاع داخلي لأبياتهما ، من خلال دارستي للموسيقى الشعرية في صورة الحرب بين أبي فراس والبارودي وجدت أنهما سارا على نهج القدماء في الوزن والقافية ، بينما وجدت أنَّ أبا فراس قد تفوق على البارودي في استخدامه للموسيقى الداخلية .

---

١. ابن رشيق:العمدة. ١٥/٢ .

٢. الحمداني،أبو فراس:ديوان أبي فراس ، شرح الدهان . ص ٢٨٦ .

٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي ، ٥٥/٣ .

الخاتمة

يتضح في نهاية هذا البحث أنَّ كلا من الشاعرين قد عاش الشاعران حياة سياسية مضطربة أدت إلى نبوغهما في الشجاعة وحاجة مجتمعهما إلى أنْ تُسند إليهما القيادة الحربية ، فوالد أبي فراس من أمراء بني حمدان ووالد البارودي من أمراء المدفعية وهذا أيضا من الأسباب التي أدت لحبهما للقيادة وتولي المهام الصعبة، كما كان للحياة الثقافية التي عاش في كنفها الشاعران الأثر البارز في نضج شعرهما وبلوغه مرتبة التميز. كما كان وصف الخيل عند أبي فراس نابعا من اهتمامه وحاجته إليها في الحرب ، بينما نجد أنَّ البارودي كان مقلدا للقدماء في وصف الخيل إلا أنه تميز بدقه وصفه للخيل وكثرة ذكره لها ؛ وهذا راجع لكونه فارسا من قادة الحرب في زمانه . كما اتفق الشاعران على أنَّ الخيل من أهم العُدد الحربية التي تحمل تباشير النصر والخير بنواصيها ، فأبو فراس يجعلها من مقومات الحرب الأساسية شريطة أنْ يكون فارسها ذا قلب شجاع وجسم كامل البُنية ؛ حيث يرى أنَّ القوة النفسية والشجاعة الداخلية حليفة النصر والتمكين ، كما يؤكد أبو فراس على أهمية تدريبها وتهيئتها قبل الحرب والنزال ، ويشارك البارودي أبا فراس فيما سبق إلا أنه يؤكد أنَّ السيف والرمح مع وجود الخيل من أساسيات الحرب والوصول للنصر .

كذلك عندما وصف أبو فراس سلاح المعركة اهتم باستخدم الألفاظ الدالة على السيف ونوَّع في ذكرها كالحسام والصمصامة ، أما البارودي فقد استخدم لفظ السيف والبيض والمهند لهذا السلاح ، واتفق الشاعران على أهميته في الحرب وفي كل مجال من مجالات الشجاعة والإقدام، كما اتفق كلٌّ من الشاعرين على وصفه بالقطع والبتر وأنْ يكون من أجود أنواع السيوف كالسيف الهندي واليماني ، كما تفرد البارودي بأنْ أضاف للسيف بعضا من الصفات التي اختص بها البشر كالمناجاة والقضاء بين المتخاصمين والمشاورة وإبداء الرأي، ويدلنا هذا على أنَّ أبا فراس قد أكثر من وصف السيف بعكس البارودي الذي أكثر من وصف الخيل . وقد اتفق الشاعران على أهمية الرمح فأبو فراس يرى أنه من الأسلحة الموصلة للنصر والتمكين

بخلاف البارودي الذي يرى أنه من الأسلحة الموصلة للمجد والهمة العالية ، أما عن صورة الرماح في الحرب فقد صورها أبو فراس في صورتين مختلفتين وذلك في ساحة المعركة :

أ- صورة استعدادها لرمي الأعداء وفي هذه الحالة تكون حاملة للموت قبل أنْ تصيب الأعداء.

ب- صورة عودتها من المعركة وهي محطمة لشدة بأس وقوة من رمى بها من الأبطال .

أما البارودي فقد تفوق في وصفه للرمح من حيث الهيئة في الحرب ومن حيث فعله ، كذلك اختلف الشاعران في استخدامهما لأسماء الرمح المختلفة إلا أنهما متفقون في كونه من أسلحة الحرب الهامة ، وبهذا لم يصل وصف الرمح من حيث الكثرة إلى ما وصل إليه وصف الخيل والسيف عند الشاعرين .

كما اتفق الشاعران على أنَّ الفارس الشجاع لابد أن تتمثل فيه مقومات السيادة والقيادة ، وأنْ يتحلى بصفات الأخيار والنبلاء ، وأنْ يكون ذا تجارب وحكمة . كما أنَّ أبا فراس قد أطنب في فخره بأهلة وعشيرة وهو بهذا الفخر لا يقارن والبارودي الذي اقتصر فيه على الإفتخار بنفسه . أما البارودي فقد اعتمد في فخره على قاموس القدماء ونهل من معينهم فجاء فخره في شعره الحربي تقليدا للقدماء من الشعراء البارزين ، وهذا التقليد غطى على صدق تعبيره ووصفه ، إلا أنه استطاع أنْ يبرز شخصيته في هذا المجال .

كما تقارب الشاعران في وصفهما للجند الملتفين حول قائدهم وفارسهم ، وقد وصفهما الشاعران بالأُسد الضارية والنجوم اللامعة ، وأيضا اتفق الشاعران في وصف معاناتهما في الأسر الذي تطلب منهما الجَلَدَ والمصابرة ،وقد توصلت إلى أنَّ أبا فراس عندما عاش حياة الأسر لم يسأم من عدم تجاوب سيف الدولة وقبيلته من أجل الإسراع في فكاك أسره ، بل لم يزل متمسكا بهم مستعطفا كرمهم قويا بمجدهم ، فلم ييأس ولم يتضجر من سوء تعاملهم بل استمر في مخاطبتهم وتذكيرهم بما عُرف به من شجاعة وإقدام حتى جاءه الفرج وتم فكاك أسره . أما البارودي فقد يئس من أهله وأصحابه وأكثر من مخاطبته للسيف الذي جعله عوضا عنهم . كما تناول كل من الشاعرين الغزل في شعرهما الحربي ، فأبو فراس جعل من غزله نافذة تدل على رُقي أخلاقه وسمو مناقبه ، فالمرأة عندما تكون أسيرة عنده تُعامل بكل احترم ، كما أنَّه لا يشغل نفسه بالحُب والهوى لانشغاله بخوض المعارك ، فالعفاف تضجر من وَرَعه ، والنساء يتسابقن في أيهن يكون زوجا

لها ، إلا أنه يؤمن بأنَّ الفارس لا يستطيع الفرار من الحب والهوى . أما البارودي فيتفق مع أبي فراس على أنَّ الهوى يضعف الفرار منه ، وأنَّ الفارس لايخلو قلبه منه ، إلا أنَّه يرى أنَّ الهوى يأسر قلبه فقلبه الشجاع الذي لا يتهيب المخاطر تجده ضعيفا رقيقا في هذا الباب .

وقد اكتفى أبو فراس بالتصوير العام لأحداث المعركة بعيدا عن التفصيل الدقيق لأحداثها ؛ وذلك راجع لاهتمامه بتحقيق النصر الذي يغلب على وصف أحداث المعركة ، ولهذا كان اهتمامه بنفسه وإبراز مناقبه من الأمور التي جعلت وصفه لأحداث المعركة وصفا سطحيا بعيدا عن التعمق والتفصيل .

كما نجد شعر البارودي الحربي قد فاق وصفه لأحداث المعركة وصفَ أبي فراس ، ولم يكن اهتمامه بنفسه وشجاعته سببا في عدم التوسع في الوصف والتحليل لأحداث المعركة ، بالإضافة إلى تناوله هذا الوصف بأسلوب مزج فيه بين الوصف المعتمد على تقليد القدماء وبين الأسلوب المعتمد على الأفكار والمعاني الجديدة والمبتكرة .كذلك استطاع الشاعران أنْ يوظفا الألفاظ المتعلقة بالحرب والألفاظ المتعلقة بالكون والألفاظ المتعلقة بالزمن لخدمة شعرهما الحربي ، وقد حاولت الاقتصار على هذه الأقسام الثلاثة في حديثي عن المعجم الشعر ؛ لأن ألفاظ الحرب تُعدُّ كالبنية التحتية لشعر الحرب ، كما أنَّ الألفاظ المتعلقة بالكون تبين أجواء المعركة الذي نستشف من خلاله حال المعركة ونتائجها ، كذلك تساعدنا الألفاظ المتعلقة بالزمن على تحديد زمن بداية المعركة وزمن نهايتها وهذا يدلنا على أهمية اختيار القائد للأوقات المناسبة لخوض المعارك . كما تميزت الصورة الفنية عند أبي فراس بالعمق واعتماده على توظيف الخيال الذي يزيد من حُسن شكلها وتماسك أجزائها ، كما استخدم الألفاظ الجزلة والقوية في ذلك ، بينما نجد أنَّ البارودي امتازت الصورة الفنية في شعره الحربي بالبساطة والقرب من الواقع والبعد عن التكلف واختيار الألفاظ السهلة الواضحة ؛ وهذا لا يعني أنَّ الصورة لديه كانت ضعيفة بل أجاد في استخدامه للصورة الفنية بنوعيها الكلية والجزئية ، وكذلك فعل البارودي . كذلك كانت أغراض الشعر المختلفة لا تقتصر على بحور معينة من الشعر ، فالشعر الحربي خاصة لا يقصر على بحر معين بل نجد أنَّ الشاعرين قد استخدما أكثر من بحر في نظمهما لهذا الشعر ،كما توصلت إلى أنَّ شعر أبي فراس تميز بكثرة استخدامه للمحسنات البديعية التي زادت من وزن صوره وأوصافه المطروحة في شعره الحربي ، أما البارودي فقد كان مقلدا في الموسيقى الشعرية للقدماء جملة وتفصيلا ، كما أنَّ استخدامه للمحسنات البديعة كان ذا طابع سهل وواضح ، إلا أنَّه اهتم بالموسيقى المنبعثة من الحروف والألفاظ فكان جرسها يضفي على الأبيات موسيقا مؤثرة جميلة .

فهرس المصادر و المراجع

١. آصف،يوسف:تاريخ سلاطين عثمان .تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي.دار البصائر .دمشق . ط٣/١٤٠٥هـ.

٢. الآمدي،أبو القاسم الحسن بن بشر:الموازنة بين أبي تمام والبحتري.تحقيق أحمد صقر.دار المعارف . ط/١٩٦١م .

٣. ابن أبي سلمى،زهير:ديوان زهير بن أبي سلمى.دار صادر.بيروت.ط /١٣٨٤ هـ .

٤. ابن الأثير،ضياء الدين:المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة.مكتبة نهضة مصر بالفجالة.القاهرة.ط١/١٣٨١هـ .

٥. ابن الجوزي،عبد الرحمن بن علي أبو الفرج:صفوة الصفوة.تحقيق محمود فاخوري.دار المعرفة.بيروت. ط٢/١٣٩٩هـ .

٦. ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد:مقدمة ابن خلدون .تحقيق درويش الجويدي.المكتبة العصرية.بيروت .ط/ ١٤٢٥ هـ .

٧. ابن دريد،أبو بكر محمد بن الحسن:جمهرة اللغة.تحقيق رمزي منير بعلبكي.دار العلم للملايين.بيروت. ط١/١٩٨٧م .

٨. ابن رشيق،أبو علي الحسن :العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده.تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.دار الجيل للنشر والطباعة.بيروت.ط٤/١٩٧٢م .

٩. ابن سيده،أبو الحسن علي بن إسماعيل:

*المحكم والمحيط الأعظم في اللغة.تحقيق مصطفى القادر وحسين نصار.مطبعة مصطفى اليابي الحلبي وأولاده.مصر.ط١/ ١٣٧٧هـ .

*المخصص.تحقيق خليل إبراهيم جفال.دار إحياء التراث العربي. بيروت.ط ١/ ١٤١٧ هـ .

١٠.ابن طباطبا،محمد بن أحمد:عيار الشعر.تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام.المكتبة التجارية الكبرى.القاهرة.ط/١٩٥٦م .

١١. ابن عباد،الصاحب:المحيط في اللغة.تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.عالم الكتب.بيروت . ط١/١٤١٤هـ .

١٢. ابن عاشور،محمد الظاهر:التحرير و التنوير.مؤسسة التاريخ العربي.بيروت . لبنان.ط١/١٤٢٠هـ .

١٣. ابن فارس،أبو الحسين أحمد:معجم مقاييس اللغة.تحقيق عبد السلام محمد هارون.دار الجيل.بيروت. ط١/١٩٨٥م و ط/١٣٩٩هـ .

١٤. ابن قتيبة،أبو محمد عبدالله بن مسلم:

*الشعر و الشعراء.تحقيق أحمد محمد شاكر.دار المعارف.مصر. ط٢/١٣٨٦هـ .

*غريب الحديث.تحقيق عبد الله الجبوري.مطبعة المعاني.بغداد.ط١/١٣٩٧هـ .

١٥. ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر:تفسير القرآن العظيم. تحقيق سامي بن محمد سلامة.دار طيبة للنشر والتوزيع .ط٢/١٤٢٠هـ .

١٦. ابن مالك ،محمد بن عبدالله:إيجاز التعريف في علم التصريف.دراسة وتحقيق محمد المهدي.عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.ط١/١٤٢٢هـ .

١٧. ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري:لسان العرب.المؤسسة المصرية العامة للتأليف.القاهرة. ط/ ١٣٨٣هـ.

١٨. أبو حامد،عبد الحميد بن هبة الله:شرح نهج البلاغة.دار إحياء الكتب العربية.بدون تاريخ .

١٩. أبو غدة،محمد زاهد عبد الفتاح:الشاعر والحرب دراسة للشعر الإنكليزي في حرب القرن العشرين. دار البشائر الإسلامية.بيروت.ط١/١٤١٧هـ .

٢٠. أبو كريشة،طـــه:في ميزان النقد الأدبي.مطبعة المليجي بالجيزة.القاهرة.ط١/١٣٩٦هـ .

٢١. أبو ناجي،محمود حسن:في الشعر العربي.دار مكتبة الحياة.بيروت.لبنان.ط٢/١٤٠١هـ .

٢٢. أبو هيف،علي صادق:القانون الدولي.منشأة المعارف.ط/١٢.بدون تأريخ .

٢٣. الأتابكي،جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.تحقيق جمال الدين الشيال وفهيم محمد شلتوت.دار الكتب المصرية.ط/١٣٥٨هـ .

٢٤. الأزهري،أبو منصور محمد بن أحمد:تهذيب اللغة .تحقيق عبد السلام هارون.مراجعة محمد علي النجار. المؤسسة المصرية العامة للتأليف . القاهرة . ط/ ١٣٨٤ هـ .

٢٥. الأصبهاني، عماد الدين الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد صفي الدين:خريد القصر وجريدة العصر. تحقيق شكري فيصل . المطبعة الهاشمية . دمشق . ط/ ١٣٧٥هـ.

٢٦. الأصفهاني،أبو الفرج علي بن الحسين:

*الأغاني. تحقيق سمير جابر.دار الفكر.بيروت.الطبعة الثانية .بدون تاريخ .

*ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس).تحقيق علي مهنا وسمير جابر.دار الفكر.بيروت . بدون تاريخ .

٢٧. الألباني،محمد ناصر الدين:الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب.غراس للنشر والتوزيع. الكويت.الطبعة الأولى.بدون تاريخ .

٢٨. إليوت،توماس ستيرنز:في الشعر والشعراء.ترجمة محمد محمد جديد.دار كنعان.بيروت.بدون تاريخ .

٢٩. أمين،أحمد:

*فجر الإسلام.مكتبة النهضة المصرية.القاهرة.ط١٢/١٩٧٨م .

* النقد الأدبي.دار الكتاب العربي.بيروت.ط٤/١٩٦٧م .

٣٠. الأمين ،جعفر عبد السلام :أحكام الحرب والحياد في ضوء القانون الدولي والشريعة الإسلامية.دار محيسن. القاهرة.ط١/١٤٢٤هـ .

٣١. الأنباري،أبو بكر محمد بن القاسم:الزاهر في معاني كلمات الناس.تحقيق حاتم صالح الضامن.مؤسسة الرسالة.بيروت.ط/١٤١٢هـ .

٣٢. أنيس،إبراهيم:موسيقى الشعر.مكتبة الأنجلو المصرية.ط٧/١٩٩٩م .

٣٣. البارودي،محمود سامي:ديوان البارودي.تحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف.دار المعارف. مصر.ط/١٩٧٥م .

٣٤. البخاري،محمد بن إسماعيل أبو عبد الله:الجامع الصحيح.دار الشعب.القاهرة.ط١/١٤٠٧هـ .

٣٥. بدراوي،سامي:أوراق البارودي المجموعة الأدبية .المركز العربي للبحث والنشر.القاهرة.ط/ ١٩٨١م.

٣٦. بدوي،أحمد:شاعر بني حمدان.مكتبة الأنجلو المصرية.ط/١٩٤٩م.

٣٧. بدوي،محمد طه:مدخل إلى علم العلاقات الدولية.دار النهضة العربية.القاهرة.ط/ ١٩٨٦م .

٣٨. بدوي،ناجي فؤاد:التجربة الشعرية بين النظرية النقدية والتطبيق النصي.دار الأرقم.الزقازيق.مصر. ط١/١٩٩٣م .

٣٩. برّي،عبد الله:شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي.تحقيق عيد مصطفى درويش ومحمد مهدي علام.الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.القاهرة. نسخة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.ط/١٤٠٥هـ .

٤٠. البستاني،المعلم بطرس:

*أدباء العرب في الأعصر العباسية.دار كلمات عربية.مصر.بدون تاريخ .

* دائرة المعارف.دار المعرفة.بيروت.بدون تاريخ .

٤١. بسيسو،ماجد ولين وجيه:شعر أبي فراس الحمداني دراسة فنية.مطابع الشريف .الرياض. ط١/١٤٠٩هـ .

٤٢. البغدادي،عبد القادر:خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.تحقيق محمد نبيل وإميل اليعقوب.دار الكتب العلمية.بيروت.ط/ ١٩٩٨م .

٤٣. البكري،أبوعبيدة عبد الله بن عبد العزيز:معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع.تحقيق مصطفى السقا.عالم الكتب.بيروت.ط٣/١٤٠٣هـ .

٤٤. بوتول،جاستون:الحرب والمجتمع.ترجمة عباس الشربيني.دار النهضة العربية.بيروت.ط/١٩٨٢م .

٤٥. البياتي،عادل جاسم:الشعر في حرب داحس والغبراء.مطبعة الآداب.بغداد.بدون تاريخ.

٤٦. الثعالبي،أبو منصور عبد الملك بن محمد:

*التمثيل والمحاضرة.تحقيق زهية سعدو.جامعة الجزائر. ط/٢٠٠٥م.

* ثمار القلوب في المضاف والمنسوب.تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.دار المعارف.القاهرة. ط١/١٩٦٥ .

٤٧. الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر:

*البيان والتبيين.دار صعب.بيروت.ط ١/ ١٩٦٨ م .

* الحيوان.تحقيق عبد السلام محمد هارون .مكتبة مصطفى الحلبي.دمشق.ط١/١٣٧٥هـ .

٤٨. الجبُّوري،يحيى:الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه.مؤسسة الرسالة.بيروت.ط٨/١٤١٨هـ .

٤٩. الجمحي،محمد بن سلام:طبقات فحول الشعراء.تحقيق محمود محمد شاكر.دار المدني.جدة. ط/١٤٠٠هـ .

٥٠. الجهني،زيد بن محمد:شعر الحرب بين البحتري والمتنبي.مطبعة الجامعة الإسلامية.المدينة المنورة. ط١/١٤٢٩هـ .

٥١. الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي:تاج اللغة وصحاح العربية . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .دار العلم للملايين.بيروت.ط٤/١٤٠٧هـ .

٥٢. الجياني،حمد بن عبد الله:إكمال الأعلام بتثليث الكلام.تحقيق سعد حمدان الغامدي.جامعة أم القرى.مكة المكرمة . ط/١٤٠٤هـ .

٥٣. الحتي،حنا نصر:مظاهر القوة في الشعر الجاهلي.دار الكتب العلمية.بيروت.ط١/٢٠٠٧م.

٥٤. الحداد،عبد الوارث عبد المنعم:من صحائف النقد الأدبي الحديث.دار الطباعة المحمدية. ط١/١٩٨٩م – ط١/١٣٩٦هـ.

٥٥. الحُر،عبد المجيد:أبو فراس الحمداني شاعر الوجدانية والبطولة والفروسية.دار الفكر.بيروت. ط/١٩٩٦م .

٥٦. حسنة،عمر عبيد:العسكرية العربية الإسلامية.صادر عن مطبعة الحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية.الرياض.ط/١٤٠٣هـ .

٥٧. حسين،محسن محمد:الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين.مؤسسة الرسالة.بيروت.ط/ ١٩٨٦.

٥٨. الحمداني،أبو فراس:

*ديوان أبي فراس الحمداني.تحقيق سامي الدهان.المطبعة الكاثوليكية.بيروت.ط/١٣٦٣هـ.

*ديوان أبي فراس.شرح أحمد الفاضل.دار الفكر اللبناني.بيروت.ط١/٢٠٠٣م.

*ديوان أبي فراس.شرح خليل الدويهي . دار الكتاب العربي . بيروت . بدون تاريخ .

*ديوان أبي فراس.شرح عباس عبد الستار.دار الكتب العلمية.بيروت.بدون تاريخ .

*ديوان أبي فراس.شرح عبد الرحمن المصاوي.دار المعرفة.بيروت.ط٢/١٤٢٥هـ .

٥٩. الحوفي،أحمد محمد:الحياة العربية من الشعر الجاهلي.دار النهضة.مصر.ط٤/١٣٨٢هـ.

٦٠. الخطراوي،محمد العيد:شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج.مؤسسة علوم القرآن.دمشق. ط/١٤٠٠هـ .

٦١. الخطيمي،أحمد محمد:الفتوة نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية.دائرة المكتبة الوطنية. الأردن. ط١/١٤٢٩هـ .

٦٢. خفاجي،محمد عبد المنعم:الحياة الأدبية في العصر الجاهلي.دار الجيل.بيروت.ط١/١٤١٢هـ .

٦٣. الدسوقي،عمر:

*الفتوة عند العرب وأحاديث الفروسية والمثل العليا.مكتبة نهضة مصر.الطبعة الثالثة.بدون تاريخ .

*في الأدب الحديث.دار الفكر العربي.بيروت.بدون تاريخ.

٦٤. الدقس،كامل سلامة:وصف الخيل في الشعر الجاهلي.دار الكتب.الكويت.بيروت.ط٢/١٩٨٣م .

٦٥. الدمشقي،أحمد بن مصطفى:اللطائف في اللغة.دار الفضيلة.القاهرة.بدون تاريخ .

٦٦. الديب،السيد محمد:شعر الحماسة في العصر العباسي الثاني.مطبعة السعادة.ط١/١٤٠١هـ .

٦٧. الرازي،محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر:مختار الصحاح .مكتبةلبنان.بيروت.ط/١٤١٥هـ.

٦٨. زايد،علي عشري:بناء القصيدة العربية الحديثة.مكتبة الشباب.القاهرة.ط/١٤١٧هـ .

٦٩. الزبيدي،محمد بن محمد:تاج العروس من جواهر القاموس.دار الهداية.بدون تاريخ .

٧٠. الزحيلي،وهبة :آثار الحرب في الفقه الإسلامي.دار الفكر.دمشق.ط٣/١٤١٩هـ .

٧١. الزركلي،خير الدين بن محمود بن محمد:الأعلام.دار الملايين.ط٥/٢٠٠٢م .

٧٢. الزمخشري،محمود بن عمر جار الله:

*أساس البلاغة.دار الفكر.بيروت.ط٤/١٩٩٩م .

*الفائق في غريب الحديث.تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم.دار المعرفة.لبنان. بدون تاريخ .

٧٣. الزواوي،خالد:تطور الصورة في الشعر الجاهلي.مؤسسة حورس الدولية.الإسكندرية.مصر.الطبعة الأولى.بدون تاريخ .

٧٤. الزوزني،الحسين بن أحمد:شرح المعلقات السبع.دار إحياء التراث العربي.ط١/١٤٢٣هـ .

٧٥. الساسي،عماد الحاج:الحماسة في القرنين الثالث والرابع للهجرة (أبو تمام،أبو الطيب المتنبي،ابن هاني الأندلسي) دراسة نقدية.مؤسسة دنيا للنشر والتوزيع.تونس.بدون تاريخ .

٧٦. سرحان،عبد العزيز محمد:مبادئ القانون الدولي العام. مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي.القاهرة . بدون تاريخ.

٧٧. السعدي،عبد الرحمن بن ناصر:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.تحقيق عبد الرحمن اللويحق.مؤسسة الرسالة.ط/ ١٤٢٠هـ .

٧٨. السلطان،سلطان بن سعد:الحرب العالمية الثانية في الشعر العربي.جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.الرياض.ط/ ١٤٢٣هـ .

٧٩. سيبويه،عمرو بن عثمان بن قنبر:كتاب سيبويه.تحيق عبد السلام محمد هارون.دار الجبل. بيروت.بدون تاريخ .

٨٠. السيد،طلعت صبح:شعر الجهاد في عصر الحروب الصليبية .مكتبة ومطبعة الرضا.ط/١٩٩٠م.

٨١. الشايب،أحمد:أصول النقد الأدبي.مكتبة النهضة المصرية.الطبعة العاشرة/١٩٩٩م .

٨٢. شعيب،محمد عبد الرحمن:في النقد الأدبي الحديث. دار التأليف . مصر . ط١/١٩٦٧م .

٨٣. الشعيبي،علي شواخ:ملامح اجتماعية في الشعر الجاهلي والإسلامي.دار الرفاعي.الرياض. ط١/١٤٠٦هـ .

٨٤. الشكعة،مصطفى:فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين.مكتبة الأنجلو.مصر.بدون تاريخ .

٨٥. شلش،محمد جميل:الحماسة في شعر الشريف الرضي.وزارة الإعلام العراقية.ط/١٩٧٤م .

٨٦. الشهابي،إبراهيم يحي:مفهوم الحرب والسلام في الإسلام صراعات وحرب أم تفاعل وسلام.مؤسسة مَـيّ للطباعة والنشر.ط١/١٣٩٩هـ .

٨٧. صالح،ابتسام نايف:صور الحرب وأبعادها الأسطورية في الشعر الجاهلي.جامعة النجاح الوطنية بنابلس.فلسطين.ط/ ٢٠٠٦م.

٨٨. صبح،علي علي:الصورة الأدبية تاريخ ونقد.دار إحياء الكتب العربية،ط/١٩٩١م .

٨٩. ضيف،شوقي:

*الأدب العربي المعاصر في مصر.دار المعارف.مصر.ط٢/١٩٩٩م .

*البارودي رائد الشعر الحديث.دار المعارف . ط٧/٢٠٠٦م .

*البطولة في الشعر العربي.دار المعارف.القاهرة.ط/٢. بدون تاريخ .

*في النقد الأدبي.دار المعارف.مصر.ط٥/١٩٦٢م .

٩٠. الطفيل،عامر:ديوان عامر بن الطفيل.دار صادر.بيروت.ط/ ١٩٥٣م .

٩١. الطيب،عبد الله:المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها.دار الفكر.بيروت.ط٢/١٩٧٠م .

٩٢. عباس،إحسان:

*شعر الخوارج.دار الثقافة.بيروت.ط٣/١٩٧٤م .

*فن الشعر.دار الشروق.عمان.الأردن.الطبعة الخامسة.بدون تاريخ .

٩٣. عبدالحافظ،صلاح:الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره.دار المعارف.القاهرة. ط١/١٩٨٢م .

٩٤. عبدالرحمن،منصور:اتجاهات النقد في القرن الخامس الهجري.الأنجلو المصرية.القاهرة.ط /١٩٧٧م .

٩٥.عبدالسلام،جعفر:قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية.مكتبة السلام العالمية للطبع والنشر.ط/ ١٩٨١.

٩٦.عبد المهدي،عبد الجليل حسن:

*أبو فراس الحمداني حياته وشعره.مكتبة الأقصى.عمان.ط١/ ١٤٠١هـ.

*الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري .مكتبة الأقصى. عمان. ط١/١٣٩٧هـ .

٩٧.عبد ربه،محمود حسن:الحرب في شعر المتنبي.دار الشروق.جدة.ط١/١٣٩٨هـ .

٩٨.العبسي،عنترة بن شداد:ديوان عنترة.شرح الخطيب التبريزي.دار الكتاب العربي.بيروت. ط٢/١٤١٥هـ .

٩٩.عتيق،عبد العزيز:في النقد الأدبي.ط٢/١٣٩١هـ .

١٠٠.العزاوي،فارس طالب:مفهوم الحرب ومرتكزاته السياسية دراسة مقارنة بين النووي وموركانثو.دار حضرموت.ط١/٢٠١٠م .

١٠١. عسران،محمود:موسيقى الشعر.مكتبة بستان المعرفة.الإسكندرية.ط/٢٠٠٧م .

١٠٢. العسكري،أبو هلال الحسن بن عبد الله:كتاب الصناعتين.تحقيق علي الجباوي ومحمد إبراهيم.المكتبة العصرية.بيروت.ط/١٤١٩هـ .

١٠٣. عسيلان،عبد الله عبد الرحيم:حماسة أبي تمام و شروحها دراسة وتحليل.دار اللواء . الرياض.ط/١٤٠٣هـ .

١٠٤. العطوي،مسعد بن عيد:الاتجاهات الفنية في الشعر إبان الحروب الصليبية.مكتبة التوبة. الرياض.ط١/١٤١٥هـ .

١٠٥. عطية الله،أحمد:القاموس السياسي.دار النهضة العربية.القاهرة.ط٣/١٩٦٨م .

١٠٦. علي،جواد:المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.دار الساقي.ط٤/١٤٢٢هـ .

١٠٧. الغنوي،طفيل:ديوان طفيل الغنوي.تحقيق محمد عبدالقادر أحمد.دار الكتاب الجديد.بيروت.ط١/١٩٦٨م .

١٠٨. الغنيم،إبراهيم بن عبد الرحمن:الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد.الشركة العربية للنشر.ط١/١٤١٦هـ.

١٠٩. الفراهيدي،الخليل بن أحمد:العين.تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي.دار مكتبة الهلال.مصر. بدون تاريخ .

١١٠. فرج،السيد:شوقي والمتنبي نظرات في الجندية والحرب.مكتبة النهضة المصرية.القاهرة. ط١/١٩٥٩م .

١١١. الفيروز آبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب:القاموس المحيط.دار الفكر.بيروت.ط/١٤٢٠هـ .

١١٢. القاضي،النعمان عبد المتعال:شعر الفتوح الإسلامية في عصر صدر الإسلام.الدار القومية. القاهرة. ط/ ١٣٨٥هـ.

١١٣. القرطاجني،أبو الحسن حازم:منهج البلغاء وسراج الأدباء.تحقيق محمد الحبيب ابن خوجة.دار الغرب الإسلامي.بيروت.ط٢/١٩٨١ م .

١١٤. القرطبي،محمد بن أحمد الأنصاري:الجامع لأحكام القرآن الكريم.دار الكتاب العرب.القاهرة. ط/ ١٣٨٧هـ.

١١٥. القيسي،نوري حمُّودي:

*شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري.مكتبة النهضة العربية.القاهرة.ط١/١٤٠٦هـ .

*الفروسية في الشعر الجاهلي.دار النهضة العربية.بيروت.ط/١٤٠١هـ .

١١٦. الكبيسي،طراد:شعر الحرب عند العرب قبل الإسلام رؤية منهجية وأخلاقية.دار الشؤون الثقافية.بغداد.ط/ ١٩٨٣م.

١١٧. لغزوي،علي:أدب السياسة والحرب في الأندلس مكتبة المعارف.الرباط.ط/١٤٠٨هـ .

١١٨. مبارك،زكي:الموازنة بين الشعراء .ط١/١٩٩٣ .

١١٩. المبرد،محمد بن يزيد:الكامل في اللغة والأدب.تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.دار الفكر العربي.القاهرة. ط٣/١٤١٧هـ .

١٢٠. المتنبي،أبو الطيب:ديوان المتنبي.دار بيروت.بيروت.ط/١٤٠٣هـ.ص٥١.

١٢١. المحاسني،زكي:شعر الحرب في أدب العرب.دار المعارف. مصر.ط/١٩٦١م .

١٢٢. مصطفى،إبراهيم وآخرين:المعجم الوسيط.تحقيق مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط٤/ ١٤٢٥ هـ.

١٢٣. معطي،يحيى:البديع في علم البديع.دراسة وتحقيق محمد مصطفى أبو شوارب.راجعه وقدَّم له مصطفى الصادي الجوينيط.دار الوفاء للطباعة.الإسكندرية.مصر.ط/١/٢٠٠٣م.

١٢٤. المهنا ،عبد الله أحمد:دراسات في الأدب واللغة.جامعة الكويت.ط/١٩٧٦م .

١٢٥. النحوي،عدنان على رضا:ملحمة البوسنة والهرسك الجريمة الكبرى.دار النحوي.الرياض. ط/١٤١٣هـ .

١٢٦. نكري،القاضي عبد رب النبي:دستور العلماء.تحقيق حسن هاني فحص.دار الكتب العلمية. لبنان.ط١/١٣٢١هـ .

١٢٧. هلال،محمد غنيمي:النقد الأدبي الحديث.دار العودة.بيروت.ط١٩٨٧م .

١٢٨. هوتسما،م.ت وآخرين:موجز دائرة المعارف الإسلامية.مركز الشارقة للإبداع الفكري. ط١/١٤١٨هـ .

١٢٩. هونكة،زيجريد:الإبل على بلاط قيصر.ترجمة حسام الشيمي.مكتبة العبيكان.ط ١/١٤٢١هـ .

١٣٠. وائلي،كريم:الشعر الجاهلي قضاياه ومظاهره الفنية.دار العالمية للطباعة والنشر.بدون تاريخ .

١٣١. وجدي،محمد فريد:دائرة معارف القرن العشرين.دار المعرفة.بيروت.ط٣/١٩٧١م .

١٣٢. يوسف،حسني عبد الجليل:موسيقى الشعر العربي دراسة فنية وعروضية.دار الهيئة المصرية للكتاب.ط/١٩٨٩م .

فهرس الدوريات

١. الرافعي،عبدالرحمن:البارودي.مجلة الرسالة الصادرة عن دار الرسالة بشارع السلطان حسين . القاهرة . عدد(١٣٠)،عام ١٣٥٤هـ.

٢. مبارك،زكي:ديوان البارودي.مجلة الرسالة الصادرة عن دار الرسالة بشارع السلطان حسين.القاهرة. عدد(٤٣٧).تاريخ ٢٨شوال/١٣٦٠هـ.

٣. ، اليعلاوي،حمد:شعر الحماسة. مجلة الفكر.عدد السنة الأولى عام/ ١٩٧٠ م.

٤. سلاّم،أبو الحسن غبدالحميد:تجربة البارودي مع الشعر والحزن والحنين للوطن.مجلة الفيصل.عدد(١٨٤). شوال عام ١٤١٢هـ .

٥. سويلم،أحمد:أبو فراس الحمداني وبطولة الشعر.مجلة الفيصل . عدد(١٩٠) . ربيع الثاني ١٤١٣هـ .

٦. أبو العز،طلعت عبدالعزيز:الفروسية والحرب في شعر البارودي.مجلة كلية الآداب بسوهاج .جامعة أسيوط بمصر . العدد الخامس عشر . عام ١٩٩٤م .

٧. أحمد،السيد:لمحة في تاريخ الشعر منذ محمود سامي البارودي حتى علي محمود طه.مجلة المجمع العلمي الهندي .العدد المزدوج ١-٢.ج/٢ . جمادى الآخر/١٣٩٧هـ .

٨. الموسى،علي أحمد:البارودي.المجلة المصرية . عدد(١٤). عام ١٩٨٠م .

٩. خير الله،رغد:البارودي شاعر النهضة.عدد ١١٦.عام ١٤٠٧هـ .

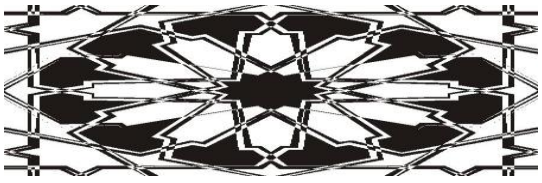

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of higher education
Taibah University
Faculty of Arts and Humanities
Department of Arabic

War portrayal comparison between Abu Feras Al – Hamadani & Barioudi Balanced study

Introduction to supplement requirements for obtaining a master's degree

Literary studies and critical

Prepared by

Shaker Salem Al Khashrami
University ID No. 3070455

Supervised by:

Professor: Ibrahim Saad Qundeel

Associate Professor of Literature and Criticism in the Faculty of Arts and Humanities in Taibah University

2013